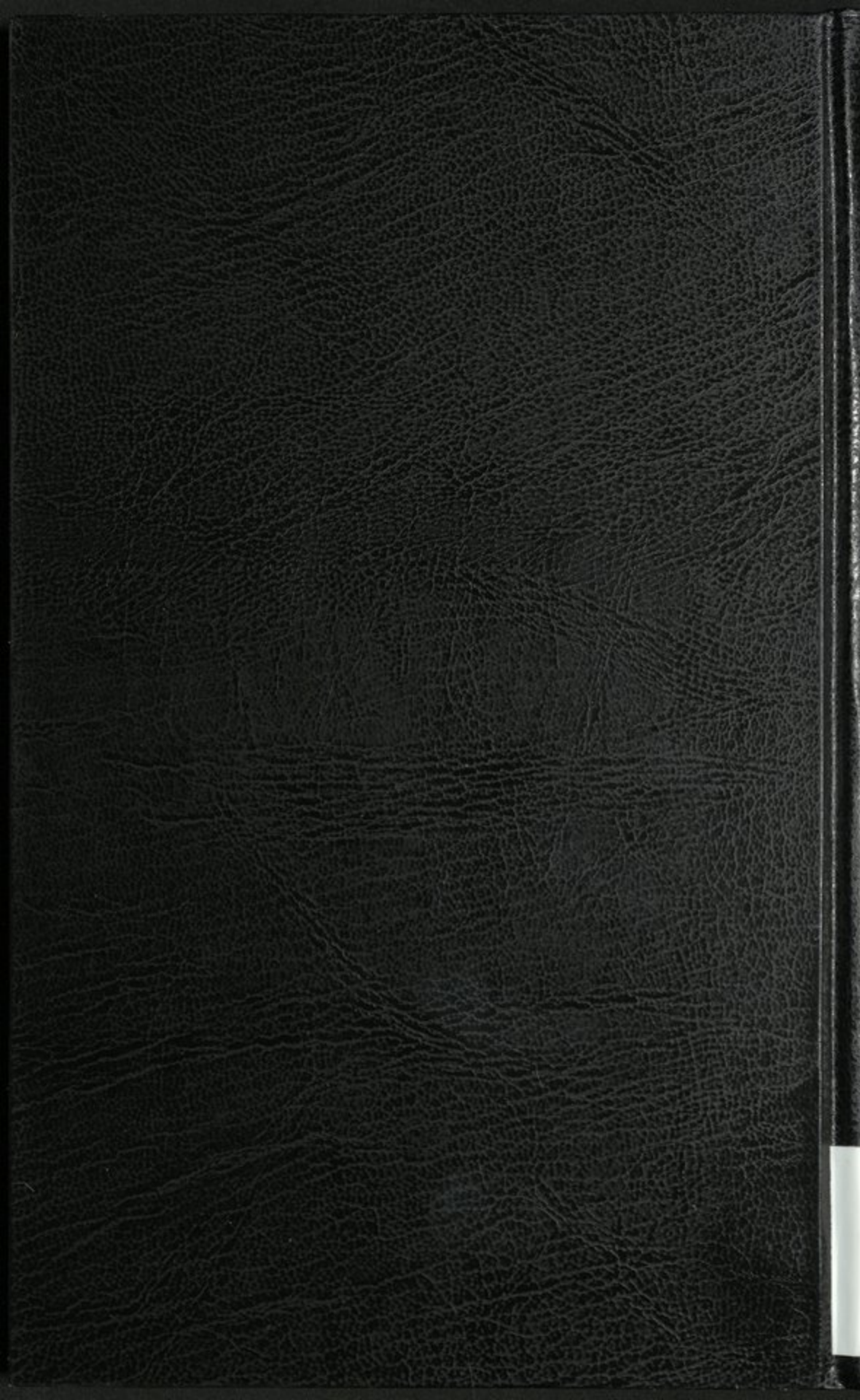
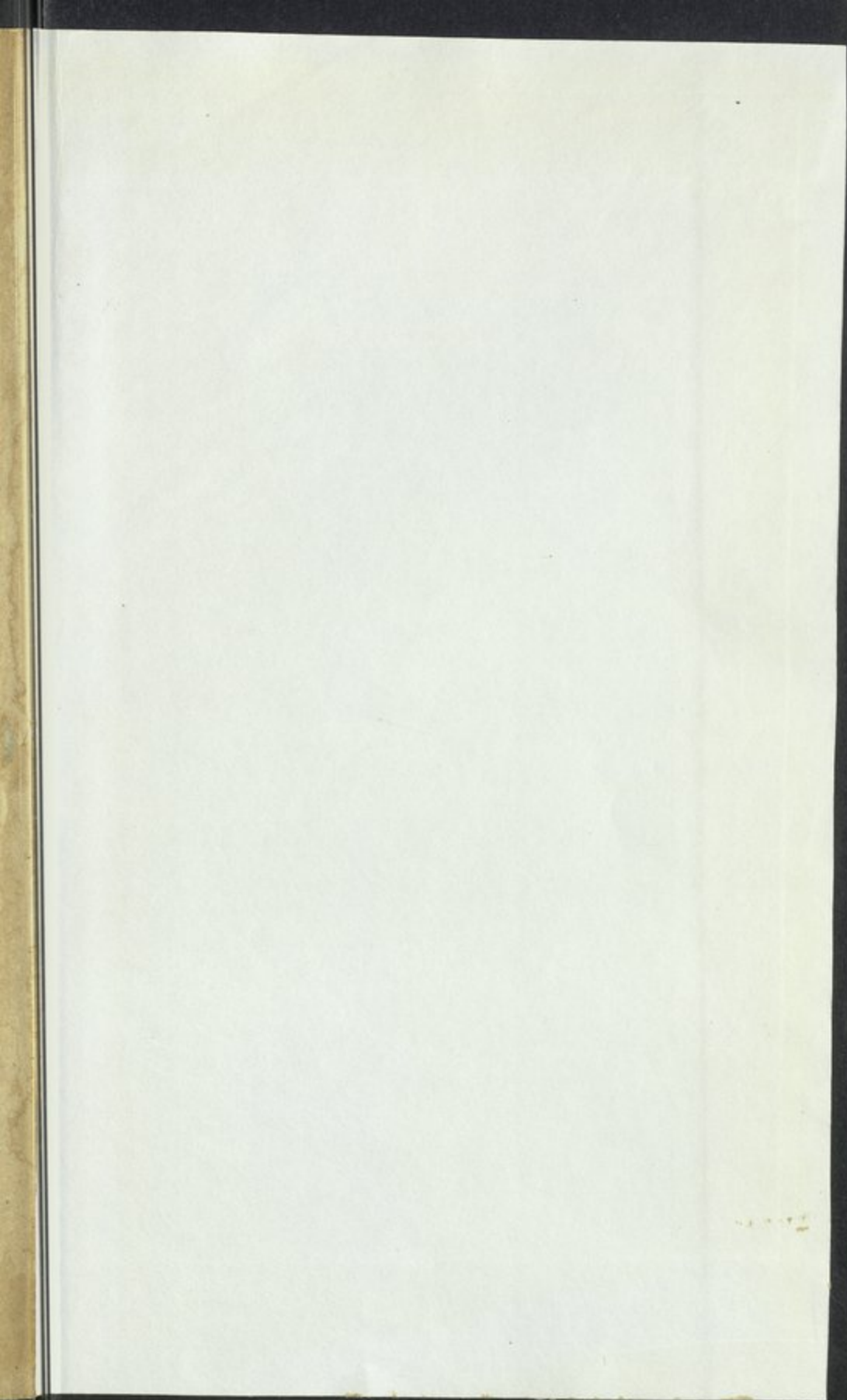




AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



A.U.B. LIBRARY



888.8
P732A
v.1

العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنه بينهم

تأليف

بلوطرموس

نقله إلى العربية

ميخائيل بشاره داود

المجلد الاول

سنة ١٩٢٨

77670

دار البصرة للطبع والنشر

بغداد

Cat. Dec 51



1870

المقدمة

العظمة لله ولا تقدير لعظمته .

هذه سير طائفة من الرجال عاشوا للخير والمجد كدوا لها نفوسهم وأفنوا في سبيلها اعمارهم ، عاش الرجل منهم كما قال صولون دوحه وارفة يستظلها قومه اذا ارهقهم وهج الحياة ، ومتى أمّنوا بالاذى ابتعدوا عنها ، ، ومدوا ايديهم الى اغصانها يهصر منها الواحد بعد الآخر ، ولم يمانعوا الى الدوحة ذاتها فاجتثوا جذورها .

لم ينعم هؤلاء المجاهدون بما عملوا الا بما في عمل الخير ذاته من نعيم ، ولم يظفروا بالمجد في حياتهم الا للمحات بين البروق والرعود . فلعظيم رجل انار له الماضي امامه وجه الحاضر ؛ وقراء صفحات المستقبل على ضوء الحاضر تعشق املا اعلى عاش به وله ومات مجاهدا في سبيله .

يقولون ان الرجل العظيم حادث قائم بنفسه ، يدلك على ذلك انك تدخل الحديقة الفناء فلا تجد اشجارها سواء ، وتنظر الى الشجرة فلا تجد اغصانها سواء ؛ وتأمل الغصن فلا تجد نماره سواء .

كذلك تزور المدينة فلا تجد اهلها في رى واحد وتنظر الى الاسرة فلا تجد ابنائها في قالب واحد وتأمل الابناء فلا تجدهم سواء لامن حيث الشكل ولا المزاج ولا الصحة ولا العقل ؛ على ان الثمرة من جنس شجرتها ، لا بد . والرجل من اهله وبيئته ، لا بد . لسكل حالة خاصة ، وظرف خاص مما لا يقع تحت ضبط ولا ترتيب .

إذا قيل ان اسكندر كان عظيماً لان والده كان فيليب ملك مقدونية وان معامه كان ارسطو ، الذى علم تيسوكل العظمة حتى الفناء في حب الخير لاهله ، يدفع عنهم غارة الفرس بالرغم منهم والحيلة عليهم ، يحتمل مع ذلك الضيم من قومه حتى النفى والحكم بالموت يقابل ذلك بان يتجرع السم في منفاه حتى لا يرفع سيفه في وجه مواظنيه . ! وليكورجوس ؛ الذى سن لقومه خير شرائع البطولة ؛ ثار عليه قومه وفقاء متهموس عينه بضربة عصا فلم يكن هذا بمنعده له عن العمل لما اراد من الخير . دأب على عمله حتى نهض بقومه وجعلهم سادة البلاد اليونانية كلها . ثم بلغ به الحرص على شرائعه وبعد قومه ان جمع رجالاتهم واخذ عليهم العهود والمواثيق واستحلفهم اغلظ الايمان الا يبدلوا منها شيئاً حتى يموت اليهم . انطلق بعد ذلك الى رحلة حيث قتل نفسه صبراً واوصى بحرق جثته وتذرية رمادها في الهواء ليبقى على قومه ايمانهم وتبقى لسبارطة شرائعها فندوم سيادة وطنه ؟

يزعم البعض ان من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه وبيئته وتمهينه ظروفه على ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعي . يكون ذلك ممكناً ، ولكن ماهي الشروط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب . ؟

صحة الوالدين او ضعفهم ؛ سعة علمهم او جهلهم ، تقواهم او فسادهم ؛ غناهم او فقرهم ، ؟ والبيئة والظروف ؟ ماهي ؟ وكيف تمهين . وكيف يؤخذ الصبي ؟ يحول مزاجه الى حالة عصبية مخصوصية ، او يدرب على الحيلة والشجاعة والصبر . ؟ ممن تعلم رومولوس بناء روما ؟ من ابيه ولم يعرف له ابا ؟ من امة ولم يكن له من مرضع سوى ذئبة ؟ . الا يدل كل هذا ان لقدرة الالهية وتصاريه حوادث العمران اليد الاولى في خلق الرجل العظيم . ؟

يقولون لو اخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة ؛ وانعم النظر في حوادثها ؛ وكان نهازاً للفرص ، انقلب الفكر عنده عملاً ، وصار عظيماً .

ولكن ! بحرى الحوادث ، تقلبات الظروف ؛ اهواء الرجال ؛ عماية الانسان عن معرفة ما يخبىء الغد ؟ ألم يفشل هينبال و نابوليون فى اعظم مواقعهما ترتيبا وتقديرا ؟ يقولون كم عظيم قتله الفقر ! على انا نرى ، كم فقير كان فقره سبب عظمته . ويقولون كم عظيم قتله بيئته ! مع انا نرى البيئة هى التى تنبت من تحتاج من العطاء .

الواقع ان العظيم ينم عن نفسه منذ صغره . . اذا لعب ، رأس اللاعبين ؛ واذا درس بز الدارسين ، يتصدر للحكم بين زملائه الصبيان ، ويشعر من حوله انه خلق ليكون قائدا لاستودا ترى ذلك الصبى يلتهم كل ما يقدم اليه من علم وفن يطالب المزيّد بلا شبع كأن لعقله مخ قوى يهضم كل ما يلقى اليه . لا يتقنع بما بين يديه من كتب المدرسة ولا يحل سماع أقوال الحكماء ، يندس الى مجالس العظماء ويغيطه ان يقال عنه صبى وان كان لا يتجاوز العاشرة . ومن خصائصه أن ينصب على نوع العين من العلوم بكرة كل شىء عدا . لا ينال من خلق لادارة السياسة بعلوم ما وراء الطبيعة مثلا ولا اللغات الميتة ؛ انما كلمة كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة

ينصح الاخلاقيون لمن رزقوا صبيا كهذا ، الا يعطوا ميوله ونزعاته والا يرغموه على مالا تشتهى نفسه . وان يروا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يحب . اين يجد ذلك الصبى العظيم ما يريد من مزيد ؟ - فى الكتاب . من درى أخبار من قبله اضاف اعمارا الى عمره . لاشك أن من درى علوم من قبله وتعرف تجاريب واختبارات سابقة ومعاصريه انفق ذهنه ورأى الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك الى المستقبل نظرة صادقة . فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محبا للخير ، عاش لعمل الخير وكان عظيما . يقول اصحاب فكرة التدريب . يجب مران الصبى على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة والارادة الحازمة .

النظرة الصادقة مشاهدة الشيء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع ما يتألف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره . ولا يمكن أن يتوفر هذا بصبي حرم النظر الدقيق والمرشد الأمين .

والرأى الحكيم أن يعال الصبي ما يرى وينظر الى ما ينهى اليه . المقدمات والنتائج ، يتبين الفاسد منها والصحيح ، الوهمى والحقيقى ، اثر كل منهما . وكان يمكن أن يعطل حدوته أو يفسد نتيجه . وما جاء عرضا وما جاء قصدا . وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل للظروف ؛ كيف نما ؛ كيف نم . ومتى راض الصبي نفسه على النظرة الصادقة والرأى الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة .

هل يمكن تربية الارادة ؟ . ان كتاب « بايو » فى تربية الارادة خير يحسن نقله الى اللغة العربية . حقيقة ان كلامه عن الحرية الشخصية المطابقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتقد تلك الحرية . أما القول أن الانسان مسير لارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة فى شيء . الحقيقة ان الانسان ليس حجرا يرمى به فى كل مكان ولا هو اله قادر على كل شيء . على أن القول فى ذلك لم ييسر به بعد . ومن المنطق المعقول انه اذا كان الامر وجهان حق لنا أن تأخذ بالادنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد . انما يراد بذلك : انه متى توفر لانشان النظر الصادق والرأى الحكيم يتعين عليه أن يمضى فيما اراد بزيمة صادقة لاتمل الجهاد ولا تعرف اليأس . لو ان انسانا تمرس بهذه الثلاث النظرة الصادقة والرأى الحكيم والارادة الحازمة لما بقى بينه وبين أن يكون عظيما سوى أن تظهره الظروف أو يرزق الخيلة لاطهار نفسه يقولون ان لكل شظيم سواس تقدموه الى ما قصد له . يريدون اشباه العظماء أو انصاف العظماء الذين يبدو لهم الغرض السامى يهيمون اليه وهم أقل من أن يدركوه فيسقط البعض فى الطريق ويضل البعض السبيل السوى . يأتى بعد

هؤلاء الرجال العظيم بدرس خطط سيرهم و يدرس مواقع اخطائهم يتخير اهدى السبيل الى غايته . فلهم عليه بذلك فضل التقدم وان لم يبلغوا شأوه .

ويقول اذا كان هؤلاء السواس فضل على العظماء ، افلا يكون للعظماء انفسهم الفضل بعضهم على بعض بما يقدم المتقدم منهم للآخر من قدوة صالحة ومثل اعلى ؟
الم نثر سيرة اسكندر النخوة في صدر يوليوس قيصر والم نثر سير عظماء

اليونان والرومان النخوة والمروءة والفضل في نفوس عظماء العالم حتى اليوم : ؟
لم أكن لاقدم على نقل سير هؤلاء العظماء الى اللغة العربية على ما بي من ضعف لولا الرغبة في لفت انظار مواطني الافاضل الى هذه النقودات الصالحة واستتارة نخوة الشباب الناهض الى العظام يخدمون بها الله والحرية والوطن
الفضل في ظهور هذه الترجمة

يرجع الفضل كله في ظهور هذه الترجمة الى مروءة صديقي الفاضل الاستاذ
اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور ومطبعتها . لذلك ارجو اليه أن يتفضل
بقبول شكري واحترامي لاحرم الله الادب من امثال الفضلاء .

ميخائيل بشارة داود

العظماء

ص

- ٩ — بلوطرخوس — مقدمة بقلم فيلمان
 ٢٠ — تيزيوس
 ٤٦ — رومولوس
 ٧٨ — الموازنة بين تيزيوس ورومولوس
 ٨٣ — ليكورجوس ×
 ١١٧ — نوما
 ١٤٢ — الموازنة بين ليكورجوس ونوما
 ١٤٩ — صولون ×
 ١٨٢ — بوبليكولا
 ٢٠٤ — الموازنة بين صولون وبوبليكولا
 ٢٠٨ — تيميستوكل
 ٢٣٨ — كامى
 ٢٨٧ — بركلس

بلوطرخوس

بقلم

فيلهار

قال مونتني (١) : لو أن بلوطرخوس كتب لنا شيئاً عن نفسه لكان استمتاعنا بمؤلفاته أعظم ، وادرا كنا لمعانيها أوضح ، وأثرها في نفوسنا أقوى . ومن لا تشوقه معرفة حياة ذلك المصور القدير الذي أبرز لنا صور العطاء ، وأطلعنا على دخائل نفوسهم في أبدع تصوير وأدق بيان ، ليعرف ما انطوت عليه مؤلفاته من خبرة وتفكير . نتمنى مونتني أن يعلم عن بلوطرخوس ما أعلننا هذا عن أولئك العطاء من التفصيلات المحسكة والحالات الانسانية الدقيقة ، التي تظهر آثار الطبيعة البشرية في التاريخ .

لئن أعجبنا بما في وصفه الدقيق من رقة وانسجام فإن ، لأسلوبه في الموازنة بين العطاء خطره في الكشف عن شخصياتهم أو هي قياسات من العلم والفلسفة يرسلها عليهم في تفكيره الهادي .

لنا في حوادث العصر الذي عاش بلوطرخوس في ظله ما يزيدنا معرفة بحياته الشخصية . انك لتعجب كيف نبغت تلك النفس الحرة الأبية في تفهم فضائل الجمهورية تحت نير الاستبداد والظلم اللذين جعلنا « اليونان » خاضعة ذليلة لحكم روما ، حين كان « دومتيانوس » يستذل روما ويستبعدا .

ان فلسفة بلوطرخوس عديدة المنابع ، شهدت تدهور فكرة تعدد الآلهة . وجهود جماعات من اليهود واليونانيين مبشرة بدين مقدس جديد ينطوي على أسمى مبادئ الحكمة القديمة ويستمد الكثير من فلسفة أفلاطون ومبادئ الرواقيين وكثير من مبادئ الجمهوريات القديمة كالاشتراكية والديمقراطية (الشعبية) الاخوية .

ان بلوطرخوس لا شهر كتاب العصور القديمة ، واسمه أكثر الاسماء دورانا على

الالسته، وذكره أوفر شيوعاً بين الناس . ولد في مدينة « شارونة » الصغيرة من أعمال « بيوتى » التى اشتهرت بانتصار فيليب واستعباد اليونان .

لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده ولكنه قال عن نفسه أنه كان يتلقى العلم في « دلفى » على أمنيوس أثناء سياحة نيرون في اليونان . وعليه يمكن القول بأنه ولد في آخر عهد « كلوديوس » أى في منتصف القرن الأول للميلاد . وهو سليل أسرة شريفة توارثت الميل الى درس العلوم والآداب وقد شهد في طفولته والده وجده ووالد جده ، ونشأ تحت تأثير العادات والاخلاق القديمة في ظل هذه الأسرة الهادئة التى أعانته نوعاً ما على التمكن من ذلك الخلق الرضى والعواطف الاجتماعية المحبوبة الظاهرة في مؤلفاته . رسخت في حفظته ذكرى والد جده « نيكارشوس » وما كان يلهم به ذلك الشيخ من وصف الولايات التى صبت على اليونان أيام حكم انطونيوس أحد أعضاء الحكم الثلاثى في روما . وحر وبه ضد أوكتافيوس حين اجتلب القتال الى مياه بلاد اليونان فأرهمق الاهالى بما كان يطلب من الامدادات وتكليفهم حمل الغلال على أكتافهم لتموين سفنه . وكذلك يذكر بانخيز جده « لمبرياس » معجباً بفصاحته وخياله البراق وانتعاش روحه . يروى عنه قوله والكأس في يده بين جماعة من صحبه العبارة التالية يتبع القول بالعمل . « ان الخمر تعمل بالعقل ماتعمله النار بالبخور ، تأخذ منه أزيكى وأطيب جزء فترسله بخاراً » .

كان بلوطرخوس كثير المفخرة بوالده لما كان عليه من فضل ووقار ومعرفة بالشؤون الدينية والفلسفة والشعر . يذكر له مع الاحترام طائفة من النصائح والارشادات القيمة تلقاها عنه أيام طفولته .

كان بلوطرخوس أخوان يحبهما حباً جاً . وقد تلقى في مدرسة أمنيوس التى دخلها صغيراً حيث تعرف بأحد أحفاد تيمستوكل ، العلوم الرياضية والفلسفة ، ولا شك في أنه تخرج في الآداب على أساتذة مهرة . وأثر الشعر ظاهر في مؤلفاته يظهر أن مواطنيه عهدوا اليه بالرغم من حداثة سنه القيام بمفاوضات مع المدن المجاورة ، فتاده هذا المسعى الى روما التى كانت حينذاك محط رجال البارعين من

صناع اليونان وفلاسفتها طلباً للشهرة والثروة ، سواء أكان ذلك باتصالهم بأحد من كبار رجالها ، أو باعطاء دروس خصوصية علانية في الفلسفة والبيان . ولم يهمل بلوطرخوس ولا شك هذا المقصد في سبيل الشهرة ، فقد قال عن نفسه أنه « لم يجد مدة اقامته في ايطاليا متسعاً من الوقت لدرس اللغة اللاتينية لكثرة ما كان لديه من المهام العامة المسكفة بأداها ، عدا مباحثاته في فنون الفلسفة مع العلماء الذين كانوا يأتون لاستشارته وسماع أقواله . وكان يخاطبهم بلغة بلاده جرياً على ماحرص عليه اليونانيون حينذاك من حمل الفاتحين على تعلم لغتهم وجعلها لغة الفلسفة والبيان .

من البين الواضح أن هذه الدروس العامة وتلك المحاضرات كانت أساساً لما نشره بلوطرخوس من المباحث الادبية .

كان فيلسوف شارونة (بلوطرخوس) يقوم في روما بوظيفة السوفسطائي . وكان هذا اللقب أصبح شائعاً بحسبونه دليلاً على الانحطاط الادبي . ولكن كثيراً من النوايا اضطاعوا بهذه المهمة في روما ومنها بهم شأنها وذاعت شهرة أصحابها ، فصاروا موضعاً للاضطهاد :

يعرف أن الفلسفة كانت في عهد امبراطرة الظلم والاستبداد ملجأ الحرية الوحيد بعد طردها من الفوروم (١) ومجاس الشيوخ . قضت الفلسفة فيما مضى على الجمهورية اذ لم تكن سوى شك معطل أساء العايشون إستخدامه ، ثم ارتقت بها الحال فصارت أشبه شيء بعقيدة دينية تعتنقها النفوس القوية ولم يكن لأصحابها وتلك حالهم من حكمة يتعلمون بها كيف يحتملون الموت . فاستحالت الفلسفة الى مذهب الرواقيين المعروف .

كأن بلوطرخوس شديد العداء لتعاليم ابيقور شديد الاعجاب والاحترام لافلاطون وتلميذه ، لاعتقادها بخلود النفس والعدل الآلهي والخير وهي مبادئ ان كانت أقل طهارة ونقاء من المبادئ المسيحية ، فانها كانت كافية لأنهاض النفوس الشريفة .

روى بلوطرخوس شيئاً عن غشاء الرومانيين الذين يحضرون دروسه فقال: بينما كنت التي درسي في روما وكان «أروليانوس روستيكوس» حاضراً وهو الذي قتله دوميتيانوس حسداً وغيره من يحمده، دخل جندي أثناء الدرس وسلم إليه مكتوباً من الامبراطور، فتولانا الجرع ولزمتنا الصمت ووقفت عن متابعة القراءة ولكنه أبى أن يفض المكتوب قبل نهاية المحاضرة واختتام الدرس.

وأروليانوس هذا هو الذي أطرى سجاياه تاسيتوس وبلينيوس الشاب بالاعجاب والاحترام، وهو صديق ترازياس وهلفيديوس، فهو حقيق أن يقتاله الظلم كما اغتال ذينك العظمين

ليس من الحق أن بلوطرخوس أقام في روما حتى أصدر دوميتيانوس أمره بنفي جميع الفلاسفة. ويزعم العلماء أنه كان يتردد على روما ولكنه لم يرحل اليها منذ بداعة حكم هذا الامبراطور، ومن المؤكد أنه عاد الى وطنه فتيماً تمت تأثير حب الوطن ورغبته في امتناع مواطنيه بما اقترن باسمه من الاحترام والرعاية. ثم تزوج مختاراً من اعرق بيونات شارونة زوجة تدعى «تيموكين» وكانت نفسه فياضة بالمواطف العائلية الشريفة يرددها بين الحنو والحب. وقد احتسب في ابنين وابنة وهم في المهد نخلد ذكرهم في كتاب عزاء أرسله الى زوجته ينطوى على حقيقة الالم الذي يليق بالنفوس الزكية الراقية، مصوراً فضائل الزوجة والوالدة في كثير من الاخلاق القويمة والتخيلات الشعرية التي تحجب الينسا مطالعة كتبه. والظاهر جلياً أن بلوطرخوس الذي وضع مؤلفاً في الحب الزوجي، وكان اول من روى لنا حديث (ابونين وسابيوس) قد ذاق ذلك الحب في أصفى حالاته وأسعدها. لذلك جاء بيانه وافياً مستفيضاً عن واجباته وبطولته

وفي مؤلفاته واقعة حل حقيقة بعصر اليونان الذهبي أكثر منها بعصر دوميتيانوس الحديدي. وتفصيل ذلك، أنه شجر خلاف بين بلوطرخوس وبين أهل زوجته لا تعرف أذن منشأه صلابته من هؤلاء ومالف أم مصالحة. ففرغت الزوجة الفتية لهذا الخلاف وخشيت أن يتطايّر شرره، فيمس ما تنم به من ذلك الاتحاد الزوجي العذب، فألحت على رجلها في الذهاب الى جبل «هاليكون» وتقديم ضحية للحب

(الآله) الذى كانت لا تعتبره تعاليم العصور الخالية آله المحبين وحارس عهودهم وموائيمهم لا غير ، بل الآله الذى يمد سلطانه على جميع الروابط العائلية والعواطف وأنه الموكل بصيانة الوق والوفاء فى العالم المادى . قبل بلوطرخوس القيام بهذه الرحلة المقدسة مع امرأته مصطحباً جماعة من أصدقائه وقدموا الضحية على مذبح الآله وعادوا بقلوب مطمئنة تحمل الحب والسلام ، وهما خير ما يوحى به الى الناس .

ان هذا لا يتفق وما رواه « أولوجل » من أن بلوطرخوس كان يؤدب خادمه بضربه بقضيب من حديد ، فرأى انلادم وهو يتوجع من شدة الألم أن يعيب على سيده القسوة ، فقال أن هذه الاساءة القاسية تدل على قلة ما فى نفسه من حب الفلسفة ، وجبهه بذلك المؤلف البديع الذى كتب ضد الغضب ، وأنه نسبه . فأجابه بلوطرخوس فى هدوء وسكينة أنحسبني غاضباً لأنى أعاقبك ؟ هل تبدو على وجهى علامات الغضب ؟ هل بدرت فى كبة مخجلة ؟ هذه علامات الغضب الذى نهيت عنه الحكماء . ثم اتفتت الفيلسوف الى الجلال وقال له . (على رواية أولوجل) « استمر فى عملك لا يموتك حديثى مع هذا الرجل . » ويقول لنا بلوطرخوس نفسه فى ذلك أنه لم يكن على شئ ، من ذلك الصبر ولا هذه الحدة . قال « حدث مراراً أنى غضبت على عبيدى ولكنى رأيت أخيراً أن الأليق بى هو أن أدع تسامحى يفسد أخلاقهم ، لا أن أدع الغضب يفسد أخلاقى ، وأنا أعالج اصلاحهم » .

وحري بنا أن نعتقد صدق هذا القول الذى يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة حسن الرعاية والخلق السامى الذى يبدو جلياً فى مؤلفات بلوطرخوس حتى يشمل الحيوانات . وهل يستطيع من يقول أنى لأرضى أبداً أن أبيع ثوراً هرم فى خدمتى ، أن يهزأ بتعذيب عبد ؟

كان بلوطرخوس شديد الاهتمام بشؤون وطنه ، شديد الغيرة على مابقى لمواطنيه من ظل الحرية فى عهد السيادة الرومانية . وكان يدعوهم الى تسوية مشاكلهم أمام حكمهم الوطنيين دون أن ياجوا الى القنصل أو الحاكم الرومانى . وليكون لهم قدوة صالحة ، تولى بنفسه جميع شؤون بادته (شارونه) التى تركتها روما للاهالى .

لم يكن حاكماً يشغل أرق مناصب المدينة لا غير، بل بقي زمناً طويلاً يؤدي عملاً حقيراً بكل ماله من دقة وانسراح. وكان ذلك رقابة عمل عام يوجب عليه قياس الترميد وقيد ما يقدم اليه من الاحجار. وهذا لا يتفق مع ما زعمه بعض القدماء من أن بلوطرخوس نال شرف تعيينه قنصلاً في عهد تراجانوس. يكذب سويداس راوى هذا الخبر، أمران: الأول عدم ورود ما يدل عليه في صحف التاريخ. والثاني: ما هو معروف من عادات الرومانيين.

وروى آخر أنه كان معلماً لتراجانوس وليست هذه الرواية بأصدق مما تقدمها. وغاية ما حدث أنه أهدى الى هذا الأمير مؤلفاً. ولكن بلوطرخوس تولى على ما يظهر منصب كاهن أبولون عدة سنوات وقد وردت في أحد بحوثه العبارة الآتية « تعلم أنه قد مضت عدة سنوات وأنا أمارس كهنانة أبولون، ولا أظنك تقول لى كفى يا بلوطرخوس، لقد مارست الصلاة كثيراً وطفلت بالوكب المقدس كثيراً وأدرت حفلات الرقص حول المذبح كثيراً وقد أصبحت شيخاً كبير السن وقد حان الوقت لتخلع عن رأسك التاج لتقدمك في العمر » وقد انضم بلوطرخوس وزوجته الى « أخوية باكوس » وهى اجتماع سرى كانوا يدرسون فيه تعاليم الاعتقاد بخلود النفس ونواب الآخرة وعقابها.

لا نعلم بالضبط تاريخ وفاة بلوطرخوس. ومن المحتمل أن يكون قد مارس الفلسفة حتى كبر كما يؤخذ من مؤلفاته وما تضمنته من النكات

إنا لنتمثله شيخاً امتلاً أياماً وخبرة، وقف من قومه موقف المعلم الخبير يروى لهم أخبار اليونان القديمة وأعمال أبطالها. يتدفق من فمه ذلك البيان الغزير وتحيط به تلك الهيبة الموقرة وتعلو وجهه تلك السداجة الرقيقة التى نعجب بها كلما تلونا مؤلفاته ان مؤلفات بلوطرخوس بسعته واختلاف موضوعاتها لا كبر مسوعة للحوادث والذكريات والأفكار التى وصلت اليها عن العصور الخالية. لأنها جاءت في عصر انحطاط علمى وفنى. الا أنها جاءت عظيمة فى أسلوبها وعباراتها يأتنس مطالعها ببلاغة اليونان القديمة ويتسمع بيانها في كل عصر من العصور فلا تختلف عنها

عبارة بلوطرخوس الابما طبعت به عباراته من السذاجة والرقّة والجودة ، اذ كان خياله بحمله الى عصر كل من الاشخاص والاشياء يحدثك عنه

لا تقول أن جميع مؤلفات بلوطرخوس في مستو واحد من حيث الفن والموضوع . ان من مؤلفاته الأدبية ما لا يستحق الذكر وليس به سوى فلسفة عامية . وكان هذا أثر الشباب أو السفسطة التي أطالت معه أجل العيوب الى سن الكبر . على أنا اذا رجعنا الى زمن تأليفها علمنا أنه لم يكن ليكتب ما كتب لو لم يكن على شيء كثير من المهارة والذوق السليم ، نهض به عن الاسفاف الذي كان عاملاً حينذاك . هذا عدا ما كان مطبوعاً عليه من الصفاء الطبيعي والتزام الحقيقة . ولا جدال في أن أجل مباحثه لم يعد في جوهره الفلسفة اليونانية ولم يعمل بها سوى أن لخصها مع فضله في اجادة صياغتها وأحكام سبكها وطبعها بطابعه النفسى ، حتى جاء ما نسقه منها غريباً في بابه .

لئن كانت مؤلفاته الأدبية لا تنطوى على شيء مما تسمو اليه تعاليم الرواقيين ولا خيال أفلاطون وحماسته ، فانها تملأ النفس شجاعة واقداماً على العمل ، إذ تستند الى الوقائع ، يزينها تصوير متقن وتشبيه حتى يخاطب القلب والعقل معاً . ولقد سما بلوطرخوس بمحاضراته الصغيرة الى مقام المؤلفات القيمة التي كانت نواة صالحة لأعظم الكتب ، كما كان بحثه في التربية أكبر معين لروسوفيا احتواه كتابه الشهير « أميل » من الآراء السامية والعبارات البليغة . لم يرد في مؤلفات بلوطرخوس الأدبية على وفرتها ذكر المسيحية . على أن « بلينيوس » يقول انها كانت في ذلك الوقت قد انتشرت في اقليم « بونت » المجاور لليونان حيث أقام كثير من المسيحيين ، وكانت المسيحية قد نفذت من زمن بعيد الى أثينا وغيرهما من أحط بقاع اليونان مدنية

ولقد أثار الدين المسيحي في روما ذلك الاضطهاد الفظيع الذي أشار اليه تاسيتوس في غير اهتمام . على أن اشارته جاءت شهادة صريحة . لان دومتيانوس الذي اشتدت قسوته أثناء اقامة بلوطرخوس في ايطاليا على الفلاسفة ، أهلك سرا كثيرا من تلاميذ الدين الجديد . لان الاقتناع القوى والايمان الذي يثير الحمية يقضيان

مضاجع الظالمين • ان الفيلسوف أمونيوس الذي تلقى بلوطرخوس عنه العلم ، ولد
بالاسكندرية وهى ، مثل المسيحية . فذا لم يكن قد اعتنقها فهو على الاقل مضطلع بأسرارها
ومن المدهش أن بلوطرخوس الذى كان يعنى تلك العناية الدقيقة بأخلاق
الناس وأرائهم لم يأت بكلمة عن دين تكلم عنه لوسيانوس بعد سنوات بتلك اللهجة
المرة التى تشعر بغيرة وحسد السوفسطائيين الذين قضت عليهم تلك السلطة الجديدة •
(سلطة المسيحية)

فهل كان بلوطرخوس يجهل هذه الحوادث وهى على مقربة منه ؟
لقد أشار العالم الاخلاقى الكبير « سنيكا » اشارة غير ممتضبة الى ما أذاق
المسيحيون من عذاب . أفلم لاحظ بلوطرخوس شيأ من ذلك مع أنه كتب بعد ذلك بثلاثين
سنة ؟ لنا فى حياة فيلسوف شارونة جواب ما نتسائل عنه • لقد عرفناه شديد الحرص على
اخلاق اليونان القديمة وآدابهم وكان والده وثيقا علما بالاسرار القدسية ، وكان
كثير العناية بشعراء اليونان وفلاسفتهم وعظماهم وكان يؤدى بكل دقة وظيفته
الكهانة ولم يزر يونان آسيا ولا سورية ، واطمأن الى سكنى يوتيا حيث كان للدين
من سداجة الاخلاق ما يصونه • فلا موضع للدهشة اذا رأيناه قليل الاهتمام
بدين جديد يحرص أصحابه على كتمان تعاليمه وكتبه المقدسة • وكأنه لم يكن يعلم
شيئا كثيراً عن اليهود ، فلم يذكرهم الا بالسخرية من حرصهم على يوم الراحة
(السبت) ولم يذكر عن دينهم سوى خرافة شائعة رواها تاسيتوس • فهو بطبيعته
وميله رجل العصور الماضية ينظر الى العادات القديمة نظار الرقيب الساذج . لهذا
لم يعبا بلوطرخوس بذلك الحادث الدينى الخطير الذى انتشر خفية فى جميع أنحاء
العالم وهو الحادث الذى نظر اليه بليينيوس وتاسيتوس بذلك الآباء الرومان المتراوح
بين السخرية والقسوة •

لا شك فى أن مؤلفات بلوطرخوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب
الحكمة القديمة . ولكن مؤلفه فى سير الغذاء له فوق ذلك ميزة جلى • انه يصور
الطبيعة الانسانية بسداجة بلغت غاية الابداع فترى فى أساوبه عامة ، شيئا من آثار
ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين فى بلاد اليونان وروما

أطلق بلوطرخوس على مؤلفه العظيم اسم المقابلات أو الموازنة بين سير العظماء. أراد بذلك تدوين موجز من سيرة عظيم يوناني يتلوه آخر من الرومان، ثم يقابل بين الرجلين ويظهرها بميزان واحد. أفلا يذكرنا هذا التعسف بنظريات المدارس الخيالية وتلاعب أصحاب البيان؟

وهل أنجد في التاريخ تلك العلاقات أو أوجه الشبه التي تقتضيها القرينة الخطائية لتوازن بين خطي عظيمين؟ ألا تمتنع علينا الدقة اللازمة إذا حاولنا التقریب بين طائفة كبيرة من العظماء؟ ألا يكون الكاتب مضطراً للاختلاق ليجد سبيلاً للمساواة أو التكلف لإظهار الخلاف؟ وهل يمكن ألا يقع الكاتب في التكرار والتزديد متى يتعمد رغم التاريخ إيجاد مشابهاة مستمرة عند ما يحشر عظماء شعبين في دائرة ضيقة كهذه؟ قد يكون المبرر الوحيد الذي حمل بلوطرخوس على ارتكاب هذه المشقة، هو أنه يوناني يشعر بأن وطنه تحت سيادة الرومانيين فوجد من العزاء أن يحدد مجد الفاتحين بالمقابلة بين كل عظيم منهم وبين آخر ممن أنبتهم أرض وطنه.

لقد عد المدققون من العلماء على بلوطرخوس كؤرخ غلطات كثيرة واتهموه لا بل أثبتوا عليه إهمالاً وخطأ في الوقائع والأسماء والتواريخ كما اثبتوا عليه التناقض في أقواله وعدوا عليه إخطاء يراها الناقد المدقق مما يشين المؤرخ. ولكنها لا تنفي شيئاً من نبوغه وعبقريته.

لقد اعترف بلوطرخوس رغم كثرة ما كتبه عن روما أنه لا يجيد اللغة اللاتينية. ومن المعلوم أن التدقيق التاريخي في العصور الخالية كان كثير العناء صعباً لا ضابط له. أما الآن فانا بفضل المطابع والنسب الطويل قد تيسر لنا جمع النصوص والآثار فأصلحنا إخطاء القدماء أنفسهم. ومع كل فأى خطر من قول بلوطرخوس أن تولى ابنة شيشرون لم تزوج سوى مرتين وأنه نسي كراسيب؟ وأي خطر من خطئه في اسم شعب أو بلد أو أنه حرف بعض عبارات «تيت ليف»؟ إن هذه الاستكشافات العلمية لا تمس جمال ما رواه المؤرخ. قد يدهشنا تناقضه في أقواله إذ يروي لنا في سيرتي عظيمين قصة واحدة بأسماء واحوال

٣ — العظماء

مختلفة متباينة . لا يؤخذ من هذا سوى أن الكاتب كان خطايا أكثر منه قادراً . وانه كان أكثر اهتماماً بالتصوير النفسى ودروس الحكمة منه بالتفاصيل ودقائقها . على أن هذا الأسلوب كان شائعاً بين جميع كتاب تلك العصور .

لا يسعنا بالرغم من كل هذه العيوب سوى الاعتراف بأن ما كتبه بلوطرخوس عن الغذاء هو من أكبر الآثار العلمية حتى من حيث التدقيقات التاريخية وانه آمن ما اهتدى اليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصلت إلينا مبتورة . فلولا بلوطرخوس ما عرفنا كثيراً من الحوادث ولا أسماء الكتاب . ولقد امتاز عدا ما كتبه عن غذاء اليونان بدقة وتوسع بأنه دون لعطاء الرومانيين كثيراً من الحوادث التى لم يأت بها سواه . لقد ذكر كثيراً من أقوال « تيت ليف » التى أبادها الزمن . وكثيراً من المؤلفات اللاتينية التى قرأها وانفرد بنقلها إلينا مثل خطب تيبريوس غراكوس ورسائل كورنلي ابنته ومذكرات سيللا ومذكرات أغسطس الخ . الخ .

أبى النقاد الذين استدركوا على بلوطرخوس أخطاءه أن يعرفوا له فضله منكرين عليه ما انطوت عليه رواياته من البلاغة مدعين عليه أنه مؤلف بمعنى (ناقل ماهر) لامصور بليغ، وانه نسخ أجمل عباراته عن غيره من المؤرخين . وهذا النقد غير وجيه . فقد رأينا بلوطرخوس عند ما تعرض له حاجة الى التمشي مع تيوسيديد أو ديودوروس أو بوليبيوس أو ترجمة شئ عن تيت ليف وسالوست ، يطبع ذلك بطابعه الشخصى فمن أقواله فى سيرة تسياس أنه يأسف لاضطراره الى معارضة تيوسيديد وان يبدأ عملاً سبقه اليه ذلك الاستاذ العظيم . فلنعرف لبلوطرخوس مجده فى الابداع المسائل حتى فى أوضاع قصصه ومزجه بين السمو والسداجة وفاق مواهبه وما تلقاه من العلوم الخطابية وسداجة أخلاقه وعاداته الشخصية . كم أكبر العلماء ما أوتى بلوطرخوس من السحر والبيان فى سير الغذاء وكم أفاضوا فى القول بين التحديد والتحليل فى تلك القوة العجيبة . ولقد قال توماس أنه موثقتى اليونانيين وانه لم يبلغ شأوه فى نبوغه وجرأته فى ابراز افكاره وتخيل عباراته التى لم يسلم اليها أحد الا قليلا من الشعراء

هل هذا الحكم عادل ؟ الا إن بلوطرخوس الذى سكنت ولانت حمة

لهجته تحت قلم أميوس الساذج المعتضب. قد سمت كلماته الى أرق درجات النبوغ والتخيل الانشائي. أية صورة أعظم وأى تمثيل حيوى أبلغ من صورة كور يولانوس فى منزل اتليوس أو وداع بروتوس وبورسى وانتصار بول أميليوس ورحلة كليو بطرة على ظهر سدنيس وذلك المشهد المؤثر الذى تصف فيه كليو بطرة منحية على نافذة القاعة العضاء التى لجأت اليها تبهج نفسها فى التلويح الى انطونيوس المتهور الجريح تجتذبه اليها وهى تنتظره تموت معه. ولم له من آيات فى الدقة والبلاغة والرصانة الحقيقية بالاعجاب. • يضاف الى هذا التصوير البارع بساطة تلك التفصيلات الشخصية التى تكشف عن حقيقة الرجل عند وصف الوقائع، فتهربز أعرق دخائله وتفضح صفاته

قد تكون هذه القدرة التى يعترف بها الجميع لبلوطرخوس سبباً لما وقع فيه البعض من غمط قدره وانكار روعة أسلوبه وبلاغة عبارته. على أن ما طبع عليه من البيان وتوخى الحقيقة هو الذى جعل له ذلك النفوذ العظيم على جميع أصحاب التخيلات الحادة. وهل تحتاج فى ذلك الى أكثر من ذكر شكسبير الذى لم تستمد قريحته الواقعة الحرة من أحد خيرا من بلوطرخوس المدين له بأعظم وأجل مشاهدته فى روايات كور يولانوس ويوليوس قيصر؟ وهل خلا موتنى وموتنيسكيو وروسو من أثر بلوطرخوس؟ لقد تأثروا بأدبه ومشوا على ضوء ناره. ان براعة أسلوبه واختياره أجل المواضيع شأناً من حيث التخيل والتفكير جملاً ومؤلفاته التاريخية موضع اعجاب الجميع وعنايتهم. ولقد حذق تصوير الانسان وابرار الطبيعة الانسانية فى أعظم صورها وأجل أعمالها. ان بيانه لا يزول أبداً، لأنه يلائم كل سن وكل حالة من حالات الحياة تلذ الفتى والشيخ، تبعث الحماسة وتعلمنا الذوق السليم

تيزيوس THÉSÉE

قد يقع عهد تيزيوس بين عامي ١٢٤٩-١١٩٩ ق.م

جرت عادة المؤرخين يا صديقي سوسيوس سمينسيون (١) عند وصفهم الكرة الارضية أن يحددوا من أطراف خرطوم البلاد التي لا يعرفون شيئاً عنها، ويعبرون عما هم هذا بقولهم « وبعد هذه الحدود رمال قاحلة تسكنها الوحوش الضارية » أو (انها مستنقع يغشاها الظلام) أو (صحراوات سيقى) أو بحر تغطيه الثلوج » واني لمقتف آثارهم فيما اكتب في الغطاء والموازنة بينهم . فبعد أن أمر بالازمنة التي تسمح الظروف بالكلام عنها، حيث التاريخ يستند الى الوقائع ، أقول عن العصور الخالية — « بعد هذه الحدود بلاد المعجزات والمآسى التي يسكنها الشعراء ورجال الخرافات حيث لاحقيقة ولا سند . »

لقد صرح عزمي بعد ما كتبت عن الملك ليكورغوس المشرع ونيوما، على أن اكتب عن روملوس، ولكنني وقفت متمثلاً قول آشيل « أبارز هذا؟ » من يستطيع مبارزة شجاع كهذا ؟ ومن فيه الكفاية لنزاله . . . ؟

لاح لي أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرناً وأن لا بأس بالموازنة بينه وبين منشىء روما المجيدة . راجياً أن أوفق الى اخراج الخرافى من تلك الحياة وأميز جوانب الحقيقة وان أفرغ عليها الصبغة التاريخية فاذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خانتنى الحقيقة ، فرجأى الى القراء أن يشملونى بصفحهم وأن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتساخيمهم .

رأيت تيزيوس وروملوس متشابهين فى غير موضع، ولد كلاهما خفية من زوج سرى، وعرف بأنه من أبناء الآلهة :

« كل منا يعرفهما، كلاهما شجاع قدير » (٢)

جماً بين القوة والحكمة وانشاء أعظم مدينتين فى العالم روما وأثينا . انشأ

(١) بدعوه اللاتينيون سوسيوس ، تولى منصب القنصلية غير مرة فى عهد تريبونوس

ومرة فى عهد نيمون

(١) من مقتطفات نشيد السبعة امام طيبة (اليونانية)

الأولى روملوس، وأوجد الآخر أهالي الثانية . اختطف كل منهما النساء بلا فرق بينهما وعرفا فكند العيش والاضطرابات المنزلية وانتهت بهما الحال الى أن جلبا على نفسيهما بغض مواطنيهما، على ما جاء في الاحاديث التي وإن كانت خرافية، فاتها لا تخلو من حقيقة .

يمتد نسب تيزيوس من جهة والده الى أريخنة والاولوتختيين (الاهالي الاصليين) ومن جهة والدته الى بيلوت الذي كان أقدر ملوك ييلوبونيز وأوسعهم شهرة ، لا من حيث ثروته فقط ، بل من حيث كثرة أولاده . وقد زوجهم كثيرا من بنات أعيان البلاد ، وبث أبنائه في حكومة المدن . وقد أنشأ بتيوس جد تيزيوس لأمه مدينة ترازين (١) واشتهر بالعقل والحكمة . وكانت الحكمة المحترمة حينذاك على ما يظهر مجموعة مواعظ أدبية من النوع الذي اشتهرت به قصائد هزيود في عبر الحوادث والايام . ومما ينسب الى بتيوس الحكمة الآتية « قدر خدمات صديقك حق قدرها »

وقد نسب ارسطو هذا القول اليه . ودلنا أور ييميد بقوله ان هيبوليت تلميذ القديس بتيوس ، على مقدار ما كان له من الشهرة وبعد الصيت لم يرزق ايجة ولداً . وكان شديد الشوق الى نسل . فاستوحت له الكاهنة (بتييا (٢)) فجاءها الوحي ينهاه عن الاتصال بامرأة قبل عودته الى آثينا فالتبس عليه معناه وأفضى به الى بتيوس عند مروره بمدينة ترازين وهذا نصه « أيها القدير تخضع الشعوب لا تحمل الساق الذي يخرج من الزق (القربة) قبل العودة الى آثينا . » فتأوله بتيوس على ما رأى ، لأنه جمع بعد ذلك اعتقاداً أو بعد نظره بين أتره ، وبين ايجة ، التي علم هذا فيما بعد أنها ابنة بتيوس . ثم داخله الشك في أنها

(١) مدينته في الاجوليد من ييلوبونيز

(٢) كاهنة الآلهة أبولون في دلفي كان يتعين أن تكون عذراء ثم أريد أن تكون في الحسنيين من عمرها وكانت تؤخذ من فقيرات دلفي من أخط أهلها نسباً ، جاهلة قليلة العقل وكانت قبل النطق بالوحي تصوم ثلاثة أيام تخضع ورق القار ثم يوثق بها فتجلس على أنفة . وقد ذات (ثلاث قوائم) تتصاعد منه أبحرة كريمة نكتة شديدة فتبولاها اضطراب شديد متعبون من عمل الروح الألهي ويتلقى كهنة الهيكل كلماتها بحرص وهم لا يتفككون عن تهيئتها وأذاها كلها تأخر الوحي عن النطق ثم يأخذون هذه الكلمات ويصيفونها شعرا من أقباع الاشعار يلزمون فيه الفموس

حبل ، فترك سيفه وغطاء قدمه (تزلك) وأخفاها تحت حجر ثقيل في حفرة ولم يطلع على سره سوى أتره وحدها وأوصاها اذا ولدت ابناً وبلغ أشده، وكان من القوة بحيث يستطيع رفع الحجر وأخذ ودیعة والده ان ترسله اليه حاملاً شارات التعارف هذه. ولا تعلم أحداً بذلك وأن تحرص على هذا السر الحرص كله. لأنّه كان يخشى مكر البلاتيديين (أبناء بللاسى الخمسين) (١) الذين كانوا يحتقرونه لانه لم يخلف نسلاً سافر ايجة ووضعت اتره ابناً يقول البعض أنه دعى لوقته تيزيوس (كلمة يونانية معناها وضع أو اعتراف بابن) إشارة الى شارات التعارف التي تركها والده ويقول البعض انه دعى بهذا الاسم في ائينا بعد أن اعترف به ايجة ابناً له . تلقى تيزيوس العلم في منزل بتيوس عن حاكم يدعى ضونيداس يقدم له اليونانيون كبشاً عشية الاعياد التيزية علامة احترام وذكرى، هو أولى بها من سيلانيوس وبارهازيوس حفار تيزيوس ومثاله

كان لا يزال من عاداتهم الذهاب الى دلفي عند تجاوز سن الطفولة يقدمون للآله ابولون با كورة الشعر. ذهب تيزيوس ولا يزال مكان الخفلة معروفا باسمه (تيزيا) ولكنه لم يخلق سوى الناصية كما كان يفعل الاويون (٢) على مارواه هوميروس وهذا سبب تسميتهم قص الشعر على هذه الطريقة (التيزية) وكان الاويون أول من اتخذها لم يقلدوا فيها العرب كما زعم البعض ولا الميزيين . فقد كانوا شعباً حربياً يأخذون العدو عن كئيب وقد برعوا في القتال اليدوي كما شهد بذلك اريخيوكوس (٣) في اشعاره التالية

« ليست عندهم رماحة ولا جيوش عديدة »

« سلاحهم المتفلاع عند ما يدبر » مارس »

« رعى القتال في السهل »

(١) كان بالاس شقيق ايجة وكان ابناؤه يعتبرون انفسهم ورثة عرش ائينا الشرعيين. وكانوا

يرقبون موت عمهم بذاهب الصبر

(٢) أهالي جزيرة اويا من أهل تراسى بدعواهم هوميروس أصحاب الشعور الخفية

(٣) شاعر ولد في باروس سنة ٧٠٠ ق م وهو مخترع الوزن المعروف باسم «ينب»

« والسيف عند اشتداد الملحمة »

« تلك هي الحرب التي برع فيها »

« المحاربون أصحاب أوبا »

كانوا يقصون نواصيهم حتى لا يمسك بها العدو ويقال ان هذا السبب هو الذي دعا اسكندر المقدوني أن يأمر قواده بقص على المقدونيين والحقبة أنه من السهل أن يمسك بها المحارب عند القتال .

كتمت اتره زمناً طويلاً أصل تيزيوس وأشاع بتيوس أنه ابن بتيون الآله الحامي لمدينتهم والذي يقدمون اليه با كورة أشعارهم . وكانت شارته على علمهم (نقودهم) ولما بلغ تيزيوس أشده ظهرت عليه مخايل القوة البدنية والشجاعة والشهامة جامعاً بين الحكمة والعقل فأخذته اتره الى مكان الحجر وأفشت اليه سر مولده وقالت له خذ شارات التعارف التي تركها والدك ونصحت له أن يرحل الى اثينا عن طريق البحر . رفع تيزيوس الحجر بسهولة ولكنه أبى أن يركب البحر الى أثينا بالرغم من إلحاح جده ووالدته . وقد ألحاً عليه في ذلك لأن طريق البر كان محفوفاً بالخطر لكثرة من كان يسكنه من اللصوص وقطاع الطرق

أنبت ذلك العصر كثيراً من الأشداء الأقوياء القادرين الذين لا يقهرون لبساتهم وشدة مراسهم ولكنهم بدل أن يستخدموا هذه الميزات في عمل صالح قصروا جهدهم على البطش والفتك والغدر والدعارة لم يستخدموا تفوقهم هذا الا لاشباع شهواتهم ونوراتهم ويستبدون ويظلمون ويقضون على كل ماتع عليهم أيدهم مقتنعين أن اكثر الناس لا يمدح الحياء والعدل والانسانية، الا لانهم لا يجراؤن على ارتكاب الظلم أو يخشون وقوعه على رؤوسهم . وكانوا يعتقدون أن هذه الفضائل لم تخلق للذين يمتازون على سواهم بتفوق محقق

قد أهلك هرقل في طوافه كثيراً من هؤلاء اللصوص وأوقع الرعب في نفوس الآخرين فكانوا يهربون عند دؤوه منهم غير يجترئين على الظهور أمامه فصار هؤلاء الاوغاد موضع سخرية . ولما نكب هرقل بقتله ايفيتوس انسحب الى ليديا وبقي هناك زمناً طويلاً في خدمة أومفال كغارة عن جريمته فتمتعت ليديا

بالسلام والطمانينة ولكن اللصوصية عادت الى الانتشار في أنحاء اليونان وطفئ
 سيلها من كل جانب اذ أمنت شر من يقف طغيانها . لهذا كان من الخطر أن
 يسير الانسان من يلو بونيز الى أثينا براً ولكي يقنع بتيوس حفيده تيزيوس بالسفر
 بجزاً وصفله كلاً من أولئك اللصوص وما هم عليه من بطش وقسوة على كل غريب
 ولكن قلب تيزيوس كان قد أوبل من زمن بعيد بالشهرة الذائعة التي نالها هرقل
 موضع اعجابه وكان يقبل بكلمته على سماع كل حديث عنه ووصف لشخصه لا سيما
 اقوال من رأوه وسمعوا حديثه وشهدوا مواقفه فكانت تبدو عليه الانفعالات
 النفسية التي أحسها من بعدهم يستوكل فدفعته الى القول (بأن انتصارات (أ) كاليل)
 ماتياس تحرمه النوم .) كذلك كان تيزيوس يحلم في نومه بحملات هرقل وبحس الغيرة
 والرغبة الشديدة في الاقتداء به والقيام بمثل أعماله . على انه كان من ذوي قربي
 هرقل . لانهما أبنا ابنا عمومة . ذلك ان اتره ابنة بتيوس والكمين ابنة ليسيدس
 وهذه شقيقة بتيوس وهى مثله ابنة هيودامى وبلوبس . لهذا كان يرى من العار
 الفاضح أن يقتفى هرقل آثار اللصوص يطهر منهم البر والبحر ، وان يحاذر هو خوض
 قتال يعرض له في سبيله . وكان يرى في هذا ما يخجل الآله الذى ينسبونه اليه .
 ويخجله أن يقدم لوالده الحقيقى سيفاً لم يصطبغ بالدماء وليس به أثر من شرف القتال .
 سافر على عزم ثابت الا يهاجم احداً بل يدفع بالقوة كل اعتداء . فاعترضه ،
 وهو يجتاز ارض اييدور ، سفاح يدعى بيريفتس لا يحمل سوى زقلة (١)
 دعى باسمها (الزقلة) فاوقفه وسد عليه الطريق ، قاتله تيزيوس فقتله وقدره باستيلائه
 على الزقلة وجعلها سلاحه يحملها على الدوام كما كان هرقل يلبس جلد الاسد فيرى
 الناس فيه هيئة الوحش الضارى الذى قتله . كذلك رأى تيزيوس انه اغتصب الزقلة
 وأنها أصبحت بين يديه سلاحاً لا يقل

واهلك في خليج كورنث سينيس ثاى اشجار الصنوبر (سمي بذلك لأنه
 ثنى شجرتى صنوبر وربط في كل منهما ذراع اسير وقع في قبضته ثم اطلق

(١) عصا ضخمة متينة ملتوية أحد طرافها كانت سلاحاً في جميع العصور الحالية وأشهرها
 عصا أوزقلة هرقل

الشجرتين فتمزق جسم الاسير) اهلكه تيزيوس على طريقتة التي اهلك بها اسيره غير متعمدا ظهار القسوة، بل اراد ان يثبت ان الفضيلة تعلو فنون الخبراء. كان لهذا اللص ابنة جميلة تدعى بيريجين، رأت والدها ميتاً فهربت الى الادغال، وتعمقها تيزيوس في الغابات السكيفة الملائى بالاشواك حيث القت بنفسها تصلى في سداجة الاطفال لتلك الاشواك قائلة، لئن حتمها من انظار تيزيوس فلن تقطعها ولن تحرقها. ولكن تيزيوس ادركها ونادىها بصوت جهورى واعدا اياها الا يمسه بسوء، وان يحسن معاملتها. فاطمأنت الى وعده وخرجت من الغابة وقابله وقد اولدها ابنا دعى ميلانيب، ثم خلفها على دايونة ابن ارتيوس من ايشالى، ثم خلف ميلانيب ولداً دعه يوكوس وهو الذى ذهب مع اويوس لانشاء مستعمرة في كزى ومن اجل ذلك كان البوكوسيون (نسبة الى والدهم) لا يحرقون البرموع (الهليون) بل يكرمونه على نوع من العبادة

كان في كروميون خنزيرة يقال لها فايومي وحش ضار شديد القوة أبت شهادة تيزيوس عليه أن يتجنبها في حين كان ذلك في وسعه، فتربص بها وقتلها حتى لا يقال انه لا يخوض القتال الا لدفع ضرر، واعتقاداً منه ان البطل لا يقاوم الناس الا ليدفع غائلة الاشرار، ولكن من الواجب عليه ان يهيج الوحوش الضارية ويعرض حياته للاخطار. ويزنم البعض ان فايما هذه كانت امرأة سفاقة فاجرة دعيت خنزيرة لسوء اخلاقها وتبذلها.

وأهلك تيزيوس عند حدود ميجار، سيرون، اذ رمى به من أعلى الصخر الى البحر. ويروى عن هذا القاتل أنه كان يسلب الغرباء وأنه كان يجمع بين غاظة القلب والكبرياء يدعو ضحاياه الى غسل قدميه ويغسلونهم يرفض الواحد منهم فيلقته في البحر. ولكن مؤرخى الميغاريين ينكرون ذلك. روى عنهم سيمونيد قولهم أن الميغاريين كانوا يشتغلون بالحراب، وأن سيرون لم يكن قاطع طريق ولا فاجراً عاتياً بل مبيداً للاشرار حامياً للذمار صديق رجال العدل والفضيلة وانهم يقولون في التدليل على ذلك ان ابا كون كان اتقى رجل في اليونان وأن سيشرة السلامينى نال شرف المناصب الدينية في أثينا، ولا يجهل أحد فضائل بيسالة

وتلامون . وكان سيرون هذا صهر سيشرة وحما أبا كوس وجد بيلة وتلامون أبناء اندايس ابنة سيرون وشاركو . فهل يعقل أن يكون هؤلاء الفضلاء شركاء رجل شرير وأن يعطوه ويأخذوا منه أعز وأتمن ما ينال الانسان ؟ ويقول أولئك المؤرخون أن تيزيوس لم يقتل سيرون في رحلته الاولى إنما قتله بعد ذلك عند ما استولى على اليزيس التي كان يحتلها الميغار يون وطرد حاكمها ديوكلس . هذه هي المتناقضات التي تروى حول هذا الموضوع

ولما بلغ في مسيره اليزيس تغلب على سرسيون الاركادى وقتله ، وسار منها الى أريمة التي لا تبعد عنها قتل داماست بتمديده على سيره كما كان يفعل هذا القاتك بضيوفه واقتداء بهرقل الذي كان يقع بالجرمين العذاب الذي أعده له . وهكذا اهلك يوزيريس وخنق أخته وقتل سيسنوى في معركة عنيفة وهشم رأس ترمير يوس ، فذهبت فعلة مثلاً ، والظاهر أن ترمير يوس هذا كان يهشم رؤوس المارة بأن يصدمها بعنف . فكان تيزيوس يعاقب الاشرار بما كانوا يفعلون ويقضى عليهم بالعذاب الذي كانوا يذيقونه لغيرهم .

ولما وصل الى شواطئ عسيفيز استقبله رجال من أسرة بناليد بالتحية والترحاب فرجا اليهم أن يطهره وبعد أن قاموا له بالتقاليد المعروفة أنزلوه ضيفاً في منازلهم . وكانت هذه المرة الاولى التي قبل فيها بالترحاب . ويقال أنه بلغ أثينا في اليوم الثامن من شهر كرونيوس المعروف الآن بشهر هيكابنيون (١) فوجد الاعمال العمومية محتلة لما كان قائماً في المدينة من الاضطرابات وكانت صحة ايجة معتلة لاضطراب شؤونه المنزلية وكانت ميعة المنفية من كورنت تمل الملك بالشفاء من ضعفه بالعقاقير . عرفت هذه المرأة تيزيوس فاضمرت له سوء عزمت على أن تقضى عليه قبل أن يعرفه ايجة . فأقنعت ذلك العجوز وكانت المخاوف تملأ صدره أن يدعوتيزيوس الى وليمة الضيوف حيث يدس له السم . حضر الوليمة على نية الايبدأ هو بالاعلان عن نفسه ليأتى التعارف من جانب والده وأراد أن يدلّه على نفسه باظهار السيف وهو يقطع اللحم المقدم به . عرفه ايجة وللحال قلب كأس السم ووجه

(١) بين يوليو وأغسطس .

أُسئلة الى تيزيوس ولما أجابه حياه تحية ابنه، ثم اعترف به أمام جميع الاهالى فاستقبلوه فرحين لما عرفوا من قدره. ويقال ان السم انتثر في ذلك الحى الدلفى الذى تحيط به الاسوار الآن حيث كان يسكن ابجحة ولا يزال العمود المربع الشرقى للهيكل يعرف حتى اليوم باسم عمود باب ابجحة.

كان البلانتيون لا يزالون على أملهم فى الاستيلاء على ملك ابجحة متى مات بلانسل فلما علموا أنه نادى بتيزيوس وريثاً له لم يحتملوا أن ابجحة الذى تبناه بنديون ولم تكن له صلة بأسرة نريختيد لم يكفه ان ملك طول حياته بل يريد ان يورث تيزيوس الملك من بعده. وما هو الا غريب مجهول النسب. فتأهبوا للحرب وقسموا الجيش الى فرقتين ليأخذوا العدو من ناحيتين. تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الملك من جهة سفيت. وكمنت الاخرى فى جرجتوس، وكان بينهم منادى انيودى يدعى ليوس افشى الى تيزيوس سر البلانتيين. فلم يضع الوقت سدى بل اسرع فانصب على الفرقة السكامنة وابادها. ولما بلغ خبرها الفرقة التى يقودها باللاس لاذت بالفرار ويقال ان اهالى قرية بالايين من ذلك العهد لا يزوجون ولا يتزوجون من الانبوزين، ولا يذكرون فى مناداتهم تلك الكلمات المعروفة «اكويت ليوس» (اسمع أيها الشعب) اجتناباً للفظه ليوس اسم ذلك المنادى الخائن.

(١٤) رأى تيزيوس مرانا لشجاعته وكثابا لعطف الشعب ان يذهب لقتال ثور مارا تون الذى أضر كثيراً بأهالى تيمرا بول فأخذه حياً. وبعد أن طاف به المدينة قدمه ضحية لابلون دلفى. ولما نحا لماروى عن «هيكاله» والوليمة التى أدبها له خاليا من الحقيقة لأن اهالى الضواحي كانوا يجتمعون فيما مضى ليقدّموا الى جوبتير الهيكالى ضحية يدعونها الهيكاليزية. يكرمونها بها هيكاله ويدعونها من باب التصغير والتعجب هيكالين. مثل ما فعلت هي عند ما استقبلت تيزيوس وكان اذ ذاك مازال حدثاً. تلك عادة العجائز اذ يصغرون الاسماء تحبوا وقد اندرت ان تقدم ضحية لجوبيتر اذا عاد تيزيوس من الحرب منتصراً. ولكنها ماتت قبل عودته فقام تيزيوس حفلة اعترافاً بفضل الضيافة التى لقها.

هذه رواية فيلوخورس (١) .

وحدث بعد ذلك بقليل ان مندوبي مينوس (ملك كريت) جاؤوا يطالبون الالهة للمرة الثالثة بدفع ماتعبدوا بتقديمه سنويا . وذلك انه لما قتل اندروجة ابن مينوس غيلة في الاتيك اضرم مينوس على الآثينيين حربا شعواء . وفي ذلك الوقت صبت الالهة على البلاد شر الويلات من عقم ومرض ونضوب انهار قتال وحى ابولون ان يهدأ غضب الالهة حتى يسترضى مينوس . فأرسلوا اليه المنادين يسألونه السلام فرضى على ان يرسل اليه الآثينيون مدة تسع سنوات سبعة أبناء وسبع بنات كل سنة . والمؤرخون على اتفاق في ذلك : ويقال في أرفع الروايات أن هؤلاء الابناء متى وصلوا الى كريت كان نصيبهم ان يزج بهم في اللابيرنت (البراءة او التيه) حيث يفترسهم مينوتور . او انهم يموتون ضالين في ذلك التيه وهم يحاولون عبثا الاهتداء إلى مخرج . اما مينوتور فيقول عنه اوريبس انه « جسم مزدوج ومخلوق فظيع » ويقول ايضا « انه مزيج من طبيعتين ثور وانسان . » ولكن فيلوخورس يقول ان الكريتين ينكرون ذلك ويقولون ان التيه ليس سوى سجن لامشقة فيه سوى استحالة الخروج منه . يضيفون الى ذلك ان مينوس اقام احياء لذكري ابنه العاا رياضية تكون مكافأة الفائزين فيها اولئك الابناء الذين يكونون في التيه . وكان الفائز في العهد الاول لتلك الالعاب أحد ندماء الملك وهو رجل يدعى توروس قامى القلب فظ الاخلاق سىء الطبع يكثر الاساءة الى فتیان أثينا . وينكر أرسطو في مؤلفه جمهورية البوتيين أن مينوس كان يقتل أولئك الفتیان، ويقول إنهم كانوا يقضون حياتهم في الخدمة مستأجرين . وحدث أن الكريتيين ذهبوا ولاء لنذر الا بكر من أبنائهم الى دلفي فانضمت اليهم سلالات الاسرى الآثينيين فغادروا المدينة جميعا ولكنهم لم يجدوا في دلفي ما يقوم بأودهم فذهبوا الى ايطاليا وأقاموا فرق قة يابج، ثم عادوا الى تراقيا ودعوا أنفسهم بوثيين . ومن أجل هذا تختم بناتهم احدى أغانيهم الدينية بقولهن : « لنعد الى أثينا » .

(١) مؤرخ أثيني في القرن الثالث ق . م .

من الخطر أن يعرض الانسان لبغض طائفة تعرف صناعة الكلام وتحقق فنونه .
فكم شنت المسارح على مينوس . ولم يفتن عنه قول هزيود « انه أكبر
المملك » ولا قول هوميروس « انه نديم جوبتير » فقد تغلبت عليه حملة الشعراء وصبوا
على رأسه من أعلى مسارحهم ألوان الهوان وسجلوا عليه القسوة . ومما قالوا فيه إن
مينوس مشرح الجحيم ولم يكن رادامت سوى منفذ لأوامر مينوس

(١٥) جاء الموعدة الثالث لاداء الغرامة ولزم عند ذلك اجراء الاقتراع عن آباء لاسر
ذوى أولاد . وكان هذا مشار لتذمر الاهالى ضد ايجة يتهمونه بأنه دلة هذه النسبة
وهو وحده الذى لا يناله نصيبه من الجزاء ، وقد نزل عن تاجه لابن غير شرعى
وانه لا يعنيه حرمانهم من أبنائهم الشرعيين . آلت هذه الشكوة نفس تيزيوس فاعتزم
مشاطرة الاهالى نصيبهم فى هذه البلية . فقدم نفسه مختاراً للذهاب بلا اقتراع ،
فأعجب الآثينيون بشهامته واكسبه الاخلاص جهم . وقد ألح ايجة على ابنه
ان يعدل عن عزمه واكمنه لم يستطع اقناعه لشدة مراسه واخيراً رضى له
ذلك ومن ثم اقترع على الآخرين .

اما رواية هيلانيكوس (١) فهي ان انتخاب هؤلاء الشبان لم يكن عن
اقتراع بل كان مينوس يختارهم وكان تيزيوس اول من وقع عليه اختياره واشترط
ان يقدم الآثينيون المركب التى تقلهم ، والا يكون مع الشبان الذين يبحرون
سلاح . وان تبطل هذه الغرامة عند موت مينوتور .

كان المعروف حتى الآن انقطاع الامل فى عودة هؤلاء الشبان لذلك كانوا
يجعلون شراع المركب عند اقلاعها اسود للدلالة على انهم يسيرون الى موت . مؤكداً
ولكن تيزيوس طيب خاطر والده وملاً قلبه ثقة بتغلبه على مينوتور . فأمر ايجة للبحار
بشراع ابيض واوصاه ان يفشر عند عودته اذا عاد ابنه سالماً وان يفشر الشراع
الاسود اينانا بوقوع النسبة . ولكن سيمونيدس يقول ان ذلك الشراع لم يكن
ايضاً بل كان مصبوغاً بعصير زهرة العفص فى لون خضرة الاغصان وتعرف
لصبغة الكرمس وهذه علامة النجاة من الموت .

(١) مؤرخ ولد فى لابسوس سنة ٤٩٥ ق . م . ولم يبق من آثاره سوى قطع منقورة

يقول سيمونيدس ان بحار تلك المركب هو امارسياداس فيريكولوس. واكن فيلوخورس يقول ان سيروس السلامي اهدى الى تيزيوس بحاراً يدعى نوزيوس ونوتياً يدعى فيا كس، لان الآثينيين لم يكونوا حينذاك يمارسون الملاحة، وسبب هذا الاهداء ان مينيس ابن ابنة سيروس كان بين اولئك الفتيان . يؤيدون هذه اذواية بائتمال الذي نصبه تيزيوس تكريماً لنوزتوس وفيما كس في فالير بالقرب من هيكل سيروس ، وانهم يقيمون عيد البحارة تكريماً لهما .

ولما تم كل شء ذهب تيزيوس بزملائه من بريتاناة الى هيكل دلفي وقدم عنهم للاله ابولون غصن الضراعة وهو غصن من الزيتون المقدس عقدت على رأسه شرايط من الصوف الابيض ، وبعد الفراغ من الصلاة ابخر يوم ٦ مونيشيون (ابريل - مايو) وجرت لذلك العادة حتى اليوم أن ترسل البنات الى دلفي تضرع للآلهة. ويزعمون ان الآله امره وهو في دلفي أن يتخذ فينوس (الزهرة) مرشدة يستعين بها في سفره . كما يزعمون ان العنزة التي كان يقدمها ضحية اقلبت تيساً لذلك لقبت الآلهة ايتراجي (تيسا) .

يقول اكثر المؤرخين والشعراء انه بعد نزوله الى كريت اولعت به اريادنة فاعطته مافاً من الخيط وعلمته طريق الخروج من التيه . وانه قتل مينوتور ثم ابخر عائداً مع اريادنة ورفاقه . ويقول فيروسيديس ان تيزيوس حطم المراكب الكريتية قبل ابجاره حتى لا تلحق به. ويقول دامن أن توروس قائد جيرش مينوس قتل أثناء المعركة البحرية التي وقعت بينه وبين تيزيوس عند الشاطئ لمنعه السفر. ولكن فيلوخوروس يقول أنه عند ما أعان مينوس الألعاب المعتادة اقامتها إحياء لذكرى ابنه ، شمل الحزن جميع الأهالي ابغضهم توروس وانتصاره على جميع أقرانه. بغضه اليهم سوء أخلاقه عدا ما كانوا يتهمون به من صلات غير شريفة مع الملكة «باسيفاية» ولهذا اذن مينوس راضياً لتيزيوس في منازلته . ولما كانت عادة الكريتيين أن تحضر النساء هذه الحفلات وشهدت اريادنة القتال فتنت بجمال هذا الشاب الآثيني وأعجبت بالمبارز الجريء الذي بر جميع أقرانه وقد دهش له مينوس ذاته لاسيما عند ما رأى توروس مغلوباً على أمره يضحك منه الجميع

ساخرين . حينئذ سلم الفتيان الى تيزيوس ورفع عن مدينة أثينا تلك (الدية) التي كانت تقدمها . تناول كليداموس هذا الموضوع من أعلى نواحيه . وذهب فيه مذهباً يخالف الجميع بشروحات مستفيضة . قال انه كانت هناك معاهدة بين جميع شعوب اليونان محرم تجهيز مركب بأكثر من خمسة بحارة ماعدا جازون ربان المركب أرجوس الذي كان يجوس البحار ليطهرها من القرصان ، وحدث أن ديدال هرب من كريت الى أثينا على زورق فتعقبه مينوس في عدة مراكب كبيرة بالرغم مما نصت عليه تلك المعاهدة . فألقت به العواصف على شواطئ صقلية حيث مات . سخط ابنه ديكاليون على الآثينيين وطلبهم بتسليم ديدال مهدداً بقتل الفتيان الآثينيين (رهائن مينوس) إذا أبوا عليه مطلبه . فأجابه تيزيوس في لطف معتدراً بأن ديدال ابن عمه وانه من أسرته لانه ابن ميروب ابنة اريختة وعمد في الوقت ذاته الى اعداد عمارة بحرية كبيرة أخفى جزءاً منها عند ثيموتادس في أتيكة بعيداً عن الطريق العام . وجزءاً عند بتيوس في ترزين ليجعل التسليح أمراً خفياً . ولما أعد عدته أبحر بقيادة ديدال ومنعني كريت . فلم يشك أحد في غرضه . وتوهمها الكريتيون عمارة أصدقاء . فاستولى تيزيوس على الميناء وأرسل جنوده وأمرع بمهاجمة مدينة سنوس ونشب القتال عند أبواب التيه فهلك ايكاليون وجميع رجال حرسه . واذ صارت اريادنة بوفاته صاحبة الملك استرضاه تيزيوس واسترد جميع شبان أثينا وعقدت معاهدة بين الكريتيين والآثينيين وأقسم هؤلاء ألا يعودوا للحرب .

وهناك روايات شتى عن اريادنة ولكنها لاتستند الى حقيقة تاريخية . يزعم البعض أن تيزيوس هجر اريادنة فشنت نفسها يأساً . ويزعم البعض أنها بعد أن أقلها البشارة الى جزيرة باكوس تزوجت من أوتاروس كاهن باخوس وأن تيزيوس ضحى بها في سبيل غرام جديد .

« كان يهيج الهيام بحب أجلة بنت بابويوس » . ويقول هرياز الميغاري (وهو كاتب مجهول) أن بيزاسترات سلخ هذا البيت من أسفار هزيود وأضاف اليه ارضاء للآثينيين بيتاً آخر هو ميرووس في مناجاة الأبطال .

« تيزيوس و بيرتيوس من أبناء الآلهة العظام .. (الأوذيسية) » .
 ويقول غير هولاء أن اريادنة رزقت من تيزيوس ولدين اونوبيون وستافيلوس .
 هذا رأى يون من اهالى جزيرة خيوس (١) الذى يقول عن وطنه :
 « المدينة التى انشأها اونوبيون بن تيزيوس » . وكل ما يروى من هذه الخرافات شائع
 على اللسان . ولكن المؤرخ بايون (٢) (من اماتونت) اذاع عن هذه الحادثة
 رواية تخالف سابقتها . زعم ان العواصف املت تيزيوس على شواطىء قبرص . وكانت
 اريادنة حبلى . معذبة فأنزلها الى البر . وفيما هو يستوثق لمركبه دفعته الرياح الى عرض
 البحر . فأخذت نساء الاهالى اريادنة واجتهدن فى أن يخففن عنها آلام الوحدة
 واطلعهن على خطابات مدعيات ان تيزيوس كتبها اليها . واكثرن من العناية بها عندما
 اخذها الموضع . ولكنها ماتت قبل ان تلد فأدين لها واجب الجنائز . عاد تيزيوس
 بعد ذلك فخرن حزناً شديداً لموتها . وقدم الى الاهالى مبلغاً من المال لتقديم ضحية
 اكراماً لذكراها . وأقام لها تمثالين احدهما من الفضة والآخر من النحاس .
 وما زال يحدث فى التقدمة التى تقام فى الثانى من شهر جوربيوس (سبتمبر) ان
 ينام شاب على سرير يقصد صراخ وتأوهات المرأة عند الخوض . وما زال يدعو
 اهالى اماتونت الغابة المقدسة التى فيها مقبرة اريادنة غابة اريادنة —
 فينوس الزهراء .

ولكتاب تاكوس رواية اخرى . اذ يزعمون انه يوجد اثنان باسم مينوس
 واثنان باسم اريادنة . الاولى تزوجت باخوس فى ناكوس وهى والدة ستافيلوس
 والاخرى قزمية العهد ، اختطفها تيزيوس ثم هجرها فجأة الى ناكوس ومعها مرضعها
 كورين وما زال قبرها شاهد . وقد ماتت اريادنة . هذه فى الجزيرة ولا تتفق
 الحفلات التى تقام لهذه مع تلك . الاولى تقام بين البهجة والسرور . والاخرى
 يمازجها الحداد والحزن .

غادر تيزيوس كريت ونزل الى دالوس وبعد ان قدم الضحية الى ابولون وقدم
 تمثال الزهراء الذى اخذ من اريادنة ، رقص مع الشبان الاثينيين رقصة مازال

(٣١)

الدالوسيون يمارسونها وهي عبارة عن خطوات متوازنة تتجه وتتقابل في نواح مختلفة على مثال منحنيات وتعريجات التيه. ويقول داسبارك إن الالهة يدعونها رقصة الكركي. وقد رقص تيزيوس هذه الرقصة حول سيراتون (القرن) وهو هيكل تتألف واجهته اليسرى من قرون الحيوانات، ويقال أيضاً إنه أقام حفلة لعب في دالوس وهناك قدم الى الفئزين سعب النخل. ولما دنا من أتيكا أنسى الفرح تيزيوس وبجارته الشراع الأبيض الذي من شأنه أن يبشر إيجة بالعودة السعيدة، فبلغ اليأس من إيجة أن رمى بنفسه من أعلى الصخر فمات لوقته.

دخل تيزيوس الميناء وأدى الضحية التي نذرها للآلهة في فالير عند سفره وأرسل المنادي يبشر المدينة بعودته فلقى المنادي أناساً يسكون وفاة الملك. واستقبله الآخرون بفرح عظيم وأهدوا اليه الاكليل جزاء البشري التي حملها اليهم. وأخذ الاكليل وطوق بها عصا السلام (١) ولما عاد الى البحر كان تيزيوس لم يفرغ بعد من أداء فروضه الدينية فبقى خارج الهيكل حتى لا يكدر التقدم. وبعدها أعلن وفاة إيجة فاندفع الجميع الى المدينة منتجين باكين. لذلك تراعهم حتى اليوم في أعياد أوسخوفوريس يتوجون عصا السلام ذاتها، لا البشير. وعند نهاية العيد يصيح الجميع ايلوليا - يو! - يو! - فالصيحة الاولى صيحة المهرولين الفرحين، والثانية صيحة الدهشة والاضطراب.

وبعد ما دفن تيزيوس والده أدى في السابع من شهر بيانيسيون (بين اكتوبر ونوفمبر) نذره لابلون لأنه يوافق يوم عودتهم الى أثينا بعد تلك الرحلة الموقفة. ويقال إن سبب غليهم الخضار في ذلك اليوم هو أن الشبان طبخوا في وعاء واحد كل ما بقى لديهم من المونة وأكلوها معاً. وهم يحملون في هذه الاعياد غصن زيتون مكسو بالصوف على ما كان يفعل المبتهلون حينذاك إذ يملقون عليه باكورات الاثمار اشارة لا تقطاع العقم من أتيكا وهم يشدون الاشعار الآتية:

« يحمل الغصن تيناً وخبزاً، مغدياً.

١ - عصا من شجر الصفصاف أو الزيتون في رأسها جناحان وقد التفت حولها حيتان متقابلتان. « اشارة السلام والتجارة » والحيتان رمز الحكمة والحيلة والاجبنة دلالة النشاط

« وعسلا في كوتيل (١) وزيتاً صالحاً للطعام .

« وكأساً من النبيذ الجيد يسكرك وينيمك .

ويقول البعض إن هذه الأشعار كتبت تذكراً لما كان يقدمه الالينيون للهرالكين، ولكني تخيرت أكثر الروايات تقريراً .

(٢٢) أما المركب ذات الثلاثين مجدافاً التي ركبها تيزيوس ورفقه عادوا بها سالمين إلى أثينا فقد غنى الالينيون بصيانتها إلى عهد ديمتريوس دي فليز، فكان كما نخر من أخشابها جانب انزعوه وأحكوا وضع جديد مكانه . ويدكر الفلاسفة هذه المركب في أبحاثهم عن طبائع الأشياء ، فمنهم من يقول إنها هي بذاتها، ومنهم من يقول أنها غيرها، أي مركباً أخرى .

وتيزيوس هو الذي أنشأ عيد أوسخوفوريس لأنه في الحقيقة لم يصحب إلى كريت جميع البنات اللواتي وقع عليهن الاقتراح ، بل اختار شابين من أصدقائه في ملامح البنات ، ولكن قلبيهما عامران بالشجاعة والحزم وجعلهما يستحمان بالمياه الساخنة وأن يبقيا في الظل وأن يدلكما جسديهما ليحفظا نعومتهم والترضص بشرتهما وأن يعطرا شعورهما ، ثم مر بهما على تقليد أصوات البنات وحركتهن وألبسهما ثياب النساء وغير من عاداتهما حتى صار من المحال أن يشك الناظر اليهما في جنسهما ، وتحمت ثياب هذا التذمكر خلطهما بالفتيات فلم يكونا موضعاً للظن . وبعد العودة قام هو وصديقه بموكب حافل مرتدين الثياب التي يلبسها اليوم الذين يحملون الاغصان المقدسة في هذا العيد . ويقال إنهم يحملون هذه الغصون تكريماً لباخوس وأريادنة ! إشارة إلى أن تيزيوس ورفقه عادوا إلى أثينا إبان حصاد الأثمار . ويقوم (الدينوفوريون) الذين يعدون هذه الحفلة بكل ما يعمل أثناءها بتمثيل أمهات الذين وقع عليهم الانتخاب . فيقدمون اليهم جميع ألوان الطعام ويقصون عليهم الكثير من الخرافات كما كانت تفعل الأمهات اللواتي كن يروين لأبنائهن القصص تعزية واحياء لشجاعتهم . ويرجع الفضل في بيان هذه التفصيلات للمؤرخ

رامون . ثم خصصت قطعة من الارض لبناء هيكل لتيزيوس ، فأصر أن تقوم الاسرة التي فرضت عليها تلك الجزية بنفقات الضحية ، وجعل الوكالة فيها لاسرة نيتالديس ، وهكذا وفي تيزيوس لتلك الاسرة بحقوق الضيافة التي لقيها منها .

(٢٤) وبعد وفاة ايجة نهض تيزيوس بمشروع خطير مدهش وهو جمع أهالي الأتيك كلهم في مكان واحد ليجمع منهم شعباً واحداً في مدينة واحدة . كانوا قبل ذلك متفرقين في قرى مترامية فيصعب جمعهم للمداولة في الشئون العامة ، عدا أنهم كانوا متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم طاف تيزيوس بنفسه بكل قرية وحادث كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه ، فلم يتردد متوسطو الحال والفقراء في قبوله . ولكي يستميل كبار التوم وعدهم بإنشاء حكومة بلا ملك ، تكون فيها الحكامة للشعب والا يبقى لنفسه سوى قيادة الجيش وصيانة القوانين . وأن يتمتع كل وطني بما يتمتع به هو من الحقوق فيما عدا ذلك فاقنعهم البعض وخشى البعض سلطانه الذي استفحل أمره وداخله الخوف من جرأته . فآثر القبول راضياً خشية أن يكره على ذلك . فهدم أماكن الاجتماع والمجالس في كل قرية وألغى محاكمها وابتنى للجميع مجتمعاً واحداً وغرفة واحدة للمداولة وأطلق على المدينة والقرية اسم «و أئينا» ، فكان المجتمع لجميع الاثينيين . وأجرى النقدمة المعروفة باسم «و ماتوسى» ، التي تقدم في السادس عشر من شهر هيكتونيبون (بين يوليو وأغسطس) ولا تزال حتى اليوم . ثم ربوعه فتنازل عن الملكية وعنى بتنظيم شئون الدولة ، وكانت العبادة أول همه . واليك ما أجابت به الآلهة رداً على سؤالاته منبهة بحظ المدينة « ياتيزيوس ابن ايجة وابن ابنته بتيوس .

« أراد والذي أن تتعلق كثير من المدن من حيث مصالحها وحظوظها بمدينةتك » .

« فلا تجمل قلبك نهياً » للافكار مثل القرية . فبالرغم من العذاب ستجتاز البحار »

ويقال إن الوحي تنبأ بعد ذلك بزمان للمدينة بأن :

« تكوني كالقرية . تبثلين ولكنك لا تفرقين »

(٢٥) ورغبة في زيادة عمارية المدينة سن شرعة المساواة بين جميع من يرغبون سكنها. ويقال إن النداء المعروف (أيها الشعوب تعالى جميعاً) هو النداء الذي استخدمه تيزيوس لجعل أثينا ملتقى جميع الأمم. خشى بمد ذلك أن يؤدي هذا التراحم إلى اضطراب الجمهورية، فقسم الشعب ثلاث طبقات: الأشراف والفلاحون والصناع. خص الأشراف بالمناصب الدينية والحكم وسن الشرائع وتأويل العدة المقدسة، وبهذه الميزات تساوت مع الطبقتين الآخرين، امتاز النبلاء بمناصب الشرف، والفلاحون بمزايا منتجاتهم، والصناع بوفرة عددهم. وقال أرسطو إن تيزيوس أول من آثر حكومة الشعب وتنازل عن السلطة المالكية. وقد أثبت هوميروس قبله هذه الحقيقة لأننا نخصص الأثينيين وحدهم بالقب «شعب» عند تعداد السفن (الزيادة) ثم ضرب تيزيوس سكة (عملة) عليها صورة ثور قد يكون ذكرى ماراتون أو إشارة إلى قائد جيوش مينوس، أو أنه قصد بذلك ترغيب الأهل في الزراعة ويقال إن هذه العملة سبب ما يدور على الألسنة من قولهم «إن هذا يساوي مائة ثور أو عشرة ثيران».

ثم أنه وحد ما بين أتيكا والأراضي الميغارية روابط وثيقة العرى ونصب على البرزخ ذلك العمود المشهور وكتب على جانبيه العبارتين التاليتين بياناً لحدود البلدين. كتب على الجانب الشرقي «ليست هنا باليلوبونيز. هذه يونيا». وكتب على الجانب الغربي «هنا باليلوبونيز. وليست يونيا».

اقتدى تيزيوس بهرقل في إنشاء الألعاب. أقام هرقل الألعاب الأولمبية تكريماً لجو بتير، فطمح تيزيوس أن يقيم اليونانيون ألباً برزخية تكريماً لنبوتون. أما الاحتفالات التي كانت تجري في هذا المكان فلها كانت تقام تكريماً لـ (ماليسوت) إيليا، وكانت أدنى إلى تناول الأسرار منها إلى عيد عام. ويزعم البعض أن الألعاب البرزخية كرسست لسيرون، أقامها تيزيوس كفارة عن قتله إحدى ذوى قرباه وسيرون هذا هو ابن كاتتوس وهانوشة بنت بتيوس ويزعم البعض أنها كرسست لـ (مينس) لا لـ (بيرون) ومهما يكن من أمرها فقد اتفق تيزيوس مع الكورنثيين أن تكون لمن يحضرها من الأثينيين المقاعد الأولى وأن يكون لهم منها ما يوسع ما يغطي شراع السفينة تيورى منشوراً.

ثم قام تيزيوس برحلته الى (بونت اكسين) ويقول فيلاخور وس وغيره إنه رافق هرقل في حملته على الامازون (النساء المترجلات) وكان فوزه انتيوب جزاء بسالته. ولكن جملة الكتاب ويذهم فراسيد وهيلا نيكوس وهارودور يزعون أن رحلته حدثت بعد حملة هرقل على سفنه الخاصة وأنه أسر الامازونة. وهذه أشبه بالحقيقة لان الرواة لم يذكروا عن سواه أسرا امرأة مترجلة. ويقول يون إنه احتال على أسرها. وذلك أن الامازونات (المترجلات) صديقات الرجال بطبيعتهم فلم تهرن عند نزول تيزيوس الى شواطئ بلادهن وأرسلن اليه هدايا الضيافة؛ فطلب الى المرسلة أن تنزل الى مركبه؛ فما كادت تنزل اليها حتى أقلعت سفينته. كذب رجل يدعى مانا كراكت تاريخاً عن نيسة وفيثيني روى فيه أن تيزيوس عند عودته بانتيوب قنّى أياماً في تلك الربوع وكان في صحبة ثلاثة شبان أخوة من أثينا وهم اينوريوس وتووراس وصولون، وقد أطلع الأخير بحب انتيوب ولم يفض بسرّه الا الى واحد من أصدقائه ولكن انتهى به الأمر الى مكشفة انتيوب بغرامه فانكرت عليه في لطف وحكمة ولم يشك أمره الى تيزيوس. ولما نُس صولون ألقى بنفسه في النهر ففرق وعندئذ علم تيزيوس نبأ الشاب وما كان يمانيه من لوعة الحب الألم، فأعادت هذه الحادثة الى ذاكرة تيزيوس وحى الكاهنة وهو الأمر الذي تلقاه في دلفي بأن ينشئ مدينة في أرض غريبة حيث يشعر بألم موجع وأن يقيم فيها صحبه حكماً، فأنشأ مدينة دعاها بيتوبوليس (اسم الآله) ودعا النهر المجاور لها صولون احياء لذكر ذلك الشاب. وعهد الى اخوى صولون بحكم المدينة. وسن لها شرائع وترك معهم هرمس أحد سكان أثينا وما زال أهالي بيتوبوليس يطاقون على أحد أماكن المدينة بيت هرمس؛ ولكن تحريفاً بسيطاً في هذا الاسم جعله اسم إله لا اسم بطل

والظاهر أن حرب المترجلات لم تكن عن طيش ولا من أجل امرأة. هل يمكن أن يمسكون حول أثينا ويفشرون القتال حولها، اذا لم يكن قد امتلكن تلك الاراضى ثم أخذن في مهاجمة المدينة بتلك الجرأة؟ أما اجتيازهن البرسه نور على جليد من الثلج فليس مما يسهل تصديقه. ولكن تسمية جملة أماكن في أثينا

باسمائهن ، وتلك المقابر التي دفن بها من هلك منهن في القتال ؛ فدليل على أنهن قد
عسكرن في وسط المدينة

تردد الجانبان طويلا محججين عن القتال ولكن تيزيوس عملا بمشورة الوحي قدم
ضحية لآله الخوف وبدأ الهجوم في شهر بوديروميون (بين سبتمبر و أكتوبر) في
ذلك اليوم الذي لا يزال الأثينيون يقدمون فيه القرابين لبوديروميون . وقد قال
كليداموس في شرح هذه الموقعة إن المترجلات بلغن المسكن المعروف اليوم
باسمهن ونشرن جناحهن الأيمن في « حرزانيسه » وأخذ الأثينيون في مهاجمة
الجناح اليسر كما تدل على ذلك قبور القتلى التي لا تزال قائمة عند مدخل بيرة ،
فتقهقر الأثينيون متراجمين أمام المترجلات ، ولكن القوة التي هاجمت الجناح
الأيمن ردت العدو حتى معسكره بعد أن فتكت به فتكا ذريعاً وانتهى الأمر
من القتال بعقد معاهدة بين المتحاربين بواسطة أسيرة تيزيوس التي يقول البعض
إنها قتلت وهي تحارب بجانب رجلها ، وأقيم فوق جثتها عود هيكل الأرض
الاولمبية .

ولا غرابة أن تضطرب الروايات عن حوادث كهذه طال عليها القدم . الا يقال
اليوم إن الامازونة الاسيرة كانت تمهد سبيل النجاة لمن تقع في الاسر من
أخواتها ؛ وان قتلى الحرب دفن في الاماكن المعروفة باسمائهن ؟ وما أكثر ما يعدون
من مقابر تلك المترجلات في أنحاء شتى ؛ والظاهر إنهن لم يخترقن اراضي تساليا
بلا قتال .

هذا ما رأيت تدوينه عن حرب الامازونات ولكن أحد الكتاب ذهب
إلى القول بأن اسيرة تيزيوس هي التي حرضت أخواتها على اقتحام تلك الحرب انتقاماً
لنفسها من رجلها الذي مال عنها إلى الزواج من فيدر ؛ وان هرقل أباد تلك المترجلات .
وهذه خرافة خيالية لا حقيقة لها لأن القائد الاثيني لم يتزوج من فيدر الا بعد
وفاة أسيرته وقد رزق منها ابناً يدعى هيبوليت أوديموفون . أما الولايات التي
عانها من جراء هذه الزوجة الجديدة وابنها وأجمع على صحتها المؤرخون
والشعراء ؛ فلا ريب فيها .

ثم أقدم على الزواج من كثيرات لم يكن زواجه منهن على شرف ولا انتهى
بسعادة . وقد اختطف امرأة ترزنية تدعى انا كسو . وبعد أن قتل سنيس وسيرسيون
اغتصب بناتهما . ثم تزوج من باريبسة والدة اجاكس ثم فيريبيه ديوبه . بنت
ايفيكاس وعيب على زواجه من أجلة بنت بانويوس انها حملته على هجر عشيقته
ار يادنة في ندالة ولؤم . ثم جاء احتطافه هيلانة التي عمت الحرب من أجلها جميع
اتيكا فكانت كما ستره سبباً لنفيه وموته

يرى هيرودور أن تيزيوس لم يشترك الا في الموقعة التي دارت بين اللاتينيين
والمتوريين بينما كان لا بطال يقومون بمواقع حربية مشرفة . ويرى غيره بالعكس
من ذلك أنه رافق جازون في السكولشيد وانه باشتراكه مع ماليجر هزم خنزير
كاليدون وكان ذلك منشأ المثل المعروف « لا بد من تيزيوس » ويزعم له البعض
أعمالاً بحميدة وانه دعى هرقل الثاني . وانه كان عوناً على اكتشاف جثث القتلى
الذين ماتوا وهم يقاتلون عند أسوار طيبة على غير ما رواه أوريبس في مأساته
« المتوسلات » التي يكذبها فيها اخيلوس في مأساته (الاليزيون) وكان ذلك
على أثر قتاله مع الطيبين الذين تمكن من اقناعهم بعقد هدنة وهذه اصدق رواية
وكانت هذه أول هدنة عقدت لدفن القتلى واكن المعروف عن هرقل أنه كان
يرد جثث القتلى الى أعدائه ؛ على ما رواه تيزيوس نفسه

أما حكاية صداقته مع بيريتاوس فذلك أن هذا أراد امتحان شجاعة
تيزيوس الذي ذاع صيته فاختطف قطعاً من ثيران ماراتون ولما علم أن خصمه
يطلبه ثبت رابط الجأش فلما وقعت العين على العين امتلأت نفس كل منهما
اعجاباً بالآخر وأخذ كل منهما بجمال الآخر وأنفته وأبهته فبسط بيريتاوس يده
الى قرنه وسأله أن يقدر ما خسره معلناً استعداد القيام بكل ما يطلبه فاعفاه تيزيوس
وطلب اليه أن يكون صديقه وأخاه في القتال فقسم كل منهما للآخر أن يكون له
الصديق الوفى الى الأبد

حدث بعد ذلك أن بيريتاوس الذي تزوج من ديداميدا صديقه لزيارته البلاد
والتعرف باللاتينيين ودعا السنطوريين ايضا الى الوليمة ، ولكن هؤلاء اغفلوا في سكرهم

واجب الوقار ومدوا يدهم الى النساء فنقم الالهالى عليهم ذلك وهموا بهم فقتلوا البعض فوراً وافنوا الكثيرين في حومة القتال بمساعدة تيزيوس وطردوا الباقين من البلاد

ولكن هيرودودوروس روى هذه الحادثة على غير هذا الوجه قائلاً ان الحرب كانت قائمة عند ما ذهب تيزيوس لمساعدة اللابيتيين وانه انتهر هذه الفرصة فذهب الى تراخين لقرمها منه لمقابلة هرقل الذى كان يستريح من عناء حروبه ، فتبادل البطالان عبارات التهاني وعواطف المودة . ولكن الأرجح هو ما رواه القائلون بأنهما تعارفا قبل ذلك بزمان بعيد وان هرقل بفضل تيزيوس تناول الاسرار ، ومن قبلها التطهير ، وهو ما كان فى حاجة اليه لما اقترفه على غير علم من الاخطاء . قال هيلانيكوس ان تيزيوس كان فى الخمسين من عمره عند ما اختطف هيلانة التى كانت دون سن الرشد . وقال البعض تبريراً له من هذه الجريمة الشنيعة انه لم يحتفظها بنفسه ، ولكن ايداً ولينة هما اللذان اختطفاهما وأودعاها أمانة بين يديه وأنه أبى أن يردّها الى دياسكوروس عند ما طلبها منه . وقيل أكثر من ذلك أن تندار هو الذى عهد بها اليه خوفاً من أنرسوفوروس بن هيبوكون الذى كان ينوى اغتصابها عنوة وهى دون البلوغ . ولكن أشبه الروايات بالحقيقة التى تؤيدها الشهادات الكثيرة ، هى أن تيزيوس وبيرتياوس ذهبا معاً الى إسبارطة واختطفاه هيلانة وهى ترقص فى معبد ديانة اورتيا ، وهربا بها . وأن الذين اقتنوا أثرهما لم يتعقبوها الا الى حدود تيجة ولما اجتاز السالبان حدود بيلوبونيز وصارافى مامن اقتربا فيما بينهما على هيلانة على شريطة ان من تصير نصيبه يعاون الآخر على اختطاف أخرى . كانت من نصيب تيزيوس ولم تكن بالغة اشدها بعد ، فذهب بها الى ايفدنس وأودعها والدته إتره وجعلها فى حى انيدنوس صديقه وأوصاه بشدة اليقظة وكتمان السر . وبرا بوعده لبيرتياوس ذهب معه الى ابيرة لاختطاف ابنة ايدنوس ملك المولوس . وكان هذا يدعو زوجته بروسيرين وابنته كوره وكلبه سيربير . وكان من عادته أن يعرض خطاب ابنته لمقاتلة ذلك الكلب مع الوعد باعطائها لمن يتغلب عليه . ولكنه علم أن بيرتياوس جاء لاختطاف الابنة

لا ليطالبها زوجة . قبض على الخاطفين وجعل بيريقتاوس فريسة لكلبه
سريبر . واحتفظ بتزيوس أسيراً .

ولكن مانسته بن باتيوس وحفيد أوانوس بن لرخته أول من عرف
معاني الدعاية والشهرة واختبر تأثير الخطابة المملقة ؛ آثار كبار الوطنيين واهاجهم
ضد تزيوس الذي سبقت منه الاساءة اليهم ، اذ حرّمهم سلطانهم في قراهم
وحشّهم في مدينة واحدة حيث جعلهم من رعاياه بل عبيده ، وكان يثير الجمهور
عائبا عليه الانخداع لشبح من الحرية . في حين أنه يجرّد الوطنيين من أوطانهم
وعبادتهم عائبا عليهم احتمال مستقبل أجنبي مجهول الاصل بدلا من . لو كهّم الصالحين
وحكامهم الشرعيين

ولم يسعد مانسته في دسائسه وغاياته شيء أكثر من حرب التنداريين
الذين أغاروا على أتيكا مسلحين بناء على دعوته ، كما روى ذلك بعض المؤلفين
لم يبدأوا بالعداء بل طلبوا أن ترد اليهم اختهم . فاجلبهم الاثينيون
أنها ليست لديهم وانهم لا يعلمون أين هي . تاهب التنداريون للقتال ولكن
أكاديموس ولا ندرى كيف علم السر أبلاغهم أن هيلانه مخبوءة في افيدنس .
فخصه التنداريون جزاء هذا الفضل بالاحترام والرعاية طوال حياته . —
وكنالك السبارطيون الذين كثرت غاراتهم على اتيكا بعد ذلك وامنعوا فيها
نهباً وسلباً كانوا يحرضون على عدم المساس بمحذائق الاكاذمية اكراما لأكاديموس
ولكن ديسمارك يقول انه كان في جيش التنداريين اركاديان يدعى أحدهما
اخاديموس والآخر ماراتوس ، . سمى هذا المكان باسم الاول وكان يقال له
أكاذمية ، ثم أكاذمية . وسميت قرية ماراتون باسم الثاني لانه اجابة لامر الوحي
قدم نفسه ضحية على رأس الجيش . سار التنداريون الى افيدنس واكتسبوا
المعركة وأخذوا المدينة عنوة . . ويقال ان اليكوس بن سيرون لقي حتفه هناك
ذ كان يحارب من أجل الديوسقوريين وان المكان الذي دفنت فيه جثته في

أرض الميجاريين لا تزال تدعى باسمه . وقل هاراياس ان اليكوس هلك في
أفيدنس بيد تريوس نفسه . مستشهداً بالبيتين الآتين الذين قُيلا في اليكوس
.... في أفيدنس ذات الربوع الخضراء

كان يقاتل لاسترداد هيلانة الحشاء . ولكن تريوس — قتله (١)
على أنه ليس معقولا أن يكون تريوس موجوداً وتستطأ أمه وأفيدنس
في أيدي الاعداء .

وإذ سقطت أفيدنس اضطرب الاثينيون وتمكن مانسته من اقناع
الشعب أن يفتحوا الابواب للتنداريين وان يستقبلوهم استقبال أصدقاء قُيلا
انهم لا يعلنوا الحرب إلا ضد تريوس الذي بدأهم العداء وانهم مخلصون للوطنيين
ومنقذوهم . وقبجاء سلوكهم مبرراً لهذه الشهادة . لم يطلبوا مع ما لهم من السيادة
سوى أن يتسلموا الاسرار المقدسة بصفتهم من ذرى قري الاثينيين على مثال
هرقل . تبناهم أفيدنوس كما تبني بليوس هرقل وسلمهم الاسرار الالهية ودعاهم
« اناس » (٢) منحوا هذا اللقب اما لانهم حبوا المدينة السلام . واما لانهم
منعوا الاذى عن الاثينيين ، بالرغم من جنود جيشهم العرمرم بينهم . يطلق هذا
اللقب على من يتولى العناية ، الحماة ؛ ولعل هذا هو السبب في اطلاقهم
لقب اناكتوس على الملوك . ويقول البعض ان التنداريين منحوا هذا اللقب
لظهور نجوم في السماء تمت هذا الاسم من كلمات اتيكية تدل على
ما هو في العلاء .

ويقال انه قبض على « اتره » والدة تريوس وسيقت أسيرة الى لاسيديمونيا
(سبارطه) ومنها سارت مع هيلانه الى ترواده يعتمدون في ذلك على بيت شعر
لهوميروس (٣) « اتره بنت بتاوس ، وكليمن النجلاء . »

(١) لا يعرف قائل هذين البيتين

(٢) — ملك . (٣) الالياذه

ويقول البعض ان هذا البيت مدخول على قائله لا يقل كذبا عما يروونه عن
مونيخوس الذي يدعون انه ثمة غرام سرى بين داموفون ولاوديس وان اثره
اخفته في إليون . ويقول إستر (١)

في كتابه الثالث عشر عن اتيكا غير هذا . يروي عن بعض المؤلفين ان
اسكندر الذي يدعوه التساليون باريس انهزم في موقعة ضد اشيل وبتروكل
ياقرب من نهر سيرخيوس ، وان هكنور استولى على مدينة ترازين وعرضها للسلب
والنهب وقاد اثره التي تركوها هناك . وهذه الكذب الروايات .

نزل هرقل يوما ضيفا على أيدونائوس المولوسي وقصه الامير حادثة بيريتاوس
وتزيوس وما كانا يقصدا ان اليه ، وما نالهما من العقاب . حزن هرقل لما نزل باحدهما
من موت مخجل وخشى على حياة الآخر ، لم يرفأة من الكلام عن بيريتاوس
وطلب اليه ان يتفضل فيسلمه تزيوس فاجابه الى طلبه . صار تزيوس طليقا وعاد
الى اثينا حيث لم تكن الغلبة قدمت على اصحابه . وكان اول همه ان كرسى الهياكل
التي خصه بها الاثينيون ، باسم هرقل واستبدل اسماءها من التزيوسية الى الهرقلية
ولم يبق لنفسه على رواية فيلوخورس سوى اربعة . حاول في ايامه الاولى ان يتولى
الحكم وادارة الاعمال على ما كان له . ولكن الفتن والاضطرابات قامت في وجهه .
فاقتنع ان اعداءه التقدماء اضافوا الى بغضهم له احتقاره لضعفه . وان الشعب قد
فسد فبدل ان يطيع صامتا صار يطلب ان يتزلف اليه . حاول ارغامه بالقوة ولكن
المحرضين والخطباء شلوا جهوده . بنس من استعادة سلطانه فارسل اولاده خفية
الى اربا عند الفانورين خالكودون ؛ وبعد ان صب لعنته على الاثينيين ؛ في
خرجوتوس في مكان لا يزال يدعى ارتاريون ، ابجرالى سيروس : ظانا انه سيجد
بها اصدقاء وكانت له بالجزيرة املاك موروته .

كان ليكومدحين ذلك ملكا على سيروس ، ذهب اليه تزيوس ورجا اليه ان

يعيد اليه املاكه لانه ينوى الاقامة هناك . ويقول البعض انه طلب اليه نجدة ضد الاثينيين ولكن ليكومدخشي جانب رجل له تلك الشهرة من جهة وارا دمرضاة مانسته من جهة اخرى سار بضيغه الى قمة الجبل مدعيا الرغبة في ان يري به املاكه ورمى به من اعلى الصخور فتردى تزيوس في سقوطه . ويقول البعض انه قدزلت قدمه وهو يتمشى على عادته بعد العشاء . لم يعبأ احد حينذاك بموته . واستتب الامر لما نسته في اثينا ، وعاش ابناء تزيوس كفراد الناس عند الفانور وحضروا معه حرب ترواده مات مانسته في ذلك الحصار وعاد الابناء الى اثينا واستولوا على مقام ملكيتها . عاد الاثينيون بعد قرون الى تكريم تزيوس كبطل دعته الى ذلك جملة اسباب اهمها ان كثيرين من الجند توهموا انهم رأوه في موقعة ماراثون يتقدم الجيش محاربا البربر .

كان فادون حاكما بعد الحرب « المادية » . وأمرت الكاهنة الاثينيون الذين جاؤا لاستخارتها ان يجمعوا عظام تزيوس وان يحتفوا بدفنها وان يحرسوا عليها . ولكنه لم يكن من السهل إيجادها ولا معرفة القبر لان سكان الجزيرة كانوا همجا غلاظ الاكباد لم يعاشروا أحد من الشعوب ولم يعاملوا أحدا . ثم حدث ان سيمون على مارويته في سيرته استولى على جزيرة سيروس فعنى بهذا البحث . رأى على ما يقال نسرا لينقر رجلة من الارض وينبش بمخالبه وكان وحيا الهيا هبط على سيمون واحتفر هناك فوجد نعشا رجل طويل القامة . والى جانبه رمح وسيف . نقل سيمون هذه الرفاة على مركبه ، عم السرور جميع الاثينيين واستقبلوا رفاقته في حفاوة مهيبة وقدموا الضحايا كأن تزيوس عاد حيا الى المدينة . وأودعوه وسط أثينا في المكان المقام عليه الآن ملعب الجمناز (الرياضة البدنية) وهو ملجاء العبيد والضعفاء الذين يخشون ظلم كبار القوم . والحقيقة ان تزيوس كان طوال حياته حيا المظلومين ومحبيب دعوة المستغيثين .

يقيم الاثينيون الضحايا تكريما له في الثامن من شهر بيبانيسيون (اكتوبر / نوفمبر)

اليوم الذي عاد فيه من كريت مع رفيقه . وهم يحتفون بتكريمه أيضاً في الثامن من كل شهر . وقد يكون ذلك لأنه عاد لأول مرة من ترازين الى أثينا في الثامن من شهر هيكتونيبون (يوليو -- أغسطس) كما قال ديودور البرياني . (١) أولانهم رأوا إن هذا العدد اليق به . اذ انه ابن نبتون وهم يقدمون الضحايا لهذا الآله في الثامن من كل شهر . وسبب ذلك ان عدد ثمانية أول مكعب لأول عدد زوجي . ومضاعف أول مربع ؛ ويمثل قوة نبتون الثابتة التي لا تتغير . ذلك الآله الذي ندته . اسفاليوس (٢) وجايوكوس (٣)

«١» كاتب يكثر ملوك رخوس من ذكره . له مؤلف عن المقابر . ولم يعرف بغير هذا
«٢» الذي يدعم أساسات الارض «٣» الذي يحتضن الارض .

رومولوس

من ٧٦٩ الى ٧١٥ ق - م

لم يتفق المؤرخون لاعلى موجد اسم روما ، ذلك الاسم العظيم الذى ذاع
 مجده بين جميع الامم ، ولا على سبب تسمية المدينة بهذا الاسم . يقول البعض
 أنه بعد أن طاف البلاسجيون العالم تقريباً وأخضعوا كثيراً من الامم خطوا
 رحالهم في هذا المكان ودعوا مدينتهم روما تنيها لها لسلاحهم من قوة (١)
 ويقول البعض إن بعد سقوط ترواده نجا جماعة من اهلها وتيسر لهم الحصول على
 سفن: ثم قذفت بهم الرياح فرسو على شواطى آريريا بالقرب من نهر التير . وكان
 التعب قد انهمك قوى نسائهم ومات مشاق السفر وكانت بينهم واحدة تدعى
 روما لا يقل زكاؤها عن كرم محندھا اقترحت عليهم اضرام النار فى السفن
 فعمان بنصيحتھا . غضب الأزواج ثم استسلموا لضرورة الواقع واقاموا حول
 جبل بالاتن . حيث فقت معادتهم ما كانوا يؤملون وجدوا من الارض خصوبة
 ومن الاهالى ترحيبا ولذلك خصوا روما بالاكرام ، وأطلقوا اسمها على المدينة التى
 كانت سبباً لوجودھا . ويقال أن عادة تسليم الرومانية على اهلها وأزواجها
 بقبلة على الفم اصلها أن الترواديات بعد اشعالهن النار فى السفن كن يبدئن غضب
 أزواجهن بالتوصل اليهم وتقبيلهم على هذا النحو . ويزعم البعض أن روما التى
 دعيت المدينة باسمها هى بنت ايطالوس ولوكاريا ، ويقول آخرون انها بنت
 تالاف بن هرقل وأنها تزوجت أنياس (أنيه) ويقول آخرون ان اسجاني بن
 أنياس كان زوجها . وهؤلاء يدعون أن الذى بنى روما هو رومانوس ، بن عولوس
 وسرسة ، ويدعى أولئك ذلك لروموس بن اماتيون ، الذى ارسله ديومد الى
 ترواده ؟ ويقول البعض أن الذى وضع اساسها هو روموس ملك اللاتينيين بعد

(١) معنى كلمة « رومي » اليونانية قوة.

أن طرد منها الترهينيين الذين جاءوا من تساليا الى ليديا ثم من ليديا الى ايطاليا .
 وادعى من ذلك أن الذين يدعون ولهم الحق أن رومولوس دعا المدينة باسمه
 غير متفقين فيما بينهم على أصل رومولوس ذاته . يحسبه البعض ابن انياس واكستيا
 بنت قورباس . وانه نقل اذ كان طفلا مع اخيه روموس الى ايطاليا وإن نهر
 التيرطى فخطم جميع السفن الاسفينة الطفلين التى دفعها بلطف الى شاطئ ممهد
 ونجت على غير المنتظر ودعيا المسكان روموس . ويقول آخرون أن روموس بنت
 واكستيا هذه تزوجت لاتينوس ، بن تملك فولدها رومولوس . وينذهب البعض
 الى أن رومولوس هو ثمرة اتصال سرى بين أميليا بنت انياس ولافنيا
 بالاله مارس .

ومن الرواة من يتحدث عن ميلاده باغرب انحرافات . يزعمون ان
 تارختيوس ملك الالبونيين وهو من أفلم الناس وأقساهم ؛ تراءت له وهو فى
 قصره رؤيا الهية ؛ رأى رمز اله التناسل خارجا من بيته ليلا حيث قضى بضعة
 أيام ، وكان فى ازوربا وحى تانيس فرسل هذا الملك يستشير فاجاب الوحي
 ان عذراء تتصل بهذا الاله ويكون لها ولد جليل الشأن يتفوق على جميع رجال
 عصره بشجاعته وقوته وحظه . أفضى تارختيوس الى احدى بناته بهذا الوحي
 وأمرها باتمامه . لم تراه الفتاة ذلك وأرسلت احدى خادماتها غضب الملك عند
 ما علم الخبر وهم بقتل الفتاتين . ولكن الالهة فيستا تراعت له فى حلم ونهته عن
 قتلها . امر بفتيه أن تنسج قطعة قماش ووعدهما أن يزوجهما متى أتمتا فكأنتا
 تشتغلان طول النهار حتى اذ جاء الليل أمر تارختيوس نساءه بحل ما نسجتا .
 وضعت الخادم التى حملت من فالوس (اله التناسل) (توأمين) سلمهما الملك
 الى رجل يدعى تاراتيوس وأمره بقتلهما . وضعهما الرجل عند شاطئ النهر

(١) يدعى فلوطا رخوس شقيق رومولوس ، روموس ا . اما جميع اللاتينيين
 فيدعونه راموس .

وهناك أسرعت اليهما ذئبة وأرضعتهما بما تحمله من الغذاء وأخذت الطيور ترقرقهما، تلتقط من الغذاء

بقيت هذه الحال الى أن رآها راعي بقر فأخذته الدهشة لذلك ثم اجتراً على الدنو منهما وأخذ الطفلين . ولما شبا قاتلا تراختيوس وهزماده . هذه رواية كاتب يدعى بروماتيون (١) في مؤلفه تاريخ ايطاليا

أما أشبه الروايات بالحقيقة والتي أجمع عليها أكثر الشهود فهي رواية ديوكلس البينارسقى التي أذاعها قبل سواء بين اليونانيين وأيدها فايوس ييكتور (٢) وقد وقعت بها اختلافات الا انها في مجملها ما يأتي

انتهى ارث سلالة أنياس الملكيين الى الاخوين . نوميتور واموليوس قسمه اموليوس الى قسمين أحدهما المملكة والآخر المال والذهب الذي جرى به من ترواده . اختار نوميتود المملكة ولكن اموليوس صار بماله أقوى نفوذاً من أخيه وسلبه التاج بأهون سبب . خشى أن تلد بنت أخيه أبناء فجعلها « فستا » كاهنة حتى لا تنزوج وتتضي حياتها عذراء . بعضهم يدعوها إليا . والبعض ريا وآخرون ، سلفيا ، ولكنها وجدت بعد قليل حبلى خلافا لقوانين الكاهنات . شفعت لها انثونيت الملك لدى والدها فأبقى على حياتها . خشى اموليوس أن تلد على غير علم منه فأودعها سجنًا ضيقاً لا يراها فيه أحد . وضعت توأمين من أجمل وأفخم ما تلد الوالدات . ازداد خوف اموليوس فعهد الى خادم ان يعرضهما للهلاك . ويقال ان ذلك الخادم يدعى نوستولوس ويقول آخرون ان هذا اسم الذي التقطهما . وضع الخادم الطفلين في مهد ونزل يلقي بهما في النهر ولكنه وجد التيار شديداً فلم يجزاً على النزول فالقى بهما على الشاطئ وعاد . هدأت المياه واحتملت المهد بلطف الى أرض مهيمة تدعى

(١) كاتب مجهول . (٢) أقدم مؤرخي اللاتينيين معاصر هنيبال وكتب حوادث روما ولم يبق منها شيء تقريباً

اليوم سرمانوم وكانت تدعى جرمانوم . وظنى ان ذلك لان اللاتينيين يدعون الشقيقين « جرمان » وكان على مقربة من هناك شجرة تين برية يدعونها « رومينال » ويظن البعض أن هذه التسمية نسبة الى رومولوس او لان الحيوانات المجتره كانت تذهب وسط النهار فتستريح فى ظلها . او ان ذلك نسبة لرضاع الطفلين هناك . وذلك ان قدماء اللاتينيين كانوا يدعون الثدي « روما » ويدعون الالهة التى تعنى برضاع الاطفال رومليا . ولا يدخل الحمر فى تقديماتها أما المظهر فكان من اللبن

هناك بقى الطفلان ترضعهما الذئبة ، يعاونهما الشترق فى تغذيتهما والعناية بهما . وهما من الحيوانات المفترسة للاله مارس . ويخص اللاتينيون الشترق بعبادة خاصة وهم كذلك يصدقون شهادة الوالدة ان الطفلين ابنا مارس . ويقول بعض المؤرخين ان ذلك وهم منها . لان أموليوس كان مسلحاً بالسلاح حينما دخل يغتصبها . ويقول البعض ان اسم المرضع كان فى هذه انظرافة تورية لاحقيقة . لان اللاتينيين كانوا يطلقون كلمة ذئبة على أنثى الذئبة والموس وتلك كانت حالة زوجة فوستولوس الذى عنى بتربية الطفلين . وكانت تدعى أكالارنسيا : يقدم اليها الرومانيون كل سنة التقدّمات فى شهر ابريل ويقوم كاهن مارس بصلاة الجنازة ويُدعى عيدها عيد لارنسيا .

وهم يكرمون أيضا لارنسيا أخرى للناسبة التالية .

حدث ان حارس هيكل هرقل رأى فى ساعة ملل ان يقترح على الاله مقامرة بالنرد (الزهر) يشترط اذا ربح ان يمنحه الاله ما يريد . واذا خسر قدم للاله وثنية فاخرة وحسناء ينام معها . اتفقا على ذلك واتى النرد عن هرقل أولا . ثم عن نفسه فكان الخاسر . فوفاء بعهده أدب للاله مادبة نفخة واستأجر له الانيسيا التى كانت فى ريمان صباها لانزار الا قليلا . وأقام سرير الوثنية فى الهيكل . واذا انتهت المادبة احتجز لارنسيا ليستمتع بها الاله . ويقال ان هرقل استمتع بها حقيقة وأمر

ان تذهب باكرا الى الساحة العمومية وتقبل أول رجل تقابله وتتخذة خليلا وكان أول من قابلته وطني عجوز وغني جداً قضى حياته حتى تلك الساعة أعزباً. وكان يدعى تاروتوس . لقي لارنسيا لقاء حسنا جدا وعلق بها حتى انه عند موته ترك لها أموالا عظيمة . أوصت بمعظمها للشعب الروماني . ويقال انها نعمت بشهرة واسعة وكانت تكرم بمصفتها خالصة آله عند ما اختفت فجأة على مقربة من المكان الذي دفنت فيه لارنسيا الاولى . وهو يعرف اليوم باسم فلابر : مأخوذ من ان مهر التبركان يعطى احيانا فيجتازه الناس على قارب الى الفوروم . (ساحة المدينة) واجتياز المياه على هذا النحو يقال له (فلاثورا) ويقول البعض ان الذين كانوا يقيمون الالعاب للشعب كانوا يمدون الاقشمة من المكان الى الملعب (السرك) مبتدئين بهذه الساحة . والرومانيون يدعون القماش « فلا » هذا هو أصل الحفلات التي يقيمها الرومانيون للارنسا الثانية .

قام فوستولوس راعي خنازير أموليوس بتربية الطفلين في منزله على غير علم من احد . ويزعم البعض وهو أدنى الى الصواب ان نوميستور كان يعلم ذلك وانه كان يدهما بما يحتاجون اليه خفية . نقلا بعد ذلك الى جاني . (١) ليتعلما اللغة وكل ما يجب ان يتعلم الاشراف .

دعى رومولوس وروموس نسبة الى الندى لانه قد شوهد ان الذئب ترضعهما . وكان لهما من اعتدال قامتيهما ووسامة وجهيهما ما يدل منذ الصبا على ما يكون لهما من شأن . وكلما زادت أيام حياتهما . ازداد كل منهما شجاعة وجسارة واقداما عند الخطر . ولكن رومولوس كان يفوق اخاه بسلامة الذوق والمهارة في تدبير الامور . ففي المرعى او القنص او كل علاقته مع جيرانه . يبدو عليه أنه خلق للقيادة أكثر منه للطاعة . لذلك كانا محبوبين من جميع زملائهما ومن كانوا دونهما . اما وكلاء الملك ورؤساء قطعانه الذين لم يربا لهم عليهما فضلا في

(١) مستعمرة البيا في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلا من روما.

الشجاعة . فكانا يحتقرانهم ولا يعبان تهديدهم وغضبهم وسارا في حياتهما سيرة
الاحرار . ولم تكن الحرية في نظرها البطالة بل العمل برياضة البدن . القنص ؛
الركض . القضاء على قطاع الطرق والصوص . حماية المظلومين من ظلم الظالمين .
بذلك اكتسبا شهرة واسعة .

وحدث ان رعاة نوميتور اشتبكوا مع رعاة امولوس في معركة واختطفوا
منهم قطعانا فاستاء رومولوس وروموس لذلك واقتفوا أثرهم وستوا شملهم وعادوا
بالغنائم التي سلبت . فزع يوميتور لذلك ولكنهما لم يعبا بالامر وكانا قد
حشدا جنداً من الاهالى والعبيد بحجة انقاء العصيان والثورة . وجرى بعد
ذلك ان رومولوس كان غائباً يقدم ضحية دينية لانه كان عليا بالتقاليد الالهية وفي غيابه
التستى رعاة نوميتور بوموس في نفر قليل من رجاله فانقضوا عليه وجرح
كثيرون من الجانبين ولكن النصر بقي لرجال نوميتور فاخذوا روموس أسيراً
واقناده الى مصاحبتهم وعرضوا عليه شكوتهم ضده فلم يجرأ نوميتور على عقابه
خشية اغضاب اومياوس فنقد اليه لانصافه من الاهانة التي خلقت به وهو
أخوه في خدمة الملك ؛ فتأثر الانبانيون واشفقوا من اذلاله وأروا ان مقامه حقيق
بالا يذل . عطف امولوس على مطالبه وسامه روموس يعمل به ما يشاء . اصطحبه
الى منزله ولكنه لم يستطع الا يعجب بهذا الشاب لما رآه فيه من الجلال والقوة والجرأ
والثبات ما ينطق بتلك الصفات التي جعلته لا يبالي بالخطر المحقق به . ليضاف
الى ذلك ما يروى عن أعماله الجليلة التي تؤيدها ما يشهده عيانا وظنى أن ذلك
أثر وحى إلهي قرر اجراء الاعمال الجليلة التي بدأت من ذلك الحين استشعر
الحالة نوميتور واراد ان يستوضح الحقيقة فسأل الشاب من هو وما مولده ؛ وكان كلامه في
هوادة ولطف وعطف حقيق أن يدخل على نفس الشاب الثقة والامل .

أجاب روموس بجرأة . انى لا اكتمك شيئاً وأنت على ما يلوح لى أولى
بالحكم من اميولوس انك على الاقل تسمع وتنتحق قبل أن تعاقب . أما هو فانه

يسلم المتهم بلا تحقيق . كنا نحسب أنفسنا حتى اليوم أبناء فوستولوس ولا رانسيا خادم الملك . ونحن تؤمان . ولكن منذ وشوا بنا اليك واضطرونا للدفاع عن أنفسنا سمعنا أقوالا مدهشة وسيكشف موقفنا الخطر هذا اذا كانت حقيقة بالثقة أم لا . يقولون انا ولدنا خفية وانا غدينا وأرضعنا بطريقة غاية في الغرابة . وان الطيور الجارحة والوحوش البرية التي القيما اليها قامت بتغذيتنا اذ كانت ذئبة ترضعنا ثديها وشرق يقدم لنا ما يلائمها ايام كنا في مهده على شاطئ النهر الكبير ولا يزال المهده محفوظا تحيط به شرايط من النحاس وعليه حروف لا تكاد تقرأ قد تكون لوالينا يوما ما علامة لتعرفنا ولا يمين ذلك الا بعد فوات الوقت اذ سوف يقضى علينا . قارن نوميتور بين هذه الاقوال وعمر رموس والزمن الذي عرض فيه الاطفال للهلاك فخامرهم امل بهيج فعول على محادثته ابنته خفية وكانت لاتزال رهن السجن

ولما علم فوستولوس ان روموس اسر وقد سلمه امولوس الى نوميتور تعجل رومولوس لاغاثة وكشف له عن سر ميلاده ولم يكن من قبل لا يشير الى ذلك الا بشارات غامضة لا يقصد منها سوى اذكاء العواطف الشريفة ثم حمل بنفسه المهده واسرع به الى نوميتور وهو يرتعد خوفا على رموس ، ادخل ما كان عليه من رعشه الريبة الى نفوس حرس الملك وانتهى بهم الريب والجوابات المضطربة الى اكتشاف المهده الذي كان يخفيه تحت رداءه . وقضت الصدفة ان يكون بين الحرس احد الذين عهد اليهم امولوس ابعاد الطفلين وشهد ماتعرضا له من خطر . فما رأى المهده حتى عرفه من شكله وما كان محفورا عليه من الكلمات . تغلب الحارس على الشك فاسرع لفوره الى الملك مصطحبا فوستولوس ليحمله على تقرير الحقيقة . لم يملك الخوف فوستولوس تماما ولكنه لم يملك الحزم تماما فاعترف بان الطفلين على قيد الحياة ولكنهما بعيدان عن الباريان القطعان . وقد احضر المهده الى « اليا » لانها تريد ان تراه وتلمسه ليقوى فيها الامل بان ولديها لا يزالان على قيد الحياة

أخذ اميلوس الطيش الذى يلازم المضطربين المترددين الواقعين تحت تأثير الخوف والغضب فارسل رجلا من اهل الخير صديق لنوميكتور يسأله لم يسمع ان ابنا اليا على قيد الحياة . وصل ذلك الرجل بينما كان نوميكتور يهيم بمعاينة رموس وضمه الى صدره واخذ يشدد أمل الشاب ويدفعه لاغتنام الفرصة وانضم اليهم مقدما نفسه لمساعدتهم لم يكن فى الوقت متسع لان رومولوس صار على مقربة منهم وقد انضم اليه اكثر اهالى المدينة يدفعهم خوفهم وبغضهم لامولوس . وكان رومولوس قد حشد جيشا عرمرما قسمه الى طوابر يؤلف الطابور منها من مائة رجل يقود كل طابور رجل بيده قناة على رأسها حزمة من العشب والخطب . وهذا ما يدعوه اللاتينيون حالة العشب المانولول . ولا يزال الجنود الذين يستظلون هذا العلم يعرفون بهذا الاسم حتى اليوم . وكان روموس قد استمال الوطنيين المقيمين فى البيا . بينما كان رومولوس يتقدم برجاله استولى الرعب على الظالم وحار فى أمره وبقى على غير هدى لا يدري بما يدافع عن نفسه فتقبضوا عليه وهه فى تلك الحالة وأعدموه

هذه رواية فايوس وذيوكس البيارىتى يراها البعض مدخولا عليها الكثير من المحسنات الدرامية والزخارف الخرافية ؛ ولكن هل نستطيع نكرانها لو فكرنا فيما يحكمه الحظ الموفق من الروايات الشعرية او فكرنا فيما وقعت اليه روما من النجاح الباهر . فلم نكن لتصل الى ما وصلت اليه من قوة ومنعة اذا لم تكن مرتكزة على اساس ابقى تدل عليه العظام والمعجزات ؟

عادت السكينة الى المدينة بعد موت امولوس . ولكن رومولوس وروموس لم يقبلا المقام فى البيا . دون أن يحكماها ولم يقبلا ان يحكماها فى حياة جد هما . فبعد ان أقرا السلطة بين يديه وقاما بواجب التكريم لوالدتهما عولا على الرحيل ليسكنا مكانا يكون لهما الامر فيه . وعليه اعزما انشاء مدينة فى المكان الذى أرضعا فيه . فكان لهما من هذا المقصد أشرف عذر . على انه لم يكن لهما بد من ذلك . لم يكن جندهما سوى جماعات من المنفيين أو العبيد الهاربين فكانوا بين أمرين

أما ان يعرفنا سلطانهما للضياع بتشتيت شمل جيش كهذا أو أن يذهبا به الى مكان آخر يستقرون فيه. لان الالبين لم يقبلوا مخالفة هؤلاء المنفيين والهاربين ولا اعتبارهم وطنيين. يدلنا على ذلك أولا اختطاف نساء السابين. (Sabine) الذي لم يحدث عن شهوة وحشية بل عن ضرورة لانهم لم يجدوا سبيلا لزواج اختياري والحقيقة انهم أحسنوا رعاية النساء اللواتي اختطفوهن. كما يدلنا على ذلك انهم لم تكذب يستقر بهم المقام حتى انشأوا للهاربين ملجأ دعوه هيكل الاله ملجأ (١) يقبل فيه الجميع لا يسلم العبد لسيده ولا المدين لدائنه ولا القاتل لحاكمه محتجين بوحى من ابولون يكفل الحرية للجميع الهاربين. لذلك كثر عدد سكان روما التي لم يكن بها سوى الف منزل. وسأنتكلم عن ذلك فيما يلى :

وقد شجر عند انشاء المدينة خلاف بين الاخوين على الموضع الذى تقام فيه. انشاء رومولوس المكان المعروف باسم روما المربعة. وهى قلعة على جبل (بالاتن) واعتزم المقام فيها ولكن روموس اختار حصناً على جبل «افانتين» (٢) ثم اتفقا ان يفرض النزاع بينهما ما تشير اليه الطيور السكرية. فوقف كل منهما فى المكان الذى اختاره. ويقال ان روموس شهد ستة عقبان أما رومولوس فشهد اثنتى عشر ويزعم البعض ان الاول شهد عقبانه حقيقة اما الثانى فتصد خدع أخاه وانه لم ير الاثنتى عشر الا عند ما دنا منه روموس. ومهما يكن فمن الامر فان هذه الحادثة هى سبب ما نراه اليوم من ان الرومانيين يفضلون التفاؤل برؤية العقبان. ويقال ان هرقل أيضاً كان يسر اذا رأى عقابا قبيل اقدمه على عمل. والحقيقة ان العقاب أقل الطيور ضرراً فلا يمس ما يبذره الانسان ولا ما يبذره ولا ما يقوته ، انما يعيش من الجثث وهو لا يقتل ولا يجرح حيا ما ، ولا يمس الطيور حتى الميت منها احتراماً لنوعه ، وهو فى ذلك على خلاف

١ بلوطارخوس هو الوحيد الذى تكلم عن هذا الاله عل انه خطأ واضح كان هناك هيكل وملجأ لاله «ملجأ» ٢ دعى باسم رومونيوم ويدعى الان ريناريوم

النسور والبوم والصقور التي تعتدى على الطيور الحية وتمزقها ، ولقد قال اشيل :

« هل يمكن ان يكون الطائر الذى يأكل لحم طائر نقياً (طاهراً)

ومع كل فان الطيور الاخر تقضى حياتها بمراى منافستها فى كل مكان .

ولكن ظهور العقاب نادر جداً ومن الصعب العثور على أو كاره . وحدث عن

هذه النادرة الرأى القائل بأن العقبان تأتي مهاجرة من بلاد أخرى : وهذا

شأن الناس فى الحوادث غير الطبيعية حيث تجري الاشياء على مايقول عرفاء

الغال فى غير مجراها العادى بل بإرادة الآلهة تدل عليها بإشارة ظاهرة .

وإذ علم رومولس أنه خدع حزن حزناً شديداً لذلك كان يسخر منه أخيه

وهو يحفر الحفرة التى تحيط بالجدران وكان يعطل تنفيذها . ويقول البعض أن

رومولوس قتله فى الحال ويقول الآخرون أن « سيلر » أحد اصدقاء رومولوس هو

الذى قتله . وقد هلك فى المعركة . فرستولوس واخوه بلسنتوس الذى كان عوناً

له فى تربية رومولوس . وقد لجأ القائل الى اتريرى . (١)

وبعد أن دفن رومولوس اخاه ومرييه فى الرمونيمو اشتغل ببناء المدينة واحضر

من اتريرى اناس اعلموه نظام الحفلات والتقاليد الواجب مراعاتها والاصفاء بالاشهرار .

واحتفر حفرة حول المكان المعروف اليوم باسم « كوميس » وألقوا

فيها بكورة من كل شئ حلال من حيث الشرع وضرورى من حيث

الطبيعة . من ثم اخذ كل واحد قبضة من تراب البلد الذى أتى منه وألقاه فيها

بعد مزجها كلها وأطلقوا على الحفرة اسم « العالم » ومن هذه النقطة رسموا

حظيرة المدينة وضع المؤسس سلاحاً من النحاس فى المحراث وعلق ثورا وبقرة

واحتز على الخط المرسوم حزناً عميقاً وكانت مهمة السائرين فى أثره أن يأخذوا

الطين الذى يخرج من المحراث فيلقوه فى الحفرة لا يتركون منه شيئاً . وكان الحز

(١) وقد أطلق اسمه على كل سرب خفيف كما أطلق على كنتوس مبتالوس الذى أقام

بعد موت والده ببضعة أيام وقلته قتال الجلادين . اشارة الى السرعة التى جرى

بها اعداد الحفلة .

رسماً لجدران المدينة ودعوته يوم مريم اى وراء أو بعد الحائط . وكان فى الاماكن
التي يراد جعلها أبواباً يرفع المحراث فيبقى بلا أثر . لذلك يعتبر الرومانيون
الجدران مقدسة . اما الابواب فلا . لانها لو اعتبرت مقدسة لكان ادخال
الضروريات الى المدينة واخراج الاشياء النجسة مخالفة للدين .

ثم انشأ روما فى الحادى عشر من مايو (١) ولا جدال فى ذلك ولا يزال
الرومانيون يقيمون هذا العيد السنوى ، يدعونه عيد ميلاد وطنهم وكانوا فى أول
عهدهم لا يقدمون فيه ضحايا حية قائلين أن عيد ميلاد مدنتهم يجب أن يكون
طاهراً لا تلوثه الدماء . على انهم قبل تأسيس روما كانوا يقيمون عيداً خلويًا
يدعونه « بليلى » ولا يطابق اليوم تاريخ الرومانيين تاريخ اليونانيين . ويقولون
ان اليوم الذى أسس فيه رومولوس المدينة بعد الثلاثين من الشهر اليونانى ، وان
الشمس كسفت فى ذلك اليوم وان الشاعر انتياخوس من تانوس قد رقيه فى
السنة الثالثة من الاولمبيادة السابعة

كان للفيلسوف فارون وهو أكثر الرومانيين معرفة بالتاريخ صديق يدعى
تاروتوس فيلسوف ورأى يستخدم أوقات فراغه فى رصد الكواكب ويقال انه
حذق هذا العلم طالب اليه فارون أن يحدد يوم وساعة ميلاد رومولوس يستنتجه من
أعماله المعروفة كما يعمل فى المسائل الهندسية قائلًا بما أنه توجد نظرية يستدل بها
من تاريخ ميلاد الانسان على حياته . فاذا علمت حياة الانسان أمكن الاستدلال
منها على تاريخ ميلاد صاحبها ، فقام تاروتوس بما عهد اليه صديقه وبعد أن
فحص حوادث رومولوس وحر كاته مدة حياته وكيفية موته وما تلاها وقارن بينها
بدقة قال بثقة وبلا تردد ان رومولوس حبل به فى السنة الاولى من الاولمبيادة الثانية
فى ٢٣ من الشهر المصرى كيهك فى الساعة الثالثة نهاراً اثناء كسوف الشمس
كسوفاً تاماً ، وولد فى ٢١ من شهر توت عند مطلع الشمس وانه أسس روما

(١) فى ٢١ ابريل سنة ٧٥٣ ق . م . هذا هو رأى الأكثر احتمالاً والاكثر انتشاراً .

في التاسع من برمودة بين الساعة الثانية والثالثة

ويروي الرياضيون ان نصيب المدينة كنصيب الاشخاص له وقته المدين
تكن ملاحظتهم من موقع الكواكب أثناء التأسيس على أن ما في هذه الروايات
من الملاحظة لا يعادل ما في الخرافة من مضائق في نظر القراء

ولما تم بناء المدينة أخذ رومولوس في تقسيم رجال جيشه الى فرق تؤلف
كل فرقة من ثلاثة آلاف رجل وثلاث مائة فارس وأطلق عليها الجيوش المنتخبة
دلالة على انه اختار من بين الالهة من يصلح للقتال، وترك للباقيين مهام
الشعب فأطلق عليهم هذا الاسم، اختار رومولوس من الاعيان مائة، والف منهم
مجلسا ودعاهم اباء او حماة. ودعى الهيئة كلها مشيخة او مجلس الشيوخ ويقال في
سبب هذه التسمية ان أعضاء المجلس كانوا اباء لابناء احرار أو لانهم كانوا
يستطيعون اظهار ابائهم ولم يكن ذلك في وسع جميع أعالي المدينة الاولى
ويزعم البعض أن هذا الاسم مشتق من الرعاية او الحماية على ما كان معروفا من
حماية العظماء للضعفاء ويقال انها مشتقة من كلمة باترون وهو اسم أحد رفاق اينفندر
وكان معروفا بغيرة وعطف على الضعفاء. والاولى ان يقال بان رومولوس أطلق
عليهم هذا الاسم لانه يجب على الاقوياء ان يحنوا على الضعفاء حنوا أبويا. ويعلم
الشعب ألا يخشوا الاقوياء والا ينظروا الى ما يتمتعون به من شرف بعين الحزن
بل يحنونهم بالاحترام والرعاية ناظرين اليهم نظرا الى الآباء وان يكرمهم بهذا
اللقب، والاجانب يدعون الشيوخ حتى اليوم سادة ورؤساء اما الرومانيون فانهم
يدعونهم الآباء المختارين وهو اسم القاب الشرف لا يعرض أصحابه للجد أو الختد.
كانوا يدعون أولا لآباء فقط ولكن لما ضم اليهم غيرهم أطلقوا عليهم لقب الآباء
المقدسين. وكان هذا اللقب اسمى ما يشرف به الشيوخ تميزا لهم عن الوطنيين.

ثم قسم الالهة الى فريقين فريق العظماء وفريق الشعب ودعا الفريق الاول
الحماة أو المحامين والآخر الاتباع (أو العملاء). وجعل العلاقات بينهما على أحسن

وأفضل ما يكون مبنية على الواجبات المتبادلة الحماة أو المحامين يفسرون الشرائع لا اتباعهم يدافعون عنهم أمام المحاكم يمدونهم بنصائحهم وارشاداتهم ويتولون بانفسهم جميع أعمالهم . اما الاتباع أو العملاء فكانوا شديدي ائتعلق بمحاميتهم يجلونهم ويرعون جانبهم ويساعدونهم في أمهار بنات الفقراء وتسديد ديونهم ولم يكن لحاكم ولا لمحكمة ان تسكره عميلا (أو تابعا) على اداء شهادة ضد عميله ولا محاميا ضد عميله . واستمرت هذه القوانين الا ان المحامين رأوا فيما بعد ان من اللعيب الخجل ان يتناولوا من الفقراء الصغار مالا .

يقول فايوس ان رومولوس بعد تأسيس المدينة باربعة شهور فكر في ذلك المشروع الخطير وهو اختطاف الساييات والمعتقدان الذي حمله على ذلك هو رغبته في الحرب لا اعتقاده بما أفضى به اليه الوحي ان القدر يجيء لروما عظمة خطيرة وكلما غدتها الحرب ازدادت عظمة . فعمد رومولوس الى هذه الشدة لاثارة الساييين لذلك لم يختطف سوى عدد قليل من الفتيات لا يزدن عن الثلاثين عدا لان حاجته الى الحرب كانت أشد من حاجته الى زوجات . والاقرب الى الصواب هو انه رأى المدينة ملاءى بالاجانب ولا نساء لهم سوى نفر قليل والباقيون من ذوى الحاجة والامل المريب منظور اليهم بعين الاحتقار فلاح له ان هؤلاء لا يبقون طويلا في زمامه . فامل ان يهد لهم بهذا الاغتصاب النبيل معاهدة الساييين متى تمكنوا من استرضاء زوجاتهم . اما تنفيذ مشروعه فكما يلي : اشاع أولا انه وجد مذبح اله تحت الارض . وهو الاله كونسوس . أو المشير والرومانيون يدعون اليوم جمعيتهم العمومية مجلس المشيرين : ويدعون كبار حكاهم قناصل أو مشيرين . ويزعم البعض انه الاله نبتون لان المذبح وجد في المضرب (اللعب) الكبير الذي تبقى مفتوحا الا في ايام سباق الخيل . ويزعم البعض ان كتمان المداولات تتم عن سر بقاء المذبح تحت الارض وقد اعلن رومولوس انه احتفاء باكتشافه سيقم حفلة تكريم علانية للاله نبتعه العاب ومناظر . فهرع اليها الناس من كل جانب . وكان مرتديا ثيابا رجوانيا يحيط

به كبار الوطنيين وجلس في صدر الحفل (في الصف الاول) اما اشارة الهجوم فهي ان يقف رومولوس فيثنى طرفا من ثوبه ثم يرده ووفقت طائفة من رجال ترقب الاشارة مسلحة بالسيوف ولما اعطيت الاشارة استل القوم سيوفهم وهجموا صارخين واختطفوا بنات الساميين وتركوا الرجال يهربون لا يتعقبهم احد . ويزعم البعض ان اللواتي اختطفن لم يتجاوزن الثلاثين فتاة ولكن فالاريوس الاتيومى يقول ان عددهن سبعماية سبعة وعشرين فتاة ويقول «جوبا» انهن ستماية وثلاثة وثمانون وكلهن ابكار . وهي ملاحظة تخالف مقصد رومولوس كل المخالفة ولم يكن بينهم سوى امرأة واحدة تدعى هرزيلي اخذت خطأ ولم يكن من غرض الغاصبين الاساءة الى الساميين ولا شباع شهوة حيوانية بل كان الغرض توثيق الاتحاد بين الامتين ويزعم البعض انها تزوجت من هو ستيليوس احد مشاهير الرومانيين ويقول غيرهم انها تزوجت من رومولوس نفسه فرزقت منه ابنة دعاها بريما (الاولى) لانها ولدت اولاً ثم ابنا دعاه اوليوس (الجماعة) ذكرى لاجتماع الشعب تحت امرته . وقد دعتة الاجيال بعده ابايوس . على ان رواية زينودوت التريزنى هذه كذبها غير واحد .

وحدث انه بينما كانت جماعة من الغوغاء الذين اشتركوا مع الغاصبين يقودون سابية غاية في الجمال وحسن الاعندال لقيتهم جماعة من الوطنيين فارادو انتزاعها منهم ولكن اولئك صاحوا بهم قائلين انهم يقودونها الى تالاسيوس : وهو شاب وافر الكرامة والاحترام واذ سمع هؤلاء هذا الاسم صفقوا ايذاناً بالموافقة والاستحسان وعاد بعضهم مع الموكب محبة وتكرما لتالاسيوس هاتفين باسمه . ومن هذا نشأت العادة المتبعة عند الرمانيين اذ يذكرون اسم تالاسيوس في انا شيد اعراسهم كما يذكر اليونانيون اسم « ايمينه » ويقال ان هذه الزوجة كانت سعادة لزوجها . وقد علمت من سيلتوس سيللا القرطجنى وهو كاتب اصطلفته اليها الشعر والكتابة . ان رومولوس اعطى هذا الاسم لجنده علامة الاختطاف وأن جميع الذين اختطفوا البنات كانوا يصيحمون جميعا : تالاسيوس ! ولذلك جرت العادة بذكر اسمه في الاعراس .

ولكن معظم الكتاب وبينهم جوبا يعتقدون ان مؤدى هذه الكلمة تحريض الزوجات على حب العمل وغزل الصوف وكانوا يدعونه « تالاسيا » لان الكلمات اليونانية كانت فى ذلك الحين كثيرة الامتزاج بالكلمات اللاتينية

اذا كانت هذه الملاحظة حقيقة وكان الرومانيون يستخدمون كلمة تالاسيا فى معناها اليونانى جاز لنا ان نجد هذه العادة اصلا محتملا، فى نص المعاهدة التى ختمت بها الحرب بين السايين والرومانيين ، تنص بنودها الاولى على ان الزواج لا يكلفون زوجاتهم سوى غزل الصوف. واستمرت العادة على ذلك فى كل زواج فلئن كان اهل العروس وصحبها وكل من يحضر الحفلة يهتفون فى مرح « تالاسيا » فلانهم يذكرون الزوج انهم يحضرون اليه زوجة غير مكلفة بشئ سوى غزل الصوف

وهناك عادات اخرى وهى ان العروس لا تجتاز بنفسها عتبة دار زوجها بل يحملها الغير فيجتاز بها العتبة ذلك لان الساييات لم يجتازنها قط بل حمن بالقوة . ويزعم البعض ان عاد تفرقة شعر العروس بحد الرمح دلالة على ان زواج الرومانيين كان اغتصابا وبحد السيف . وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بالتفصيل فى المسائل الرومانية .

وقع هذا الاختطاف فى الثامن عشر من الشهر المعروف الآن باغسطس وكان يدعى حينذاك سيكستيليس . وهو يوم الاعياد القنصاية (القونسيوسية) كان الساييون شعباً كثير العدد حريماً بطبيعته يسكن ضواحي لأسوارها . لاعتقادهم وهم جالية من لاسبيديمون (سبارطه) انه يجب عليهم مواجهة الخطر بلا خوف . ولكنهم رأوا أنفسهم مأخوذون بتلك الرهائن الثمينة التى اغتصبها العدو وخشوا الاذى يصيب بناتهم فأوفدوا مندوبين الى رومولوس يعرضون عليه شروطاً معتدلة وهى ان يرد عليهم بناتهم وان يرأب الشعب الذى احدهه ويعمد الى الاقناع والطرق المشروعة لتوثيق عرى المودة والاتحاد بين الامتين فابى

رومولوس رد البنات والزمهم المصادقة على الزواج .

وبما كان الساييون ينظرون في هذا الرد ويضيعون الوقت في اعداد معدات القتال أعلن اكرون ملك السنينيين الحرب وكان شجاعاً وضابطاً ماهراً قدداً خاتمه الريبة من زمن بعيد في مشروعات رومولوس ورأى من اختطاف الساييات انه جاره خفيف لا يسهل اخضاعه اذا لم يسرع بتأديبه . فتقدم اليه رومولوس في جيش كبير وخرج هذا ملاقاته ولما وقعت العين على العين قارن كل منهما بين خصمه وبين نفسه ثم اتفقا على مبارزة يمي اثناءها الجيشان ساكنين . أنذر رومولوس لوتهم له النصر ان يجعل أسلحة اكرون مقدمة لجوييتر . (المشتري) انتصر عليه وقتله بيده وهزم جيشه واستولى على مدينته . ولم يلحق بالاثنين أذى الا انه الزمهم هدم منازلهم والسير معه الى روما . حيث يصديرون وطنيين لم جميع حقوق سكانها . لم تكن لروما لتبلغ شأوها من العظمة لولا ضم الشعوب المغلوبة على أمرها اليها ومزجهم باهلها . أراد رومولوس ان يجعل المقدمة أكثر قبولاً لدى جوييتر وان يشهد الوطنيين مشهداً طلياً فعمد الى بلوطة فاجتثها وشذبها حتى جعلها في هيئة شارة النصر وعاقى بها سلاح اكرون منسقة وشذب ثوبه ووضع على شعره اكليلاً من الغار وحمل شارة النصر على كتفه اليمين وسار ينشد أناشيد النصر يتبعه جنده مدججين بالسلاح . فاستقبل في روما بالفرح والاعجاب . وكانت هذه الحفلة أصلاً وقاعدة لما تلاها من الانتصارات . وسميت هذه الشارة مقدمة جوييتر الضارب لان رومولوس سأله ان يضرب اكرون ويقتله .

يقول فرون ان هذه الاسلاب تدعى أوبيم من كلمة أوبس اللاتينية ومعناها الثروة ولكن يحتمل أن تكون من كلمة أوبوس (العمل) لانه لا يجوز مقدمة هذه الاسلاب الا من قُتِلَ بيده قائداً عدواً له ولم يوفق لذلك سوى ثلاثة من قواد الرومانيين . أولهم رومولوس بعد قتل اكرون السنيني ثم كورنايوس كوسوس الذي قتل تولوميتوس زعيم الأترسكيين

ثم كلوديوس مارسولوس الذي قهر فيريدومار ملك الغاليين . وقد دخل
الآخران الى روما فوق عربة يجرها أربعة خيول يحملان على اكتافهما اشارة
النصر . وقد اخطأ ديس في زعمه ان رومولوس استخدم عربة لانه من المؤكد ان
تاركان ابن دامارات كان أول من أعلی شأن الانتصارات الى هذا المقام . من
ملوك روما . ويقول البعض أن بيبليكو لا هو أول منتصر دخل روما على عربة .
أما رومولوس فان جميع تماثيل انتصاراته في روما تمثله على أقدامه .

بعد هزيمة السنينين وبينما كان السايون يستكملون استعدادهم
اجتمع اهالي فيدان وكرستومريوم واتيتيم وهاجوا الرومانيين فلم يكن نصيبهم
سوى الغشل فاخذت مدنهم وقسمت اراضيهم بين الفاتحين واخذوهم الى روما
بمجردين وقسم رومولوس املاكهم بين الوطنيين تاركاً لآباء البنات المختطفة املاكهم
اهاجت هذه الفضايح غضب السايين فعقدوا لواء الرياسة لتاتيوس على جميع
جيشهم واخذوا ستمتهم الى روما . لم يكن الذنوب من المدينة امرايسيرا اذ كانت
تحمي مدخلها القلعة المعروفة الآن بالكابول تحت قيادة تاريوس ، لا ابنته ،
تاريبا كما يزعم بعض الكتاب الذين ينسبون الى رومولوس حماقة سخيفة والحقيقة
ان تاريبا ابنة القائد اشتهت الاساور التي كان يلبسها السايون في معاصمهم اليسرى
فعاهدتهم ان تفتح لهم ابواب القلعة نظير اعطائها ما يلبسون من الاساور عاهدها
تاتيوس على ذلك وفتحت لهم ليلاً أحد ابواب القلعة فدخلها السايون ولسان حالهم
يقول مع انتيجونيس « أحب الذين يخونون اما الذين خانوا فلا » او يردد ما قاله قيصر
اغسطس في تراس ريميتالك « أحب الخيانة اما الخائن فلا . وهذه حال كل من
يستخدم الاشرار مثلهم كمثل من يستخدم سم الحيوانات السامة يسر بوجودها
عند الحاجة ولكنه متى اخذ منها ما يحتاجه كره ما انطوت عليه من شر . وهذا
شأن تاتيوس مع تاريبا امر السايين وفاء بالعهد ان لا يضنوا عليها بما يلبسون
ففرع هو سواره والقاد على راسها مع درعه واقتدى به الجند في بعض وقت على تاريبا

وهي هدف لم حتى سقطت قتيلة تحت عباء الذهب والدروع .
ويقول سولبتيموس على مارواه جوبا ان رومولوس اعدم تار ييوس^١ جزء
حياته . وهناك روايات عن تار يياغاية في السخف منها قولهم انها ابتته . تاتيوس
قائد السابنيين اكرهت على المقام مع رومولوس وسلمت القلعة الى ايها فعاقبها على ما
اخطيانه هذه رواية انتيجينوس (١) اما الشاعر سيميولوس^(٢) فقد كان مخرفا في .
زعم من انها لم تسلم القلعة للسابيين بل للغاليين الذين احبت مليكهم حبا جملة
واليك اشعاره .

« هناك على قمة الكابتول كانت تسكن تار ييا ، التي احدثت خراب قلاع
روما اشتد بها الشوق للزواج من ملك السلت ، فلم تصن بيت ابائها .
ثم يقول في موتها

ان البويين وجميع امم السلت ، لم يقصوا شعرهم على قبرها وراء نهر البو :
بل انتزعوا سلاحهم عن اذرعهم الحربية ورموا بها تلك الفتاة التمسة
فكانت حلة جنازاتها .

دفنت تار ييا في هذا المكان وعرف باسم « التاريين » حتى جاء تاركان
القديم وكرسه باسم جوبتير ونقلوا عظام تار ييا واتخذوا المكان اسما غير اسمها . على
انه لا يزال بين صخور الكابتول صخرة تدعى حتى اليوم الصخرة التاربية وهي
التي يقذفون منها المجرمين .

ولما رأى رومولوس أن السابيين امتلكوا القلعة دفعته سورة الغضب الى
اعلان القتال فقبله تاتيوس بلا تردد واتقا ان طريقه الى التراجع مأمونة اذا
اضطر الى ذلك . وكان موقع القتال محصورا بين الجبال وكان القتال صعبا على
الجانبيين لسوء حالة الأرض حيث الميدان ضيق لا يسمع بالهرب من العدو ولا

١ وليس هو الضابط المشهور فهذا يدعى انتيجينوس كارستيموس وكان في عهد بطليموس
فيلادلفوس وله مؤلفا في تواريخ ايطاليا و مجموعة تاريخية عظيمة .

٢ شاعر يوناني قليل الشهرة ، الف تاريخ ايطاليا شعرا .

بمطار دته . وكان نهر التبر قد طفي قبل ذلك بإيام فترك الارض المعروفة اليوم باسم
(فوروم) (ندوة المدينة) موحلة لا ترى فيها العين شيئاً فلا سبيل لاجتنبائها
ولا سبيل للهرب . وكانت الاقدام تغوص فيها . كاد السابيون لجهلهم المكان
ان يقعوا فيها لو لم تنقذهم صدفة حسنة . ذلك أن كورتوس وهو جندي شهير اخذته
كبرياؤه وشجاعته وشهرته فاندفع بجواده بعيداً عن رفقه ففأص به الجواد في
الوحول أعمل سوطه وصوته لانهاض جواده على غير طائل ولما رأى أن جهوده
تذهب عبثاً ترك الجواد ونجا بنفسه . ولا يزال المكان يعرف حتى اليوم
ببركة كورتوس

ولما خطر السابيون هذا الخطر تقدموا للقتال وحمى وطيس الحرب لا تعرف
مغبته هلك اثنائها من الجانبين خلق كثير بينهم هوستيلوس زوج هرسيلي .
وهو على ما يظن جد تولوس هوستيلوس الذي صار ملكاً على روما بعد «نوما»
تعددت المعارك في أيام قليلة ولكن الاخرة كانت اشرها حيث أصيب رومولوس
بجرح في رأسه من حجر كاذ يقتله فاقطع عن مقاومة السابيين وفي هذه الاثناء
ثقى الرومانيون ذيل الفرار وتلقبهم الاعداء حتى جبل بالائن واذ كان رومولوس
قد شفى من جرحه قليلاً نادى بالهاربين يعيدهم إلى «فوقهم» وصاح بهم بكل قواه
ان يثبتوا للعدو وأن يقفوا في وجهه واذ رأى ان الفرار علماً وليس من أحد يجسر
على العودة رفع يده الى السماء وقصرع لجوبتير أن يقف الجنود وينقذ روما
من الخراب . وما فرغ من صلاته حتى رأى عدداً كبيراً من رجاله خجل من
رؤية الملك وحده وحلت فيهم الشجاعة محل الفرع . فوقفوا في المكان المعروف
الآن بهيكل جوبتير ستانور فظموا صفوفهم للسابيين ودافعوا حتى ردوهم الى
المكان المعروف الآن باسم راجيا وهيكل فستا .

وبينما هم يتأهبون لمعاودة القتال وقف الجميع أمام مشهد غريب يعجز القلم
عن وصفه . ذلك أن السابيات المسيبات جرت بين الجميع تصيح بهم

صيححات الفزع والالم استولى عليهن رعب الهى فاندفعن بين المحار وبين القتلى متقدمات الى أزواجهن وأبائهن تحمل طائفة منهن الابناء فوق اذرعتهم والاخرى تحملوا الشهور يدعون السابقيين والرومانيين باعز الاسماء تأثر المتقاتلون وافسحوا لهم مكاناً بين الجيشين بلغ صياحين آخر الصفوف ودان منظرهن يملأ القلوب حناناً وبلغ أشده قوتهم بعد اليوم الحر العادل

«ماذا جئنا؟ بآية جريمة أو اى ذنب استحققنا ما جلبتم وما تجلبون علينا من الآلام؟. اختفظنا رجال بالقوة رغم كل شريعة واصبحنا منهم. ولم يفكر فينا اخواننا واباءنا واقاربنا الا بعد أن صار هؤلاء الرومانيون الذين كنا نبغضهم اعزاء علينا. واصبحنا نألم ونبكي لقتال أولئك الذين حملونا قسوتهم وظلمهم لم تأتوا لتأخذوا بشارنا أيام كنا لا نزال عذارى وجئتم اليوم تتزغون نساء من أزواجهن وامهات من ابائهن! يا ويلين! لم يسؤنا نسيانكم ايانا كما تسؤنا اليوم عودتكم هذه ثمار العطف والمحبة التى لقيناها من أعدائنا وهذه ثمار عطفكم علينا! اذا كن هناك باعث آخر حملكم على حمل السلاح لكان الواجب أن تعدلوا عن ذلك اكراماً لنا نحن اللواتى جئنا بينكم وبين من تحسبونهم اعداءكم بروابط القرابة والصداقة. اما اذا كنتم تحاربون من أجلنا فخذوا معنا أصهاركم وأحفادكم أعيدونا الى آبائنا واقاربنا دون تحريمنا من أزواجنا وأبنائنا. انا نضرع اليكم أن توفرنا علينا استعباداً جديداً.»

أحلت هرسيلي بشدة وانضمت اليها رفيقاتها وأخيراً وقفت الحرب وتفاوض الزعماء وكانت النساء تجمع بين أزواجهن وأبنائهن وبين آبائهن واخوتهن تقدمن انماؤنة للمحتاجين وتنقلن الجرحى الى منازلهن تضمد جراحهم وتواسيهم وترهبهم مكانتهن من أزواجهن وكيف انهن موضع عطف واحترام الجميع. وبعد ذلك تم التعاقد على ما يلى:

ان النساء اللواتى ترغبن المصافح مع أزواجهن لا ترغبن (كما قلنا) على شىء

سوى غزل الصوف . وان يشترك السايون والرومانيون في سكنى المدينة . وان
يبقى لها اسمها (روما) من اسم رومولوس . وان يطلق على الرومانيين اسم
الكريتيين أيضا نسبة الى وطن تاتيوس . وان يتولى الحكم تاتيوس ورومولوس
بالاشتراك وأن يقتسما قيادة الجيوش ولا يزال المسكن الذي عقدت فيه المعاهدة
معروف باسم « كوميس » المجتمع (محل الاجتماع) واذا تضاعف عدد سكان المدينة
أخذ من السايين « مايا شيخ » انضموا الى القدماء ويزيد عدد الفرق كل الى ستة آلاف
واجل وستاية فارس وقسم الشعب الى ثلاثة فرق الاولى رامننس (من رومولوس)
والثانية تاتيننس (من تاتيوس) والثالثة لوسيرنس (المقدس) نسبة الى الغابة المقدسة
التي افتتح فيها رومولوس ملجأ ولجأ اليه اغلب الذين عرفوا باسم وطني روما :
اما انهم لم يقسموا في بدء امرهم الا الى ثلاث قبائل فعرفوا من اسماء القبائل
او الفرق ؛ ومن لقب الزعيم الذي يلقب به رئيس كل منها تحتوي كل منها على
عشرة اقسام ، يزعم البعض انها دعيت باسماء الساييات ولكنه زعم خاطئ لانها
اسماء اما كن . وقد خصت النساء بكثير من امتيازات الشرف والتكريم ينحلي لمن
اسمى مكان في الطرق ولا تلفظ في حضرتهم كلمة غير شريفة ولا يترأى لمن احد
عاريا . وان القضاة الذين يعرفون جرائم خطره كبرى لا يدكرونها في المحاكم . وان
يلبس ابناءهن حلى تدعى فتاقيع لتشابهها فتاقيع المياه . وان يلبسوا ثيابا ارجوانيه
مزرکشة

لا يجمع الماكان المجلس كله ليعرض عليه ما يبعد من المسائل بل ينفرد كل
منهما بدرسها درسا مبدئيا مع شيوخه ثم يعتمد المجلس للفصل فيها وكان تاتيوس
يسكن المكان المعروف الان بهيكل مونيئا وكان رومولوس يسكن المكان المعروف
بأسم درجات الشاطى الجميل الواقعة في الطريق الذى يمر به السائر من جبل بالاتن
الى الملعب الكبير

ويقال ان شجرة الزيزفون المقدسة كانت في هذا المكان وهى التى تروى

عنها القصة الآتية : اراد رومولوس ان يمتحن قوته فرمى من اعلى جبل افاتنين
رحما كان خشبه من الزيتون فنفذ في الارض حتى صار من المحال اخراجه . واذا
كانت الارض جيدة نبتت فيها الشجرة وامتطت جذورها وتشعب غصونها
عنى خلفاء رومولوس بهذه الشجرة غير منهم على صيانتها اذ كانوا يعتبرونها أثرا مقدسا
فلحاطوها بسياج فاذا مر بها انسان ورأى ورقها ذابلا لقلة (الرى) انطلق في المدينة
يفشر هذا النبأ فيتصايح الناس الماء ! الماء ! كأن هنالك حريق فتسرع الناس
من كل جانب يحمل كل اناء مملوء ماء . ويقال انه عند ما كان كايوس قيصر يصلح
تلك الدرجات اضر العمال وهم يحفرون ، بجذور تلك الشجرة على غير انتباه فذبلت
تواضع الساييون على استعمال شهور الرومانيين وقد ذكرنا في حياة توما
كل ما بهم في هذا الموضوع . واخذ رومولوس عنهم الدروع الطويلة واستعملها هو
والجند الروماني بدلا من دروعه . وكان الشعبان يشتركان في تقديماتهم واعيادهم
بدون ان يعطل كل منها اعياده الخاصة . انشاءوا اعيادا وتقدمات جديدة . ومنها
عيد ماترونال (الامومة) حيث تكرم النساء اعترافا بفضلهن في عقد السلام
ومنها عيد كرمنتال وكرمنتا على ما يقول البعض هي احدى الهات الجحيم التي
تتحكم عند ميلاد الذكور ولذلك كانت الوالدات تخصصها بالعبادة . ويقول البعض
انها زوجة ايفاندر الاركادى وهى نبية ملهمة تنطق بالوحى شعرا فقتبت كرمشتا
من كلمة كرمينا اللاتينية ومعناها شعر . واسمها الحقيقى نيكوستراتا باتفاق جميع
الكتاب . وبالرغم من هذا يقول البعض على شئ متى الحق ان كرمشتا معناها
فقدان الحواس . اشارة الى ما كان يعترىها من الهذيان اثناء حمى التنبوء . لان كلمة
كاربرا اللاتينية تفيد الحرمان او الفقدان وكلمة منس تؤدى معنى الفهم او الادراك
قد تكلمنا عن عيد باليلي وعيد نوبارك فهو باعتبار مايجرى فيه عيد كفارة
وهو احد ايام فبراير المشومة ، ومعنى اسم هذا الشهر التكفير . وكان يدعى هذا
اليوم فيما مضى « فيرواتا » اما عيد لوبارك فمعناه عيد الذئاب وفي هذه التسمية

ما يدل على قدمه وأنه نشأ في عهد الأركاديين أصحاب افندر على أن هذا لا يصح أن يكون سبباً . فقد يكون هذا الأسم مأخوذاً من الذئبة التي كانت تغذى رومولوس ، وأنا لثرى في واقع الامر أن اللوبار كين يبدأون شوط الجرى من المكان الذي عرض فيه رومولوس على ما يقال . ومع ذلك ففي بعض مايجرى أثناء هذا العيد مايلقى شيئاً من الغموض على أصله حيث يذبحون معزاً ويقر بون طفلين من عائلة شريفة يسهما القائمون بالتقدمة بسكين دامية . يتلوهم آخرون يمسحون الأثر بخرقه من الصوف مغموسة في اللبن . ومتى تمت هذه العملية يضطر الطفلان للضحك ثم يأخذ الله باركيون جلود المعز يصبغون منها احزمة ويجرون عرايا لا يستترهم سوى حزام من الجلد يضربون بالسياط كل من يقابلونه ولكن الزوجات الصبايا لا تفر من هذا الجلد لاعتقادهن انه ذا اثر صالح في الحمل والوضع . وممايجرى في هذا العيد ان الرا كضين يضحون بكلم . ويترجم بوتون (كاتب يوناني الاصل مجهول .) وقد اصطنع اشعاراً ذكر فيها عادات الرومانيين لاتستند الا الى خرافات . يزعم هذا الشاعر ان رومولوس بعد ان قهر أموليوس جرى فرحاً حتى المكان الذي كانت الذئبة ترضع فيه الطفلين ثديها وان هذا العيد تقليد لجريه . وان أطفال العائلة الشريفة تجرى « وتضرب في سبيلها كما كان رومولوس وراموس يجريان والسيف فصلت في أيديهما من ألبا .

ويقول ان مسألة مس الجباه بالسكين الدامية اشارة الى ماحدث ذلك اليوم من المذابح والمهالك . اما الاغتسال باللبن فشارة الى أول غذاء أعطى للطفلان .

اما كايوس اسيليوس وهو خطيب الشعب سنة ٥٥٦ لروما وضع مؤلفاً باليونانية عنوانه التواريخ . فيزعم ان رومولوس وراموس قبل انشاء روما ضلّا أثر قطعانها وبعد ان تقربا بتقدمة لاله « فون » اله الحيوانات . نزعا ثيابهما لكي لا تعظمهما الحرارة وأخذوا في الجرى لذلك يجرى الرا كضون في العيد عريانين .

أما التضحية فيمكن القول إذا فرضنا أنه عيد كفارة حقيقة فإنه ضحية خليقة بالتطهير: لأن اليونانيين أنفسهم يضحون بهذه الحيوانات فيما يشبه ذلك من التقدّمات وما أكثرها عندهم (انظر كتاب المسائل الرومانية لغاوطارخوس المسألة (٦٨) إذ كانت تنطوي على الاعتراف بفضل الذئبة التي غدت واثقت رومولوس فلا غرابة أن يضحي بكلب وهو العدو اللدود للذئب وقد يكون عقاباً لأنه يعطل اللو باركين في ركضهم . ويقال إن رومولوس هو الذي أنشأ عبادة النار المقدسة وأنه عهد برعايتها إلى عذارى تعرف باسم الفستال ويعزو البعض أنشأها إلى نوما مع الاعتراف بأن رومولوس كان تقياً جداً وعالماً بفنون العياقة وكان يحمل عصا الغال وهي عصا مقوسة الطرف تستخدم عند مراقبة الطيور لتحديد مناطق السماء وكانوا يحرسون على الاحتفاظ بها في القصر . وقد ضاعت عند ما أخذ الغالون روما ولكن بعد طرد أولئك المتوحشين (البربر) وجدوها تحت كومة من الرماد لم تمسها النار بأذى مع أنها التهمت واثقت كل شيء في الضواحي

ويعدون بين الشرائع التي سنّها رومولوس شريعة قاسية جداً وهي تحرم على النساء مفارقة أزواجهن وتخول هؤلاء حق طلاق النساء إذا اقترفن جريمة التسميم (دس السم) أو ادعاء الأطفال أو امتلاك مفاتيح مزررة (مقلدة) أو لاملة الزنا . أما إذا طلق الرجل امرأته لغير إحدى هذه العلل فتأخذ الزوجة نصف ماله وتعطى النصف الثاني للإلهة سيرس . ويلزم الزوج بتقديمه لآلهة الحجيم .

ومن أغرب ما يؤخذ على رومولوس أنه لم يذكر جريمة « قتل الوالد » وإنما يطلق هذه الجريمة على كل من قتل انساناً . كأنه يعتبر جريمة قتل الانسان جنائية لا تعتقر وأنه من المحال أن يقتل الولد أباه . والحقيقة أنه مضى على روما ستمائة سنة لم تقترف فيها ما يشبه قتل الوالد . وكان لوسيوس أوستيوس أول من اقترفها وذلك بعد حرب هنيبال . وكفى .

حدث بعد مضي خمس سنوات على حكم تاتيروس أن جماعة من ذوي

قرباه قابلوها وفدأ من لورنت قاصداً رومه فطمعت الجماعة في أموال
 المسافرين وأرادوهم على تسليمها فابى عليهم هؤلاء وطلبهم ووقفوا لهم موقف المندافع عن
 نفسه فأنهالت عليهم جماعة تاتايوس وقتلوهم فطلب رومولوس أن يسلم الجانون للعقاب
 ولكن تاتايوس أخذ يسوف ويماطل وكانت هذه أول مرة شجر فيها الخلاف بينهما إذ
 كانا سائرين معاً على اعتدال وانفاق ولما اعياى أهل القتلى إقامة العدل بسبب تاتايوس
 هجموا عليه وهو يندم تقدمه مع رومولوس للالهة لا فنتيوم وقتلوه . ولكنهم اطرأ وعدل
 رومولوس وساروا حوله هاتفين . أخذ رومولوس جثة تاتايوس وأجرى له الجنائزة
 اللائقة بمقامه ودفنه في جبل افانتين بالقرب من المكان المعروف باسم
 « أرميلوستورليوم » ولكنه لم يهتم بالانتقام له . ويزعم بعض المؤرخين أن
 أن اللورنتيين جدا بهم الخوف الى تقديم قتلة تاتايوس اليه فاطلق سراحهم
 قائلاً لقد انتقم القتل للقتل . وكان هذا المسلك سبباً لما قيل بأنه ارتاح للتخلص
 من زميل . ومع كل فلم ينشأ عن هذا الحادث اضطراب ما . ولم يتخذ الساييون
 ذريعة للعصيان ضده . البعض عن طريق الحب لشخصه والبعض خوفاً من
 بطشه والبعض احتراماً واعجاباً لانه في نظرهم إله . وكثير من الشعوب كان
 يخطف رومولوس بهذا النوع من الأكرام وهكذا أرسل اليه قدماء اللاتينيين وفدأ
 ليعقدوا مع الرومانيين معاهدة اتحاد وصداقة .

ويزعم البعض أنه أخذ مدينة فيدين على غرة وهي قريبة من رومة . أرسل
 اليها أولاً فرساناً حطموها متاريسها ثم أخذ الأهالي على غرة . ويزعم البعض أن
 الفيديين هم الذين بدأوا بالاغارة على أراضي روما وخربوا القرى فكان لهم
 رومولوس وفاجأهم عائدين وأخذ مدينتهم ولكنه لم يخربها ولم يهدم مبانيها
 بل أقام فيها جالية رومانية وأرسل اليها يوم عيد ابريل الفين وخمسةائة
 وطنى ليسكنوها .

وحدث بعد ذلك بقليل أن أصيبت روما بطاعون قتال وامتد حتى الى

الاشجار والحيوانات فعممت . وامطرت المدينة دما . فاضيف الى هذا الشقاء رعب وهمي ولكنهم اذ رأوا الورثا حل بها مثل ما حل بالمدينة لم يبق لدى الالهالى شك فى أنه غضب الله على المدينتين عقابا لمقتل تاتىوس وجماعة المسافرين والحقيقة انه منذ سلم الجانون من الجانبين خفت وطأة الوباء وطهر رومولوس المدينتين بكفارة يقال انها لاتزال قائمة حتى اليوم تعمل عند باب قارانتين وقد هاجم الكانبريون الرومانيين قبل انقطاع الوباء انقطاعا تاما وهمين ان هؤلاء قد اعياهم الوباء فلا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم . ولكن رومولوس لم يضع الوقت سدى بل انسرع اليهم فبرزهم تاركا فى ميدان القتال ستة آلاف ، واستولى على المدينة ونقل من أهلها نصف الباقين الى روما وأرسل اليها من الرومانيين ضعف ما بقى بها من الالهالى وكان ذلك فى شهر أغسطس . ولم يمض على بناء روما ستة عشرة سنة حتى غصت بالسكان على ما ترى . ووجد بين اسلاب السكارى يوم عربة من النحاس الاصفر تجرها أربعة جياد . فقدمها رومولوس الى هيكل فولكان وأقام عليه تمثاله متوجا بتاج النصر .

كان له من تعاضم شأنه ما احتى الضعفاء من جيرانه لسلطانه قانعين منه بالسلام . اما الاقوياء فقد تولاهم الخوف والحسد وشعروا ان رومولوس جار لا يستهان به فيجب عليهم تعطيل تقدمه ومعاقبته . رأى « الفينيون » انهم أصحاب اراض شاسعة ومدينة كبيرة فبدأوه العدااء اذ طالبوه بان يرد اليهم فيدين باعتبارها احدى مدنهم وهو زعم ليس فقط غير عادل بل أنه مضحك لصدوره من قوم لم يقدموا اية مساعدة للفيداين وقت الخطر ابان حروبهم مع الرومانيين ثم يأتون بعد سكوتهم عن قتل الرجال يطالبون ببيوتهم واراضيهم بعد أن وضع عليها الغير يده . ولما طردهم رومولوس باحتقار قسموا جيشهم الى فرقتين وجهوا احدهما لمحاربة الرومانيين فى مدينة فيدان والاخرى للملاقاة رومولوس فافلحت الاولى وقتلت من الرومانيين الفين ولكن الاخرى هزمت شر

هزيمة وفقدت أكثر من ثمانية آلاف من رجالها ثم وقعت معركة أخرى بالقرب من نيدان شهد الجميع أنه كانت من عمل رومولوس الذي بذل فيها كثيراً من المهارة والبسالة وأظهر من القوة فوق طوق الإنسان وسكن رواية القائلين أن رومولوس قتل بيده نصف الأربعة عشر ألف جندي الذين بقوا في حومة الوغى خرافة لا تصدق كما أن المسانين متهمون بالمبالغة لقولهم أن أريستومين قدم ثلاثة مرات تقدمه هيكتاتوفوني لأنه قتل ثلاثمائة سبارطي في ثلاثة معارك .

لم يلب رومولوس ، باقتفاء أثر الفيين بل قصد لغوردمدينة فايس فلم يبد الأهل مقاومة بعد تلك الصدمة . وقبل رجاءهم في أن يعقد معهم معاهدة لمدة مائة سنة بشرط أن يسلموا الرومانيين جانباً كبيراً من أراضيهم يدعى السبع (جزء من سبعة) وأن يسلموا إليه الملاحات المجاورة للنهر وخمسين من كبارهم رهائن . وأقام رومولوس حفلة النصر في شهر أكتوبر يجر وراءه عدداً كبيراً من الأسرى بينهم قائد الفيين وهو شيخ سلك مسلك الطيش بدل أن يسير على ما يليق بخبرة سنه . ومنذ ذلك جرت العادة في حفلات النصر أن يأخذ شيخاً إلى السكايتول بعد الطواف به في الأماكن العمومية يصيح دونه المنادى (سردي للبيع) لأن الأترسكيين يعتقدون أن جالية جاءت من سرد إلى ليديا وعليه تكون فايس مدينة أترسكية .

كانت هذه خاتمة حروب رومولوس لم يستطع بعدها اجتناب العثرات التي لا يقع فيها إلا القليل ممن نهض بهم الخط الموفق إقامة السيادة والشرف . إذ دهم بنجاحه وامتلاء ثقة بنفسه واستخف بالجمهور وطني . واستاء الناس من بذخه في الملابس إذ كان يلبس الرداء الأرجواني ومن دونه الفروة . وكان يعقد الجلسات وهو جالس على مقعد منقلب . يحيط به شبان يدعون الرا كضون لسرعتهم في تنفيذ أوامره . وكانت تمشي أمامه طائفة من هؤلاء يحملون عصيا يبعدون بها الناس عن طريقه يحملون أطواقاً يغنون فيها من يأمرون بالقبض عليه ويطلقون

على هؤلاء لقب (المشايد) لما كانوا يحملون من عدة يشدون بها الوثاق على المغضوب عليهم .

وقد آل الحكم الى رومولوس بعد وفاة جده نوميستور . على ألبا . ولكنه عامل هذا الشعب بكرم إذ نزل لهم عن حكومة بلادهم محتفظا لنفسه فقط بحق إرسال حاكم يقيم العدل بين الألبين . وكان هذا مشار الشهوات عطاء روما يطلبون السيادة على بلد مستقل لملك فيه يطاعون ويطيعون في وقت واحد . ولم يكن الشيوخ « أعضاء مجلس الشيوخ » أصحاب رأى في إدارة الحكم ولم تكن ألقابهم سوى علامات شرف إذ كانوا يدعون إلى المجلس بحكم العادة للمفاوضة والمناقشة ؛ يسمعون صامتين أوامر الملك . ولم يكن لهم من فضل على الجمهور سوى سبق المعرفة بما تقرر . ومما زاد صدورهم حرجا ان رومولوس بمحض ارادته ، وبدون موافقتهم ولا استشارتهم ، وزع على الجند الاراضى المكتسبة ورد الى الفينين رهائهم .

رأى المجلس فى ذلك ذراية وامتهانا ، لذلك وقعت الشبهة على الشيوخ عند اختفاء رومولوس بعد ذلك بقليل ورماهم الناس بالظنون والتهم ، اختفى رومولوس فى أول شهر يوليو الذى يطلق عليه الآن اسم كنتيليوس ، وكل ما يعرف عن حادثة وفاته انها وقعت فى ذلك اليوم . ولا تزال تقام الحفلات فيه ذكرى لهذا الحادث وليس فى اختفاء الحقيقة بالامر الغريب فقد وجد سيبون الافريقى ميتاً فى منزله بعد العشاء ولم يعرف أحد كيف مات . قال البعض إنه مات لكبر سنه وضعف بنيته ، وقال آخرون انه تناول سما . والمظنون ان اعداءه أغاروا على بيته ليلا وخنقوه ؛ على ان جثته عرضت على الجمهور وكان لكل انسان أن يرى فيها دليلا على كيفية موته . اما رومولوس فقد اختفى دفعة واحدة ولم يبق من جسمه اثر ولا من ثيابه خرقه . لذلك يظن أن الشيوخ وثبوا عليه فى هيكل فولكان وقتلوه وأخذ كل منهم قطعة من جثته يخفيها تحت رداءه .

ويقول البعض إن اختفائه لم يحدث لافي هيكل فولسكان ولا في حضور الشيوخ وحدهم . كان رومولوس قد عقد ذلك اليوم جلسة للشعب خارج المدينة بالقرب من غدير العنزة . هبت فجأة عاصفة لا يستطيع القلم وصفها . وقامت في الجوز وبهة أخفت ضوء الشمس ، انتشر الظلام على الأرض ولم يسمع سوى دوى الرعد من كل جانب . وكانت رياح هوجاء تهب شديدة . استولى الذعر على الناس فاخفقوا ولكن الشيوخ التفوا حول بعضهم البعض هدأت العاصفة وعاد للنهار ضوءه ، وعاد الشعب إلى اجتماعه ؛ وكان أول همه البحث عن مله واستطلاع اخباره ، منعهم الشيوخ عن البحث والتنقيب وامروا جميع الرومانيين ان يقيموا عبادة رومولوس ، قائلين انه رفع الى مصاف الالهة . كان ملكا وديما كريما فصار لكم إلها . صدق الشعب اقوالهم وعاد بين الفرح والامل وعكف على عبادة الهه الجديد . ولكن الريب والانتقام اوغرا صدور البعض فطلب كشف الستار عن الحقيقة . ازعجوا الشيوخ اذ اتهموهم بقتل الملك واخفاء الجريمة باحاديث مضحكة .

بينما كانت الحال على هذا الاضطراب اذ تقدم احد اشراف الشيوخ وهو رجل معروف بفضله وصدقه . ميبب الجانب وافر الكرامة محترم من الجميع ، يدعى يوليوس ابروكولوس كاتم سر وصديق رومولوس وكان زميلا له في رحلته من ألبا الى روما . تقدم هذا الرجل الندوة العمومية (الفوروم) بحضور جميع الشعب واقسم واضعا يده على المذبح ، انه بينما كان سائرا تراءى له رومولوس في اجمل وابهى ما يكون يحمل سلاحا وهاجا كالنار ، استولى عليه الرعب عند رؤيته وانه صاح به : ماذا جنينا ايها الملك ؟ لماذا تركتنا غرضا لتهم ظالمة وتركت المدينة كاليتم غارقة في الحداد ؟ اجابه رومولوس هذه ارادة الالهة يا بروكولوس بعد ان عشت بين الناس زمنا طويلا و بنيت مدينة ستفوق جميع المدن قوة وبجدا واذ كنت ابن السماء فقد عدت للمقام في السماء وداعا اذهب وقل للرومانيين : ان لهم من الاعتدال

والشجاعة خير الوسائل لبولوج قبة السيادة . اما انا فساكون اله الوحي مختار النفس
اسم « كيرينوس » آمن الرومانيون بصدق هذه الرواية ثقة منهم بصدق راويها
وقسمه . استشعر كل منهم بتأثر قاهر ووحى الهى ولم يفكر احد فى المعارضة وعادوا
عن ظنونهم وخر الجميع ساجدين ووصلين لكيرينوس ضارعين ضارعتهم لاله .
تشبه هذه القصة ما رزعه اليونانيون عن ارستياس البروكوزى وكليومد استباله ،
مات ارستياس فى دكان صقال واسرع اصحابه لاختذ جثته ولكنهم وجدوها قد
اختفت . وقال جماعة آتين من سفراتهم لقوه فى طريق كروتون . اما كليومد فكان
رجلا فى بنية وقوة لامثيل لها ولكنه كان عرضة لنوبات جنون وغضب تدفعه الى
اعمال غايه فى الشدة والقسوة . دخل يوما مدرسة اطفال وضرب عمود القبة خطمه
وسقطت القبة على الاطفال وسحقهم ولما رأى كليومد الناس يجرزون وراءه دخل
صندوقا واغلقه عليه وشد على بابه بقوة لم يستطع الناس فتحها متألمين فاضطروا
لكسر الصندوق ولكنهم لم يجدوا به الرجل حيا ولا ميتا . بلغت الدهشة منهم
اشدها فبعثوا من استوحى لهم وحى ولف مخبأهم النبأ الا ترى : ان كليومد استباله
آخر الابطال . ويقال ايضا ان جثة السكيمين اختفت بينما كان الناس يسيرون
بها الى الحريق ولم يجدوا مكانها سوى قطعة حجر . وهناك كثير غير هذه من
القصص التى لا تقل عن هذه بعدا عن الحقيقة اراد بها واضعوها ان يثيروا الانسان
الفانى مع الالهة فى الخلود . حقيقة انه من الكفر والحسد ان ننكر ما فى الفضيلة من
الصفات الالهية ولكن من الغباوة ان نخلط بين السماء والارض . لنحرص على
الحق ولنقل مع بنداد : ان اجسام جميع المخلوقات خاضعة لسلطان الموت ، ولكن
هناك صورة تعيش ابداً وهى صورة ما يأتى اليها من الالهة ان هذا
الجزء من الآلهة وهو يعود اليهم لامع الجسد بل بعد ما يتخلص من الجسد .
اذ ينفصل عنه تمام الانفصال ويصير طاهراً تقياً لا يتصل بشيء من الجسد
الفانى . قال هيراكليت ان النفس وحدها هى السكاملة ، تنطق من الجسد انطلاقاً

لمبرق من السحاب . اما التي انعمت مع الجسد وصارت شهوة جسدية فهي كالبخار الكثيف القائم تلهب بصعوبة وترتفع ببطء . فلنحذر ان نرسل الى المماء مع نفوس الابطال اجسامهم التي تأتي عليها طبيعتها ذلك . انما نرسل مع نفوسهم فضائلهم : فيكون من المؤكد انهم بفضل العبد الالهى يتجولون من اناس الى ابطال ومن ابطال الى عبقرين . ومضى لهم السلام ونالوا الرضى التام واجتنبوا كما يفعل المتقدمون فى الاسرار ، شهوات الجسد الارضية النائية حينذاك ينقلون الى مصاف الآلهة لابرسم أو قرار على وبروح الحقيقة وانما لقضاء شرعى وهناك ينعمون باجمل وابهى سعادة .

وقد اختلفت الاقوال فى لقب كيرينوس الذى أعطى لرومولوس ، يقول البعض ان فى معنى كلمة « مارس » ويقول البعض انه نحت من نكة « كيريت » التي اطلقت على الرومانيين ، ويقول البعض ان القدماء كانوا يدعون حديد الرمح أو الرمح ذاته « كيريس » ويدعون تمثال جوتون الذى يضعونه على الرمح كيريتيس ، وكانوا يدعون الرمح الذى يقدسونه فى القصر « مارس » . وكان يعطى المتفوقين فى الحروب رمحا مكافاة لشجاعتهم ، وعليه يكون رومولوس قد دعي كيرينوس لانه كان محبوبا من مارس اولانه اله سلاحه الرمح . وقد اقيم لهذا الاله هيكل على الجبل المعروف باسم (جبل كيرينال) أو الكيرينى عرف يوم اختفائه بيوم هروب الشعب ، وعذارى كبرائين (العنزة) (كبر كلمة لاتينية معناها العنزة) . وكانوا يقدمون فى ذلك اليوم القرابين خارج المدينة بالقرب من مستنقع العنزة وكان من عاداتهم عند خروجهم لتلك التقدمة ان يتصايحوا منادين أسماء مختلفة مثل ماركوس ، لوسيوس كايوس تشيبيا وتقليدا لما وقع منهم أثناء فرارهم . اذ كان الفرع قد ذهب بصوابهم واختلط عليه حتى معرفة الاسماء . ويقول البعض ان ذلك لم يكن تمثيلا لهنمة ولكنه تمثيل لاناس يسرعون مبرولين . واليك الدبيب . لما طرد كامبي جيوش الساميين عن المدينة

وكان الاهالى قد كدّهم التعب وخارت قواهم . عندذاك اجتمعت شعوب من اللاتيوم على رأسهم ليفيوس يوستيميوس وقفوا بجيوشهم أمام روما . أرسل قائد الشعوب مناديا ينادى : ان اللاتينيين يريدون تجديد المعاهدة القديمة التى كادت تنلشى وانه يجب ان يحدد اتحاد الالمتين بروابط زواج جديدة : فاذا أرسلت اليهم عذارى وأرسل فتية كانت بينهم صداقة على مثل ماحدث لهم مع السابقين اضطرب الرومانيون لهذه المطالب وحاروا فى أمرهم بين حرب يخشونها وبين ارسال نساء يجعلهم ارسلهم فى حكم الخاضعين لللاتينيين . وبيناهم فى حيرتهم جاءت جارية تدعى فيلوتيس وفي رواية أخرى توتولا . ونصحت لهم ان يعبدوا الى حيلة توفر عليهم عناء الحرب وتحليلهم من قبول تلك المطالب . اما الحيلة فهى ان يرسلوا الى العدو فيلوتيس ذاتها ومعها أخريات من حسان الجوارى الرقيق . يلبس ثياب الحرائر . ومتى جن الليل ترفع مشعلا موقداً من معسكر الاعداء فيخرج اليهم الرومانيون مسلحين يأخذونهم على غرة وهم نيام : قبل رأى تلك المرأة وقع اللاتينيون فى الفخ رفعت فيلوتيس المشعل من اعلى شجرتين برية . وأسدت بين المشعل ومعسكر العدو ستائر وابسطة تخفى عنه ضوءه . رآه الرومانيون وهروا لوامسردين يتنادون . اخذوا العدو على غرة ومزقوا شملهم شرمزق . واحتفاء بهذا النصر يقيمون عيد هرب الشعب ويدعون يومه يوم عذارى شجرة التين ، يؤدّبون فى ذلك اليوم وليلة للسيدات فى ظلال اشجار التين . وتطوف نساء الرقيق لاعبات تترامى بالحجارة تقليداً لما كانت تصنعه الاماء مساعدة للرومانيين إذ كن يرمين العدو بالحجارة . لم يذكر هذه الرواية إلا قليل من المؤرخين على أن طريقة التنادى والخروج نهاراً وتقديم القرابين بالقرب من غدير مستنقع العنزة أكثر ملائمة للرواية الأولى هذا اذا لم تكن الحادثنان قد وقعتا فى يوم واحد لازمنة مختلفة ومهما يكن من أمر هذه الروايات فان رومولوس قد اختفى من بين الناس وهو فى الرابعة والخمسين من عمره فى السنة الثامنة والثلاثين لحكمه

المازنة بين تريوس ورومولوس

هذا ما استطعت جمعه حقيقياً بان يذكر عن تريوس ورومولوس . رأينا تريوس حراً غير مكروه وفي وسعه ان يخلف جده في حكومة لا تنقصها الأبهة وان يعيش ناعم البال في ترازين رأيناها يقدم من تلقاء نفسه وثاباً على العظام . ورأينا رومولوس على حد قول افلاطون لا يجرأ على العظام الا عن خوف وفرار من الرق الذي كان يعيش فيه ، ومن عقاب الموت الذي كان يهدده ، وكان اخطر ما قام به هو قتله ظالماً واحدا هو حاكم البيا . اما انتصارات تريوس على سيون ، وسنيس وبروكرست وكورنت ، لم تكن سوى لهو وطلائع اعمال . لم يكن حين اهلك أولئك الطغاة وقضائه على طفيلياتهم واقاذه اليونانيين من شرهم معروفاً من احسن اليهم كل هذا الاحسان . اصف الى ذلك انه لو اراد السفر بحراً لسافر مطمئناً آمناً جانب أولئك السفاحين . اما رومولوس فلم يكن له من سبيل للطمأنينة مادام اموليوس حياً واليك دليلاً على تفوق تريوس انه دون ان تصل اليه اية اهانة شخصية انحط على أولئك الاشرار بخير الاخرين . اما رومولوس واخوه فكانا يعيشان مطمئنين مادام بعيدين عن اذى الطاغية لايباليان بما يصيب الناس من شره . ولئن برهن رومولوس على بسالة حين جرح في حربه مع السايين ، وحين قتل أكرون بيده وحين انتصر على اعدائه في حومة الوغى ، فلاندرى كيف نوازن بين هذه الاعمال الجليلة وبين حروب تريوس مع المونيستور والمترجلات (الامازون)

اما اقدام تريوس على تحرير اثينا من الضريبة التي كانت تدفعها الى كريت وسفره مختاراً مع الفتيان والفتيات وتعرضه لخطر الموت فريسة المونيستور او الذبح على قبر اندروجيه او احتمال نير العبودية من قوم معروفين بغلظة أكبارهم وقسوة طباعهم . فلا نستطيع التعبير عما يستلزم هذا الاقدام من الشجاعة وعظمة النفس والاخلاص للخير العام . يالها من رغبة شديدة في المجد والفضيلة . لا اظن

الفلاسفة مخطفين في قولهم ان الحب قانون وضعته الآلهة لحماية الناس وحفظ
 كياناتهم (١) ان حب ارديادنه كان ولا شك من عمل الآلهة استخدمته لنجاة
 تزيوس فلا نلوم من اولعت به ذلك الولع الشديد بل يجب ان ندهش من أن
 جميع الرجال وجميع النساء لم يحملوا له مثل هذا الحب . ولكن استطيع القول
 ان هذا الغرام الذي احسنه وحدها هو الذي جعلها أهلاً لحب اله ، لان من
 احبته كان الجمال وانظير والبطولة . ولقد احبت فيه من أحب الجمال والخير والبطولة .
 خلق تزيوس ورومولوس ليحكم كلاهما لم يعرف الحرص . على طبيعة
 الملك : امتنها الملكية احدها عن طريق الديمقراطية والآخر عن طريق
 الاستبداد ، سقط كلاهما في غلطة واحدة عن طريقين مختلفين . ان أول واجب
 على من يتولى الحكم هو صيانة المملكة . يجب عليه أن يجتنب مالا يجب
 ويأخذ بما يجب واذا زاد في لينة أو شدته لم يعد ملكاً ، ولا رئيس شعب بل
 يكون مملوكاً أو ظالماً يجلب على نفسه البغض او الاحتقار . ينشأ احد هذين العيبين
 عن الدعة والانسانية وينشأ الآخر عن الأنانية والقسوة .

اذا لم نلق تبعاً شفاء الناس على القدر وحده . ورأينا من الواجب ان تقدر
 مالاضطراب العقول والقلوب من الاثر ، فلا يسعنا الاغضاء عن الغضب الاعى
 والانفعال المشهور اللذين ركبهما رومولوس ضد أخيه وتزيوس ضد ابنه . واذا
 راعينا الظروف كان أولاهما بالعذر من كانت أسباب هياجه خطير ، وكانت
 صدمته أشد عنفاً . شجر الخلاف بين رومولوس وبين أخيه على مسألة عامة تحت
 المداولة ولا يمكن ان نفهم كيف ذهب به الانفعال إلى ذلك الحد . اما تزيوس
 فكان في نوره ضد ابنه خاضعاً لمؤثرات قوية لم يستطع التغلب عليها إلا لتليل
 من الناس : الحب والغيرة دوشايات امرأة . وهناك فارق عظيم : انتهى غضب
 رومولوس الى عمل وفاجعه ، اما غضب تزيوس فانتهى الى سباب ولعنات

وهي الانتقام العادى للشيوع . اما نكبة ابنه فمن صنع القدر . وعليه يتعين علينا ان نعطي الافضلية في هذه المسألة لتريوس .

يمتاز رومولوس أن سلطانه بدأ حقيراً اذ كان هو وأخوه عبيدين معروفين انهما أبناء راعي الخنازير ، حررا أنفسهما قبل أن تتحرر جميع الشعوب اللاتينية تقريباً ونالا أعظم الالقاب وأمجدها ، انتصرا على اعدائهما وانقذا الاهالى ، وحكما الامم وأقاما المدن وأنشأها دون أن يعمدا الى قتل السكان كما فعل تريوس الذى خرب مدنا مأهولة قديمة معروفة باسماء ملوك وأبطال لكي يجمعها هيئة واحدة ومركزاً واحداً . يمتاز رومولوس أيضاً بالزمامه الشعوب المغلوبة على أمرها بهدم مدنهم والسكنى مع الفاتحين ولم يكن الغرض فى الاصل نقل أو توسيع مدينة انشاء كل شىء من لاشىء ، أوجد أمة ووطناً ومملكة وعائلات وروابط زوجية ومعايشات لم يصب أحد من جرائمها موت ولا خراب بل كان العكس ، خيراً عظيماً لجميع اللاجئين الذين لم يكن لهم ملاذ ولا ملجأ اجتماعوا ليكونوا شعباً ويصيروا وطنيين . لم يقل رومولوس قاطع طريق ولا عابثاً ، ولكنه أخضع أمماً ومدناً وأجرى فى موكب نصره ملوكاً وقواداً .

تضاربت الاقوال فى مقتل روموس ، يعزو البعض الجريمة الى غير رومولوس ومن المؤكد أنه انتقد والدته من الموت وأجلس جده نوميكتور على عرش انياس بعد ما آل به الامر الى عبودية حقيرة .

أوفى له الخدمه راضياً ولم يسىء اليه حتى عن غير قصد . أما نسيان تريوس أو اغفاله العمل بوصية والده فى تغيير شراع المركب فليس له فى اعتقادنا مبرر ولا تخليه البراهين المطولة ، فى نظر أعدل القضاة من عقاب قاتل والده . تكلف أحد كتاب اثينا الشناء عليه فادعى أن إيجيه لما علم بقدوم السفينة أسرع مهرولاً الى القلعة ليراه عن بعد فزالت قدمه وهوى . وكأن لم يكن معه أحد من حاشيته أو أتباعه .

ولا ندرى عذراً لتزيوس في اختطاف النساء ، ارتكب هذه الجريمة غير مرة ، سبي أريدنية ، وانتيوب ، وانا كسوس من ترازان وبمدهن هيلانه وهى دون سن البلوغ . سبي وهو شيخ طفلة صغيرة حين لم تكن شيخوخته لتسمح له بالدنو من امرأة وان كانت حلالاً . على أنه ليس للسبي ذاته سبب معقول لان بنات ترازان وسبارطه والمريجالات لم تكن له مخطوبات ولاهن أهلاً لان تعطيعه أبناء مثل الاتينيات بنات أريختة وسيكروب . فهو ولا شك موضع للتهمة وانه لم يسلك في ذلك سوى مسلك الهوى والشهوة

أما رومولوس فقد سبي مالا يقل عن ثمانمائة امرأة لم يخلص نفسه بهن جميعاً بل اكتفى بواحدة وهى هرمليا وترك الاخبار لكبار الوطنيين . وقد ثبت من سلوك الرومانيين مع تلك النساء المسلك الحسن أن الغرض من ذلك السبي هو اتحاد الشعبين وهذا عمل حكيم وسياسة رشيدة . ، جمع بذلك الشعبين وجمل منها أمة واحدة وكان ذلك منشأ الرعاية والود المتبادلين بين السايين والرومانيين ومنشأ قوة وسيادة رومولوس .

ان الزمن خير شاهد ينطق بما أوجده رومولوس في الاسر من الحياء والحب والوفاء ، اذ مضت مائة وثلاثون سنة لم يحدث فيها أن رجلاً هجر امرأته او امرأة هجرت زوجها لم يعرف سوى الخبراء من اليونانيين اسم أول قاتل لابيهم ، كما يعرف الرومانيون أن سيور يوس كارفيلوس أول من طلق امرأته على انه كان له من عقمها عذر . هذه شهادة السنوات التى تلت حادثة السبي . وقد نجم الاتحاد عن ذلك ووزعت السلطة بين المالكين وسنت قوانين المدينة التى جرى عليها الشعبان . أما زواج تزيوس فانه على العكس من ذلك لم يجلب للاتينيين صداقة ولا عهداً بل عداوة وحروباً وقتلاً شنيعاً : وقد انتهى بهم الى ضياع مدينة (افيدنس) ولم ينج اهله الا بشق النفس واطراح انفسهم على اقدام اعدائهم ضارعين اليهم كأنهم آلهة حتى

وثناهم وقالوهم من ان يصيبهم ما اصاب الترواويين بعد ان سبي اسكندر (١)
هيالانه ولم تنج والده تريوس من الخطر اذ اصابها ما اصاب (هاكوبا) اذ تغلى عنها
ابنها خيانة ، اذا لم تكن هذه الرواية خرافة كما يقال عنها وسواها من حوادث تريوس
على أن ما ينسب للآلهة من رعاية نحو تريوس ورمولوس يجعل بينهما فرقاً كبيراً :
حمت الآلهة رومولوس في ميلاده وكانت حمايتها ظاهرة بارزة في حين انه يظهر من
نهي الآلهة لا يحبه ان يمس امرأة على ارض غريبة. ان تريوس جاء الى العالم بالرغم
من ارادة الآلهة :

(١) هو المعروف باسم باريس عند اليونانيين

ليكورجوس

نحو سنة ٨١٤ ق . م .

١ لا تسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع الا وسمعت ما ينافيها . فقد اختلفت
الاقوال في اصله واسفاره وموته حتى شرائعه والحكومة التي انشأها ، واشدها
اختلافا ما قيل عن زمن وجوده . من الناس من يقول انه كان معاصرا لايفتيوس
وانه عاهده على الهدنة ايام الالاب الاولبية . ومن هؤلاء الفيلسوف ارسطو ،
مستشريدين بالقرص الذي يعرض في اولبيا وعليه اسم ليكورجوس ولكن أمثال
اراتوستيم (١) وابرلودور (٢) الذين يحسبون الزمن باعتبار عدد ملوك اسبارطه
يرجعون به الى عدة قرون قبل تلك الالاب ويزعم « تيا » (٣) انه وجد اثنان
في اسبارطه بهذا الاسم في ازمة مختلفة وقد نسبت الى اشهرها اعمال الاثنيين ويقال
ان اسبقهم عاصر هو ميروس ، ويزعم البعض انهما تقابلا ، ويريدنا كسوتوفون
على الاعتقاد بقدم عهد ليكورجوس اذ يرجع حياته الى زمن المراقبة والحقيقة ان
اواخر ملوك اسبارطه كانوا من هذه الامرة ولكنهم قصد طبعها الاشارة الى خلفاء
هرقل مباشرة على أنها بالرغم من هذه التناقضات التي يظهر التاريخ على سطحها
سنعني فيما نورد من سيرة ليكورجوس باقل الحوادث تناقضا على ما تسمح به رواية
الثقة

٨ قال الشاعر سيمونيدان ليكورجوس لم يكن ابن ايمونوس بل ابن برتيانيس
ويخالفه اكثر المؤلفين في هذا القول . كان والد ديوس يدعى باتروكلس بن اريستوديم
وخلف ولدا يدعى اريتون . وهذا ، ولدا يدعى برتيانيس وهذا ولدا يدعى اينوموس
رزق ولدا من امراته الاولى دعاه بولتيكيكتس وآخر من امراته الثانية دياناس دعاه
(١) مؤرخ وفيلسوف وشاعر عاش في عهد بطليموس فيلوباتر (٢) لغوي له مؤلف دعاه
المكتبة وكان معاصرا للمؤرخ السابق (٣) من صغابه وكان معاصرا للسابقين

ليكورجوس . ويزعم المؤرخ او تيخيداس أن ليكورجوس هو السادس من سلالة
باروكلس والحادي عشر بعده رقل

كان سويوس اشهر اسلافه وفي عصره استعبد السبارطيون اهالي هيلوت
ووسعوا اراضيهم باغتصاب جزء كبير من اراضي الاركلانيين ويقال انه لما حاصر
سديوس السكياتورين في مكان صعب لاء فيه قبل النزول عن الاراضي التي
اكتسبها السبارطيون بشرط ان يسمحوا له ولرجاله ان يشربوا من ميساء النبع
المجاور ، وبعد أن تبادل الجانبان الايمان جمع سويوس رجاله وأعلن فيهم انه
يقتازل عن الملك لمن يمنع عن الشرب . فلم يقووا على ذلك وبعد ان شرب الجميع
كان هو آخر من نزل الى النبع واكتفى بان رطب وجهه من ماءه مستشهدا
اعداءه الذين كانوا لا يزالون هنالك . فاحتفظ بالاراضي بدعوى ان الجيش كله لم
يشرب ولكن بالرغم من اعجاب الجميع به لم يعط اسمه خلفائه بل دعوا
لارينتونيين كنسبة الى ابنه والسبب على ما ظن أن اريتيون أول من تراخي
في ساطة ملوك سبارطة المطلقة تملقا للجمهور واكتسابا لرضاء

نشأ عن تسامح اريتيون ازدياد مطالب الشعب فكان خلفاؤه من الملوك
موضع سخط الشعب كلما حاولوا ردعه بالقوة ، وموضع زراية كلما تراخوا بمعاملة
ضعفا . لذلك بقيت سبارطة زمنا طويلا فريسة للفوضى حتى ان احده الملوك
وهو والد ليكورجوس ذهب ضحية بينا كان يفصل بين متشاجرين اصيب بطعنة
سكين قضت عليه وترك الملك لابنه البكر بوليد كتييس فتوفي هذا بعده بقليل
فكان المنتظر ان يتولى ليكورجوس الحكم والواقع انه صار ملكا لان احدا لم
يكن يعلم ان زوجة اخيه حبلى ، ولما ذاع هذا الخبر قال ان الحكم من حق الطفل
اذا كان ذكرا ولم يجز الاحكام الا بصفة وصيا . وكان من عادة السبارطين ان يدعوا
الوصى على الملك اليتيم قيا .

ارسلت اليه الامل خفية من افيهم انه لو رضى بها زوجه وصار ملكا فانه يقتل

ثمرة احشائها . استنقذ ليكورجوس لؤم طبعها ولكنّه لم يرفض طلبها بل تظاهر بالوافقة قليلاً أنّه لا يرى حاجة للاجهاض فقد يؤذى الشراب المجبض صحتها ويعرض حياتها للخطر وانه سيجد متى ولد الطفل وسيلة للتخلص منه وبقى يأخذ هذه المرأة بهذه الحيل حتى جاءت ساعة الوضع فارسل اليها من بناته من يعينها على الوضع ويراقبها . فاذولدت بنتاً سلمتها للنساء وان كان ابنا اسرعت باحضاره اليه مهما يكن لديه من الاعمال . ولدت ذكراً وكان ليكورجوس يتعشي مع القضاة عندما احضرت الامينات الطفل اليه . اخذه بين يديه وخاطب الحضور قائلاً « أيها السبارطيون لقد ولد لنا ملك » . وضعه على العرش الملوكي ودعاه خازن يلاوس (فرح الشعب) لشدة فرح جميع الحاضرين واعجابهم بعظمة نفس ليكورجوس وعدله .

7 لم يحكم ليكورجوس سوى ثمانية شهور ولكنّه بقي موضع احترام مواطنيه يصفون له الطاعة وينفذون اوامره احتراما لفضائله ولأنّه صاحب الأمر الملكي والقائم بالسلطة الملكية . ولكنّه لم يخل من الخاسدين يبذلون جهدهم للأضرار بهذا الشاب ؛ لاسيما اقارب الوالدة التي ادعت انها خدعت وقد اهان ليوتيداس ؛ شقيق الملكة ؛ ليكورجوس بلا حياء قائلاً « اعرف جيداً انك ستتولى الحكم » اراد بهذه الفرية اتهمه واثارة الخواطر ضده حتى اذا اصيب الملك باذى وقعت التهمة عليه ، وكانت الوالدة ايضاً تذيع مثل هذه المفتريات . فدفعه الحزن والخوف مما يخبئه القدر الى الابتعاد إلقاء هذه التهم واعتزم التجوال في العالم حتى يبلغ ابن اخيه سن الرجولة ويكون له وريث .

١٧, ١ سافر وكانت أول رحلاته الى كريت فاخذ يدرس انظمة البلاد ويحدث كبار رجالاتها . فلستحسن بعض القوانين وحرص عليها ليحرمها في سبارطة متى عاد اليها وتمكن برجائه وتودده من اقناع رجل هناك معروف بحكمته وعلمه السياسية أن يغادر كريت ويقيم في سبارطة . كان هذا الرجل يدعى تالس لا يرى فيه

مواطنوه سوى شاعر ولكنه تحت ستار الشعر كان يؤدي في الحقيقة مهمة المشرع العظيم . وكانت قصائده تفيض على الطاعة والوفاء ، بديعة النظم والتنسيق تملأ النفس قوة وإيماناً . تطفئ مزاج الجمهور وتوحى اليه حب الخير وتغني روح البغضاء التي كانت تمزق شمل الاتحاد فهدى على نوع ما ، السبيل أمام ليكوجورجوس التعليم وتهذيب السبارطيين

4

انتقل ليكوجورجوس من كريت إلى أسيا . ويقال إنه قصد برحلته هذه أن يقارن بين سذاجة ومروعة الكريتيين وبين ما انطوت عليه حياة اليونانيين وشهواتهم وترقتهم كما يقارن الطبيب بين اجسام الاصماء والضعفاء ويقدر الفارق بين اخلاق وحكومة هؤلاء واخلاق وحكومة أولئك . وهناك عرف لأول مرة قصائد هوميروس وكانت بين يدي خلفاء كليوفيل . وأدرك أن ما تنطوي عليه من آداب وسياسة لا يقل قدراً عما فيها من طرائف الخيال وغرائب القصص . فسرع إلى نسخها وجعلها وجعل منها مؤلفاً واحداً حمله إلى اليونان حيث كان بعض الشيء منها متفرقا ولكن ليكوجورجوس هو أول من اذاع شهرة ذلك الشاعر الكبير بين الناس ويعتقد المصريون أن ليكوجورجوس سافر إلى بلادهم وأنه أعجب فيما أعجب به من انظمتهم وتفرقتهم بين رجال الحرب والطبقات الأخر فنقل ذلك عنهم إلى سبارطة حيث انشأ طبقة خاصة من الجنود والصناعات وأوجد بذلك هيئة حكومية ظاهرة تمية . ويزيد المؤرخون اليونانيون بعض الشيء في رواية المصريين . أما سفر ليكوجورجوس إلى ليبيا وإبيريا برحلته إلى الهند لمحادثة الرياضيين الروحيين فلا أعرف أحداً قال بها سوى أريستوقراطس السبارطي (١) ابن هيبوكرات

V. 1

عم الأسف السبارطيون لغياب ليكوجورجوس ورجوا إليه غير مرة أن يعود قائلين أن ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب إلا بالنابهم ومقامهم ولكنهم يعرفون

فيه قدرة طبيعية على القياد وقدرة على اجتذاب الناس الى رأيه . وكان الملوك انفسهم راغبين في عودته آمين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد وقد وجد عند حضوره العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بان القوانين الجزئية عديمة الجدوى وانه يجب أن يبدأ بمداواة الاجسام المشوهة المريضة وابداء طبائع الفساد بالعقاقير والاشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد .

4 ولما قرأ رأيه على ذلك ذهب الى دلف لاستشارة الاله . وقدم اليه القرايين وعاد بذلك الوحي المعروف . حيث دعى صديق الاله وانه اكثر منه انسان يضاف الى ذلك ان ابولون اجاب سؤاله . وانه سيمنحه القدرة على ايجاد قوانين صالحة . تمتاز بقوتها على جميع انظمة الشعوب وشددت هذه الوعود ساعد ليكورجوس فكشف كبار المدينة والح عليهم في تعصيده . افضى بذلك سراً الى اصدقائه ثم اخذ يضم اليه شيئاً فشيئاً عدداً كبيراً من مواطنيه ، عاهدوه على تنفيذ عزمه .

ولما حانت الفرصة المناسبة امر ثلاثين من كبار القوم ان يجهزوا مسلحين الى الساحة العمومية ارباباً لخصومه . وقد ذكرها ريميوس عشرين من اشهرهم . وكان بين اصدقاء ليكورجوس رجل يدعى ارغنيادس كانت له اليد الطولى في تنفيذ المشروع واقامة القوانين . خشي خار يلاذس في بدء الحركة ان يكون مقصوداً باذى فهرب الى هيكل كالسيبوكوس ولما علم نيات كيلورجوس الحقيقية اطمأن الى الايمان التي اقساموها له وخرج من الهيكل ووافق على كل ما تم لانه كان بطبيعته ميلاً للسلام . وقد اشار ارخلاوس زميله في الملك الى هذا الخلق المرضي بقوله لمن كان يثنى على سلامة نية هذا الشاب « كيف لا يسكون خار يلاذس صالحاً وهو يأبى القسوة حتى على الاشرار ؟ »

10 ان اول واعم ما وضعه ليكورجوس من الانظمة هو مجلس الشيوخ . وهو كما

قال افلاطون. قوة تشارك الملوك في سيادتهم لتهدب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك . يمد للحكومة في الاوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة ان تسيح في لجج من الاضطراب يعيل بها الملوك الى الاستبداد ويجتذبها الشعب الى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضتين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشؤون .

كان الثمانى وعشرون شيخا يعضدون الملوك كلما اقتضت الحال وقت تيار الديمقراطية ويعضدون حزب الشعب لردع الاستبداد عند الحاجة يقول ارسطو أن ليكورجوس جعل عدد الشيوخ ثمانية وعشرين لان اثنين من الثلاثين الذين اختارهم تولاهم الخوف وابتعدا عن المشروع . ويقول سفاروس (وله مؤلف في احياة ليكورجوس وسقراط ومبحث عنوانه جمهورية اسبارطة) مؤكدا أن العدد الذى اختير من البدء هو ثمانية وعشرون . ولعله نظر في ذلك الى خاصية العدد الناتج من ضرب ٧ فى ٤ وأن العدد ٦ هو العدد الزوجى الكامل لانه يساوى جميع اجزائه وللا رأى ان اختيارهم ثمانية وعشرين شيخا حتى اذا انضم اليهم المملكان كانت الجملة ثلاثين شخصا .

كان لهذا النظام في نظر ليكورجوس أهمية كبيرة حتى انه ذهب الى دلف يستوحى (ويترا) لهذه الهيئة خاصة وجرى الوحي كما يأتى « عند ماقيم هيكلًا لجويترالسيلانى ومنيرفا السيلانية وتقسم الشعب الى قبائل وفروع قبائل وتنشئ مجلسا للشيوخ مؤلفا من ثلاثين بما فيهم المملكان وتعقد المجلس كلما اقتضت الظروف بين بايس وسناسيون حيث يشترح الشيوخ القوانين ويكون للشعب حق رفضها ، وهذه الاماكن تدعى الآن اومونت ولكن ارسطو يقول ان الاول اسم جسر والثانى اسم نهر ومن عادة السبارطيين ان يعقدوا مجلسهم هناك حيث لا اعمدة ولا مباني ويعتقد ليكورجوس أن هذه الزخارف لاتعين على تدبير الاراء

الصحيحة بل تضر بما توحيه من تخيلات عقيمة وكبرياء ونفخة لأولئك الذين
اجتمعوا للمداولة في الشؤون العامة . اذ يتلهون بالنظر الى التماثيل والصور والزخارف
المسرحية وسقف غرفة المجلس المتقنة الصنع

لم يكن لغير الشيوخ والملوك في الجلسة العمومية حق الابتداء في عرض
موضوعات المداولة بل كان ذلك من حق هؤلاء فقط وللشعب السلطة التامة في
تقريرها . ولكنه حدث فيما بعد ان الشعب اخذ يفسد قرارات المجلس بالحذف
والاضافة ؛ فاضاف الملك بوليودور وثيونوتب الى الوحي العبارة التالية « اذا
حاول الشعب احداث خلاف ، فعلى الملكين والشيوخ ان ينسحبوا » ومعنى
هذا انهم لا يوافقون على القرارات وان يؤجلوا الجلسة ويلغوا قرارات الشعب لانها
غير مشروعة وقد اقموا مواطنيهم ان هذه اوامر الاله والى هذا المعنى اشار الشاعر
تيرته بقوله .

سمعوا الوحي من فم ابولون . وقتلوا الى وطنهم وحى الاله وهذه السكيات
التي لا ريب فيها . يرأس المجلس الملك المقدسان • الساهران على مدينة
سبارطة الهادئة يليهما الشيوخ ثم رجال الشعب . يريدون القرارات العادلة :

على هذا النحو اعد ليكوريوس الجمهورية ولكن حدث بعد عهده ان اصبح
الثلاثون شيخا حكومة طائفة (اوليمجارشيه) مطلقة تهدد الحرية العمومية
بسلطتها التي لا حد لها فتصدت كما يقول افلاطون بسلطة النواب ، بعد ليكوريوس
بثمانية وثلاثين سنة . وكان اثاتوس أول من عين نائباً وكان ذلك في عهد الملك
تيوتب سمع الملك زوجته تعيب عليه أنه سيمترك المملكة لأولاده أقل سعة مما
كانت يوم استلامها . فاجابها ان الامر على عكس ذلك سائر كما لهم أعظم شأناً
وأثبت قدماً . والحقيقة أنه باطراحه عنها المزيد ، جعلها في مأمن من حسد الحاسدين
وخطر المعتدين ولذلك لم يتعرض ملوك سبارطة لشيء من الخوان الذي أنزله
أهالي مسين وارجوس بملوكهم لاستئثارهم بالملك وعدم ميلهم للتهاون في شيء مما
٩٠ — العظاماء

مرضاة للشعب ، ولا شيء أدل على حكمه وبعد نظر ليكورجوس من اتقائه
الاضطرابات والولايات السياسية التي نزلت بمسكين وارجوس ملوكا وأهالي وهم
من ذوى قربى السبارطيين وجيرتهم كانوا ينعمون في أول عهدهم بما ينعم به
هؤلاء وكان نصيبهم من الأرض خير نصيب ولكن سعادتهم لم تستمر طويلا
أساء الملوك السلطة وتمرد الشعب فاضطرت الانظمة وظهر فضل الآلهة على السبارطيين
الذين كانت حكومتهم تسير بحكمة بين النظام والاعتدال على أن هذا الفضل لم
يظهر الا فيما ولى من الايام .

VIII

والثانى من أنظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغا
أشده لا يملك الكثيرون شيئا ولا مورد لهم وهم سواد الوطنيين في حين أن
الثروة كلها مستفيضة بين أيدي نفر قليل العدد . عمد ليكورجوس رغبة في
اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والغفظة وما هو أضر منها بالحكومات أى
الغنى والفقير الى اقناع السبارطيين بالنزول عن أراضيهم وتقسيمها من جديد
وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة . تتولى الفضيلة وحدها توزيعها
اذ لا فرق بين الناس الا باحتقارهم ما ينجل وجبهم للخير . نفذ المشروع فقسم
ليكورجوس أراضى لاكونيا الى ثلاثين الف جزء لأهالى الريف وتسعة آلاف
لأهالى سبارطة مراعاة لعدد السبارطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن
ليكورجوس لم يزد عدد نصيب السبارطيين عن ستة آلاف ثم أضاف اليها الممالك
بوليدور الفا ويزعم البعض أن الاول وضع نصف التسعة آلاف والآخر النصف
الثانى . وكان ينتج كل جزء سبعين مدا (كيلة) من الشعير لكل رجل واثنتى
عشر لكل امرأة مع ما يناسبها من الامتار السائلة (لعله يريد ما يستخرج منها
من الشراب) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم
وحدث بعد ذلك بسنوات ان ليكورجوس مر بلا كونيا وهو عائد من رحلته وكان
ذلك إبان الحصاد واذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفا منظمه ومتساوية قال

قال لاحد رفاقه « كُن حصاد لا كونيا ميراث تنقاسمه اخوة ».

TX

ولكي يقضى قضاء مبرما على جميع أسباب التفاوت بين الاهالى شرع في تقسيم الاموال غير العقارية . ولكنه رأى ان اصحابها لا تطيب نفوسهم لذلك فسلك طريقا آخر وهاجم الترف من سبيل غير مباشر . فبدأ بالغاء النقود الذهبية والفضية غير بيز سوى النقود الحديدية وجعل القطع ثقيلة الوزن زهيدة القيمة بحيث أنه يلزم لوضع مبلغ عشرة « مين » (١) غرفة كاملة ولا يمكن نقلها الا على عربة يجرها ثوران . وكان تداول هذه العملة سببا لازالة كثير من المبادئ ومن يقبل أن يسرق نقودا لا يمكنه اخفاؤها . أو يطمع في سرقة أو اغتصاب مالا يشتبهى وما لو قطع أجزاء لا تصلح لشيء . ! لان ليكورجوس كان يغمس الحديد بعد احمراره في الخلل انذهب عنه صلابته ولم يمد صالحا لغير ما وضع له لانه يصير سهل الكسر تحت المطرقة

ثم الغى من سبارطة جميع فنون الترف الكمالية على أنه لو لم يلغها لاختفت مع العملة القديمة اذ لا يجد صناعها نفقات صناعتهم لان النقود الحديدية لم تكن لها قيمة بين الشعوب اليونانية الآخر ، يهزأون بها ولا يرغبون فيها ولذلك لم يستطع السبارطيون مشتري بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيدا ولم ترس مركب تجارية في موانئهم ولم تطلأ أرض لا كونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهري يتجر في الذهب والفضة . ولما جرد الترف مما يزيكه و يغذيه ذبل من تلقاء نفسه ولم يكن لاصحاب الاموال ميزة على الفقراء ولم يكن لاموالهم منفذ بين الجمهور فيمقتونها مكسدة في بيوتهم عاطلة بلا فائدة لذلك اتقنت صناعة الادوات الضرورية مثل الاسرة والمقاعد والموائد وكان ذلك سببا لذبوع شهرة الكوز اللاكونى . ذلك الكوز سهل الاستعمال لاسيما للجنود في المعارك ؛ لونه يخفى قذارة المياة التى يضطرون احيانا لشربها وقد يقرهم

١ المين مائة دراخمة والدراخمة أقل من الفرنك الفرنسى يوضع سنتيمات .

منظرها ، وتميز اسلاكه الداخلية ما يرسب في الاناء من الوحول فلا يصل الى
الغيم سوى المصفى والفضل في ذلك للمشرع لأن الصناع لما تركوا صناعة مالا
ينفع انصرفت هممتهم الى اتقان الضرورى

IX. اندفع ليكورجوس في اضطهاد الترف والقضاء على شهوة المال فانشأ نظاما
ثالثا من أجل ما يكون . وهو نظام الطعام العام . لزم الوطنيين أن يأكلوا
جميعاً معاً وأن يتغذوا من لحوم واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين . وحرم
عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة والموائد الفخمة فلا
يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهارة وان تسمن أبدانهم فى الظلام
شان الوحوش النهمه والحقيقة أن فى ذلك افساد للعقول والاجسام واطلاق سراح
الشهوات والدغارة . ثم الاضرار الى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة
الدائمة والازم عيشة المرضى . هذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها اعظم . ذلك
أنها جعلت الاموال فى أمان من السرقة أو كما يقول ثيوفراست أقل من أن
تشتبهى ، أو كأنها صارت لا شىء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن
فى وسع أحد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد
فكانت سبابة بذلك هى المدينة الوحيدة تحت الشمس التى حق عليها ما يقال
أن بلوتوس (١) ، أعنى مضطجع على الارض بلا حياة ولا حركة كأنه تمثال ، لم
يسمح لاحد أن يأكل فى بيته قبل الميعاد ويحضر الولائم المشتركة شعبان

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مع الآخرين يعيبون
عليه علانية ترفه وضعفه عن تناول الاغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع

XI. وكان هذا أشد أنظمة ليكورجوس اغضابا للاغنياء فلجتمع منهم عدد كبير
وصاحوا صيحات الغضب والاستياء ضده ولما تساقطت الحجارة حول ليكورجوس
من كل جانب فر من الساحة العمومية وأسرع بالالتجاء الى هيكل ولم يلحقه أحد

ولكن فتي يدعى الكاندر سايم النية ولكنه حاد المزاج أصر على تعتبه وأذكان
ليكورجوس يلتفت اليه ضربه الفتي بالعصى قلع عينه . لم تفت هذه الضربة في
عضد ليكورجوس بل تقدم الى مواطنيه مرفوع الرأس وأراحم وجهه داميا وعينه
مفقودة فتولاهم الخجل والخجل أمام هذا المنظر وساموا اليه الكاندر ثم ساروا به الى
بيته مواسين متأسين وبعد أن شكرهم على صنيعهم وصرفهم ، أدخل الكاندر
إلى منزله ولم يسيء اليه ولا أنبه على فعلته بل أمر خدمه بالانصراف وعهد اليه
أن يقوم بخدمته . فقام الفتي وهو طيب المنصر بجميع أوامره دون أن يفتح فاه
وإذ كان دائم القرب من ليكورجوس يراقبه كل يوم ويشهد منه العطف والدعة والافقة
والدأب على العمل بلا ملل أحبه حبا جما وكان يقول لمعارفه وأصحابه ان
ليكورجوس أبعد الناس عن القسوة والكبرياء وأنه ألين الناس عريكة والصفهم
خلقا هكذا انتقم ليكورجوس لنفسه من الكاندر بأن جعل من ذلك الفتي
الغضوب العنيد رجل حكمة واعتدال ثم أقام تذكارا لهذه الحادثة هيكلًا للالهة
مينرفا الاو بتيالية (العينية) لان أعالي هذه البلاد يدعون العين « أوبتيل »
ويقول البعض وبينهم ذيرسكوريد (١) الذي الف كتابا عن جمهورية سبارطة .
أن ليكورجوس جرح ولم تنفأ عينه فقام هيكلًا للالهة تذكارا لشفاؤه ومنذ هذه
الحادثة لم يحمل السبارطيون عصا في مجتمعاتهم

كان السبارطيون يدعون هذه الولائم العمومية اندريا ولكن السبارطيون كانوا
يدعونها فيديتا ولعلها فيليتا (الاخاء) لما كانت تدعو اليه من الصداقة والرعاية
ولعلها من اريقتيا وهي كلمة يونانية معناها الاكل وكان يجتمع على المائدة الواحدة
خمسة عشر شخصا أو اقل أو أكثر وعلى كل ان يقدم في الشهر مديمن (٢) دقيق
ومسانية كونيغ (٣) من الخمر وخمسة ارطال من الجبن . ورتالين ونصف

(١) يحتمل ان يكون هو الذي بقى من مؤلفاته ستة كتب في المادة الطبية كان يعيش في
القرن الاول تاريخنا

(٢) المدين يساوي ٥٩٠ ه لرا (٣) السكونج ٢٣٧ ر ٣ لرا

رطل من التين ومع هذا تتود المشتري اللحم . اما اذا كان احد الوطنيين يقدم ضحية او ذهب للقنص فعليه ان يرسل الى الولاية المشتركة باكورة الضحية أو جانباً من غنيمة لانه كان مباحاً لمن يقدم ضحية أو يقتنص ان يأكل في بيته من ضحيته أو غنيمة وما عدا ذلك كان الكل ملزماً ان يحضر الولائم العمومية . بقى السبارطيون زمناً طويلاً حريصين على هذا النظام ولكن الملك اجيس طلب عند عودته من حملته قهر فيها الاثنين نصيبه ليتعشى مع زوجته فأبى الزعماء عليه ذلك . اعمل اجيس اشدّة حنقه اداء التقدمة المعتادة فحكوا عليه بغرامة

كانت الاطفال تحضر هذه الولائم العمومية يؤخذون اليها كأنهم يؤخذون الى مدرسة زهد وقناعة . هناك يسمعون الاحاديث السياسية ويتمرسون بطباع الاحرار . وهناك يتعلمون كيف يمزجون في خفة وكياسة وكيف يسخرون بلا فحص وكيف يحتملون السخرية . صفات يحسبونها حقيقية بالسبارطى أما الذى يضيق بها ذرعاً فما عليه الا ان يشير بوقفها فتنتقطع . ومن عاداتهم ان اكبر الحضور سناً يقف وهو يشير الى الباب ويقول لكل ضيف « لا تخرج كلمة من هنا » ومن عاداتهم الا يقبل وطنى في الولاية المشتركة الا برضى الآخرين . تجرى الموافقة عليه على ما يأتى يطوف عبد بأثناء يلقى فيه كل من الحضور قطعة من لباب الخبز مستديرة وهى علامة القبول أو مبسوطة علامة عدم الموافقة وواحدة من هذه كفية لرفض قبول الطالب لانهم لا يريدون قبول من لا يرضى عنه الجميع وكانوا يدعون المنبوذ « كادا » نسبة الى « كادوس » الوعاء الذى يوضع فيه فتات الخبز

ومن اشهر اطعمتهم الشربة السوداء اذا اكل منها الشيوخ ذهببت شهيتهم للحم يتركونه للشباب ويأكلون الشربة فرحين . يقال ان احد ملوك البونت اشترى عبداً سبارطياً يصطنع له الشربة ولما ذاقها القاها كريمة فقال له الطباخ ايها الامير لا يستطيع هذا الطعام الا من استحتم (اغتسل) فى الايروتاس !! وبعد ان يشرب الجميع قليلاً من الخمر ينطلقون تحت جناح الظلام دون ان تنار

الطريق امامهم لتعود بهم الا ولاج بجرأة وثبات جأش في الظلام هذا هو نظام
الولائم العمومية

لم يكتب ليكوجوس شرائعه بل من سننه ما يحرم كتابته الشرائع فمن رأيه
ان اقوى واعظم ما يجعل الشعب سعيدا وحكيما هو ما كان في اخلاقه وعاداته اذ
تكون المبادئ ثابتة لا يززعها شيء لان اساسها الارادة وهي اقوى من كل اكرام
لذلك تخرج بروح الشباب اثناء التربية وهي الشريعة الاولى للحياة . اما العقود
وهي اقل من هذه شأنًا فلا تعنى الا بالوجهة الفقهية فانها تتغير بتغير الحاجة فمن
الصالح عدم اخضاعها لاساليب مكتوبة أو عادات تتبدل بل يجب ان يترك
للاختيار يزيد عايبها أو ينقص منها على مقتضى الظروف فليكوجوس كان يجعل
التربية الغاية الجلى التي ترجع اليها جميع الشرائع لذلك رأيناه كما تقدم يحرم تدوينها
وله ضد الترف امر آخر الا يستعمل في تسوية السقف وارضى البيوت سوى المطرقة ولا
في تسوية الابواب سوى المنشار . ليس غير . قال ابامينونداس بعد ذلك بزم من طويل
في حديث عن المائدة « لا موضع للخيانة مع غذاء كهذا » وقال ليكوجوس من
قبل في هذا المعنى . لا موضع في بيت كهذا للترف والسكاليات . والحققة هل يمكن
ان يتجرد انسان من الذوق وسلامة الطمع فيضع في بيت بسيط بل خشن سريرا
ذاقوأم فضية ، وبساطا ارجوانيا أو اواني ذهبية أو ما يلائمها من عدة البذخ ؟
الا يرى الانسان على العكس من ذلك ان يلائم بين البيت وما فيه ، وبين الغطاء
والسرير وبين جميع الاثاث ؟ . والى هذه البساطة ترجع كلمة ليونخداس القديم .
رأى وهو يتعشى في كورنت سقف الغرفة كثير الزخرف فسأل مضيفه هل في
بلاد اشجار ذات اربع الوان

38 ويروى عن ليكوجوس امر ثالث وهو تحريمه على مواطنيه اطالة الحرب مع
عدو بعينه لئلا يستبسل ويتمرس لفنون القتال ويعتاد مقاومة الاعداء . لذلك

يعيرون على الملك اجزيلاس مولاته الحفلات على البيوتى حتى تمس الطيبيون بالحروب
 ووقفوا في وجه السبارطين ؛ لذلك قال له انتالسيدياس اذراه جريحا « انك تنال
 من الطيبين الجزاء العادل عما علمتهم . لم يكونوا يرغبون في الحروب ولا يعرفون
 شيئا من فنونها ، فعلمتهم ضرور بها » وكان ليكورجوس يدعو اوامره الثلاث هذه
 (وحيا) كتبها مراسيم وحى املاها الاله ابولون لاقتناعه ان تربية الاطفال اجل
 واجل اعمال المشرع واقومها عدة تتولاها منذ نشأتهم الاولى بما سن من القوانين
 للزواج والميلاد . اما مارواه ارسطو عن ليكورجوس فلا نصيب له من
 الحقيقة . زعم أن المشرع السبارطى حاول اصلاح المرأة ثم عدل عن ذلك لانه لم
 يستطع كبح جماح النساء أو الاقلال من الحرية التى أباحها لهن ازواجهن اذ كان هؤلاء
 ملزمين الابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب . تركوا ادارتها للنساء فاستفحلت
 سيطرتهم حتى كانوا يدعونهن « سيدات » والحقيقة أن المشرع جردهن من كل
 ما كان لهن من شأن . أراد تقوية عضلات البنات بالمران على الجسرى
 والقتال ورمى الرمح والسهام لكي تكون أطفالهن اقوياء المنبت شديدى
 الاصلاب يشبون شجعاناً ويحتملن الوضع بلا خوف ويقابلن آلامه
 بشجاعة . أبعد البنات عن رخاوتهم وترتبن في ظلال الحياة الناعمة مما أضعف
 جنسهن . عودهن الظهور عاريت امام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء في
 الحفلات امامهم وعلى مرأى منهم . فكانت الفتيات تشهد مسابقات الشبان
 توبخ من اخطاء وتثنى على من أصاب ، فكانت بذلك تؤخر الشبان بمنحاس
 ذى حدين تثير فيهم التنافس في حب الخير وحب الفضيلة . فمن نال منهم مديحا
 واحس بالشهرة بينهم عاد مفاخرها بثناهم كذلك كانت واخرتهم لغير المفلحين
 اشد آلاما لنفوسهم من التوبيخات العلانية . لان الحفلات لم تكن قاصرة
 على الوطنيين بل كن يشدها الشيوخ والملوك أنفسهم . ولم يكن في تعريضهم
 شيئا من الخجل اذ كان لهم في الفضيلة والحياء حى . ولم يكن أحد يفكر في

13.10

XIV

سوء ؛ بالعكس كان لمن من ذلك اعتياد البساطة والهناءة باجسامهن وسمو قلوبهن إلى ما فوق عواطف جنسهن إذ يرين أنفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته الجود والفضيلة. لذلك يحق لجميع نساء سبارطة إن تفكر و تقول ما يعزى إلى جورجولز وجه ليونيداس . إذ قالت لها أجنبية « انتن نساء سبارطة وحدكن تسيطن على الرجال » فاجابها « ذاك لانا وحدنا نلد رجالا »

وكان من مثيرات الشهوة للزواج سير البنات عاريات في المواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت أنظار الشبان الذين يحسون أنفسهم منجذبين اليهن لا بدافع « هندسى كما يقول افلاطون . بل بدافع الغرام وزاد ليكوجوس في ذلك المعنى حتى جعل العزو بعاراً . يحرم على العذاب حضور هذه الحفلات ويضطرهن الحسكام أيام الشتاء ان يطوفوا الساحة عريائين ينشدون وهم سائرون أناشيد ضد أنفسهم منها أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعتهم الشرائع . ويجرمون عدا ذلك من الاحترام الواجب على الشبان للشيوخ . لذلك لم يلم أحد ما قيل للاعرب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القواد . ذلك انه دخل على جماعة وكان بينهم شاب لم يقف له احتراماً « ليس لك ولد يقف لى احتراماً . »

والعادة عند الزواج ان يفتطف الشاب زوجته على ان لا تكون طفلة ولا دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج . ومتى اختطفها ساءها الى مساعدة الاعراس فتقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجل ، وتقيمها على طبقية من اوراق الشجر وتدعها وحدها بلا نور ؛ يأتى الشاب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل في اعتداله العادى بعد تناول طعامه في الوليمة المشتركة ، ينسل الى جانب خطيبته ويحل حزامها ويحملها الى فراشه . يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعود فى وقار الى الغرفة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفيقه لا يذهب لمشاهدة امرأته الا حذراً ، كأنه يختلس ذلك اختلاسا يخجل ان يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها بمهارتها على اختلاس الفرص المناسبة

لزيارتها سرّاً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى انه ليحدث ان يصير
الازواج اباء قبل ان يروا نساءهم على ضوء النهار . لم يكن من شأن هذه العلاقات
مران الزوجين على القصد والحكمة فقط . بل تبقى لاجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ
نشاط الحدة الاولى وتجدد الحب وتمنعها اشباع شهواتها التي ينهك الافراط
فيها . الرغبات والقوى ، اما اذا افترق الزوجان على ما قدمنا بقيت في نفس كل
منهما بقية من لهب الغرام ودافع للحب والعطف .

لم يكن ليكورجوس بعد ان سن للزواج هذا الحياء وذلك الحذر اقل اهمّاما
بتعطيل فكرة الغيرة الكاذبة المتخشة التي تحدث الشجار والاضطراب في الحياة الزوجية
اباح الشركة في الاولاد لمن اراد ، ومن ارأه انه يجب السخرية بمن يريدون
جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركون فيها احد ، ينقمون من يعتدى عليهم فيه
بالغدر والحرب . جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب ان يدخل
اليها فتى شريفا يحترمه ويحبه ، وان يعترف بمن يولد له من دم زكي كابن له . كذلك
يباح للرجل المتأفق الذي يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات اولاد ان يطلبها من
زوجها ليغرس في تلك النبتة الخصبة ، ويولد اولادا اقوياء يمنحهم كبار النفوس
دماءهم والقابهم . ذلك ان ليكورجوس كان يعتقد ان الاولاد ليسوا لابائهم خاصة
بل جميعهم ملك الدولة ، لذلك اراد ان لا تكون الابناء نسل أول قادم بل الاكثر
جدارة من الرجال . لم يكتف بذلك بل كان يسخر من حماقة وكبرياء ماسنه
المشرعون الآخرون للزواج ، قال في ذلك ، اتهم يبحثون لسكباتهم وافراسهم
عن خير الكلاب واكرام الخيول يتوسلون الى اصحابها بالرجاء والاموال ويحجرون
على نساءهم يحتمون عليهم الا يكون لهم ابناء الا من بعولتهم ولو كانوا اغبياء ،
عاجزين ، مرضى . كأن ليس من المحزن للاباء والمربين قبل غيرهم ، ان يكون لهم
ابناء ضعفاء سلالة اباء ضعفاء ، وكان ليس من السعادة ان يكون لهم ابناء اقوياء
يشبهون اباؤهم في القوة وسلامة البنية .

كان ليكوجوس يستمد قوانينه من الطبيعة والسياسة. لم يحمل نظامه النسوى السبارطيات على التساهل ، باكثر مما كن عليه فقد قيل ان الزنا لم يعرف في سبارطة يستشهدون لذلك بعبارة قالها جراردس احد قدماء السبارطين . سألته اجنبي ماهو عقاب الزانى فى بلادكم ؟ فاجابه جراردس لازنا فى بلادنا . — قل الاجنبى واذا حدث ؟ . فاجابه يلزم الزانى بشورطويل العنق يستطيع ان يشرب من نهر اوروتاس وهو فى اعلى تايجت فقال الاجنبى ، وكيف يحصل على نور فى مثل هذا الطول ؟ فاجابه جراردس ضاحكا وكيف يوجد فى سبارطة زنا . ؟ . هذا ما يقرر التاريخ عن نظام الزواج .

٧٤٦٨٧
XVI
لم يكن والد الحرافى تربية ابنه ، كان عليه أن يمتلئ الى محل يدعى « اسنش » حيث تجتمع مشايخ كل قبيلة لفحصه فاذا كان سليما قوى البنية أمروا بتغذيته وخصوه بمجزء من التسعة آلاف نصيب التى قسمت اليها الاراضى ، أما اذا كان ضئيلا فأمروا بطرحه فى جفوة قريبة من جبل تايجت تدعى « أبوت » لا يرون فائدة من بقاءه لاله ولا للدولة اذ خلق ضعيفا مقضيا عليه بالحرمان من الصحة والقوة . ولكي تمتحن النساء سلامة الاطفال لا تغسلن بالمياه بل بالنبيذ لان المصروعين والمرضى من الاطفال لا يهتمون حمام الحمر ، بل يذبلمهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى أعصابهم ، من ثم تتولى المرضعات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم فى قاط بل تدع جميع أعضائهم طليقة حرة . تظهر هيئاتهم على طبيعتها . يتعلمون منهم الا يتأثرون من طعام وأن يقتنعوا بالبسيط منه . وان لا يهابوا الظلام أو العزلة . لا صياح ولا تهيبج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن . لذلك كان الاجانب يشترى المرضعات السبارطيات لتربية أبنائهم . ويقال أن امي كلا التى أرضعت السيبياد الاثينى كانت سبارطية . ولكن افلاطون يقول أن بريكلس خص ذلك الشاب بمرب من العبيد يدعى زو بير لا يمتاز عن أمثاله بشئ . أما ليكوجوس فقد أبى أن يعهد

بابناء سبارطة الى عبيد تشتري بالمال ولا الى مربيين من المستأجرة.
 لم يكن الانسان حراً في أن يربي ويعلم ابنه على ما يريد : تؤخذ الاطفال
 متى بلغت السابعة ، وتقسم صفوفا تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد . يعودونهم
 اللعب والعمل معا ، ويرأس كل صف اذكاهم وأبسلمهم في القتال . تتجه اليه أنظاره
 يطيعون أوامره ويحملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر . وهذه التربية كانت
 تعودهم الطاعة ولا شك . كانت الشيوخ تحضر العابهم وتحدث بينهم أسباب
 انضمام والعراك ليروا حقيقة أخلاقهم ويتبينوا جرأتهم ، وإذا كانوا لا يهربون من
 القتال . لا يأخذون من العلوم الادبية الا الضروري وما بقي فمحصور في تلقينهم
 الطاعة ، واحتمال المتاعب بشجاعته ، والالتصار في المارك . وكما تقدموا في السن
 أخذهم برياضة أشد ، يخلقون لهم رءوسهم ويعودونهم السير بلا أحذية واللعب
 معاً أكثر الوقت عريانين .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلبابا بل يعطى اسكل منهم رداء في السنة
 ويبقون قدرين لا يستحمون ولا يتعطرون الا في أيام معدودة يسمح لهم فيها
 بتدوق هذا النعيم . ينام كل فريق في غرفة على فراش من القش يصنعونه بأيديهم
 من أطراف العيدان التي تنمو على شاطئ نهر الاوروثاس . يجنونها ويقطعونها
 بأيديهم دون أن يستعملوا حديدا . وفي الشتاء ينامون على هذا القش مضيقين
 اليه بعض الشيء من الفحم الطفي وهو مادة مدفئة . وفي هذا السن تتطلع أعين
 العشاق الى الممتازين . وتزداد عليهم رقابة الشيوخ . يلازمونهم في العابهم
 ومعاركهم ، يقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين
 ومهذبين جميع الاطفال ، لا يغفلو الولد في وقت ولا مكان يرتكب فيه خطأه الا وجد من
 يوافيه ويعاقبه . يضاف الى ذلك أن معلمى الاطفال يختارون من خير الناس .
 ويختار هؤلاء من كل فرقة أوفر شبانها عقلا وشجاعة على أن يكونوا قد
 تجاوزوا سن الطفولة بسنتين . يتولى زعيم الفرقة وهو في العشرين من عمره قيادة

فرقة في القتال ويستعمل أفرادها أيام السلم في خدمة الموائد. يكلف الركبان احضار الاخشاب والصغار احضار الخضروات والبقول ، يسرقون ما يحضرون سواء بتسليمهم أسوار الخدائق أو انسلطهم الى أماكن الموائد العمومية بمهارة وحذر . ومن أؤخذ منهم عوقب على اهماله وبلاذته . يسرقون ما يستطيعون سرقة من اللحوم ويفنون في اغتنام الغرض ، يسرقون النوم والغافين عن الحراسة يعاقبون من يقبض عليه بالجسد والحرمان من الاكل ، ولا يأكلون عادة إلا قليلا . لانهم مضطرون للحصول على حاجاتهم بأنفسهم ، فالجراحة والحيلة من لازمتهم الضرورية . وهذا هو الغرض الاولى من الاقلال في اطعامهم ، وهناك سبب أضافى وهو أن الاجسام تطول قامتها متى كانت الاعضاء غير متعبة باستهلاك أطعمة تعطل نموها طولا ولا تسمح لها إلا بأنمو عرضاً . فكانوا ينعون بسهولة خلعهم وتطول قاماتهم بلا عائق ولا معطل . ويظن البعض أن ذلك من دواعي الجمال ، لان الطبائع الرقيقة المرنة تلائم قوانين النوم المعتدل الجميل ، اما التي يثقلها السمن والافراط في الطعام فتفسد الجمال . وقد لوحظ أن الاولاد الذين تشرب والداتهم شراباً مطهراً اثناء الحمل يكونون اجمل خلقة لان المادة التي تتألف منها اجسامهم خفيفة ، وقابلة للتكيف . وأولى بنا أن لانجزم في هذا الموضوع برأى خاص فلندعه لغيرنا يبحثه بحثاً وافياً .

XVIII

واليك حادثة تدل على شدة خوف الاطفال من اختفاح سرقاتهم . سرق احداهم ثعلباً صغيراً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه باظفاره واسنانه دون أن يبدوا الولد صيحة المومات في الساحة العمومية حريصاً على سره لانرى في هذه الحادثة شيئاً من الغرابة اذا اعتبرنا حالة شبان سبارطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شبانا يموتون صامتين تحت سياط الجسناد ، على مديح « ديانا اورتيا . »

كان الزعيم بعد العشاء وقبل الانصراف عن المائدة يأمر احد الاطفال ان يغنى ،

ويبقى على غيره اسئلة . كان يسأله من هو خير رجال المدينة . وما رأيه في عمل ما . وبذلك يعودون الاطفال من صغرهم على الفصل بين الصالح والطالح . وتعرف اخلاق الوطنيين لان التردد في الجواب على سؤال مثل : من هو الوطني الصالح ! ومن هو سيء السمعة . ؟ كان في نظر السبارطين دليلاً على النذالة وفقدان العواطف التي تحث على حب الفضيلة . وكان من الواجب ان يشفع الجواب بسببه ، والدليل عليه بايجاز في كلمات هندية جليلة . اما الجواب المهمل فكان جزاءه العقاب وهو أن يعرض الزعيم ايهام (اصبع) الحبيب وكان العقاب يحدث غالباً بحضور الشيوخ والحكام ليتأكدوا اذا كان العقاب الذي يوقعه الزعيم عادلاً وفي دائرة اختصاصه ام لا . لا يعرضون له اثناء توقيع الجزاء بل يدعونه حتى ينصرف الطفل فيعاقبونه بدوره اذا كان قد قس في المعاقبة او تراخى في اجرائها .

وكان العشاق يشاركون الاطفال الذين يعشقونهم فيما يصيبهم من عار او محذور يقال ان طفلاً وهو يقاتل آخر صاح صيحة دالة على عدم الشجاعة فحكم القضاة على عاشقه بغرامة . كان العشاق في سبارطة طاهراً ، وكانت الشريفات من السيدات تتعشق بناتاً ، اما الغيرة فلم تكن معروفة بين السبارطين . كان العشاق نوعاً من الصداقة تربط بين المتعاشقين . يتنافسون فيما بينهم ايهام يجعل حبيبه أكثر مروءة وفضلاً .

كانوا يعودون الاطفال على أسلوب من الكلام حاد وقارس في ملاحظة ورقة . يتضمن معان كثيرة في كلمات قليلة . رأينا ليكور جوس يجعل النقود قطعاً ثقيلة من الحديد لقيمة لها . ولكنه في النقد البياني عمد إلى العكس . أراد أن تكون الكلمات قليلة ولكنها ذات معان دقيقة وأفكار قيمة . كانوا يطبعون الاطفال على الصمت الطويل ويجعلونهم في مناقشاتهم وفرة المعاني في قليل من الكلام ، لكن كان الافراط في الفحش يضعف اعصاب الانسان وينهك قواه فكذلك المنزلة في القول يجعله مبتدلاً ساقطاً خالياً من المعنى . سخر اثنى يوماً امام

اجيس ملك سبارطه ، من سيوف السبارطين القصيرة قائلا « ان المصارعين
يبتاعونها بسهولة على مسارح الالمب . فاجابه اجيس ، « وبهذه السيوف القصيرة
نصيب أعدائنا عن بعد . » ورأى أن خطاب السبارطين على انجازها واضحة
الغاية اشد وضوح ، سريعة النفوذ إلى عقول السامعين .

- كان ليكورجوس ذاته قصير العبارة جلي المعنى ، يدلنا على ذلك ما بقى من ٥
اجوبته ، ومنها عبارته عن شكل الحكومة . اشار عليه بعضهم أن يقيم
الديموقراطية في سبارطه فاجابه « ابدأ باقامتها في بيتك . » ومنها كتبه في الضحايا ٥
سئل لماذا لم تأمر إلا بتقديم ضحايا صغيرة قليلة القيمة فأجاب « ليكون لنا دائما
مانكرم به الآلهة . » وقوله عن المصارعة الرياضية . « لم احرم على مواطنى سوى القتال
الذى تمتد فيه الأيدي . » يذكر ون له أجوبة غير هذه جاءت في رسائله الى مواطنيه
مثل جوابه على سائل سأل . كيف نستطيع دفع غارة الاعداء ؟ فكان جوابه ، متى كنتم
فقراء ، لا يطعم احدكم في نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار ،
« مامن مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان . »
على أنه لا يمكن الحزم بنفى أو اثبات هذه الرسائل وغيرها بلا تردد .

اما بغض السبارطين للخطب الطويلة فدليلنا عليه العبارات التالية

- XX كان انسان يكثر في غير مناسبة كلمات لا تخلو من معنى فقال له الملك ليونيداس
« ما قدرك على وضع الكلمات الطيبة في غير موضعها . » وقيل نثار يلاوس
لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع . « فقال لانه يلزم قليل
الكلام قليل من الشرائع وعيب على السوفسطائى هيكانه الذى اجيز
له الاشتراك في الموائد العمومية ، عدم تفوهه بكلمة فقال ارخيداميداس
« ان من يعرف مواضع الكلام يعرف ايضا متى يجب الكلام هذه
من طائفة من اجوبتهم القارصة التى تزينها المياقة كما قدمنا . — تضافق
وامارات من امثلة متقطع في غير موضعها كان يكرر سؤاله من هو خبير
السبارطين فاجابه « اقل الناس شبيها لك » اتثنى بعضهم امام اجيس على

عدالة احكام الآئين في اعياد اولمبيا فقال « من اعجب العجب ان يعدل الاميون يوما كل خمس سنوات . باهى اجنبى باخلاصه للسبارطين قتالا منهم فى بلدنا يدعوننى صديق السبارطين فقال ثيونوتب ليتمهم يدعونك صديق مواطنيك . — نعى احد كتاب اثينا على السبارطين جهلهم فقال بلستونا كس « صدقت نحن الوحيدين الذين لم نأخذ عنكم ما يضر » وسئل ارخيداميداس كم عدد السبارطين؟ فقال عددنا ايها الصديق كف لطرد الاشرار . »

ولوقتبعناهم فى هزلمهم رأيناهم قد اعتادوا حتى فى ذلك الا ينطقوا سخفا او يلتوا الكلام على غير هدى ، اقترح على سبارطى ان يذهب لسماع رجل يقال البلبى ، فقال « لقد سمعت البلبى ذاته . » وقال بعضهم بعد تلاوة البيتين التالين « بينا كانوا يطفئون الظلم افترسهم مارس الجبار » « هلكوا عند ابواب ساليانت » . « حق عليهم الهلاك كان يجب ان يدعوا الظلم به ترق . » وعد شاب ان يعطى ديكه يقتل بعضها بعضاً فى العراك بينها . فقال لا اريدها عطونى ديكه يقتل وهي تدافع عن نفسها . « ورأى أحدهم أناسا محمولين على حمالة فقال « معاذ الله أن أكون فى موضع لا أستطيع منه النهوض احتراماً لشيخ . » هذه صراحتهم فى عباراتهم على أنه قد قيل بحق ان ايجازهم فى المران الجسدى كان أقل منه فى حب الحكمة .

كان ولعهم بالغناء والشعر الغنائى يعادل طلبهم الرقة والحناء فى اللغة . كان فى شعرهم ما يثير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل على جلائل الاعمال اسلوبه بسيط قوى ومواضعهم جدية كفيلة بتكوين الاخلاق يطرئ من ماتوفى سبيل سبارطه ويندم من أظهروا الجبن يصور حياة هؤلاء بين الاحزان والتعاسة وكان معشياً بين ما يلائم كل سن حاقاً على التقدم الى الفضيلة او اظهار ما يحسن أنفس . يتجمل به الانسان . ويحسن بى أن أذكر بياناً لهذا المعنى كانوا يقيمون فى الاعياد ثلاث فرق غنائية مختلفة من حيث الاسنان فكان الشيوخ يقولون ، « كنا

فتيانا وشجعانا . « فتجيبهم فرقة الشبان « ونحن اليوم كذلك (شبانا وشجعانا)
 اقترب ترباندر « وتقول فرقة الاطفال « ونحن سنكون يوما كذلك . وأوفر شجاعة . »

4. واذا القينا نظرة عامة على شعر السبارطين وقد وصل اليها بعضه ، وعلى
 الاخوان الحربية التي كانوا يرتدونها وهم سائرون ملاقة العدو رأينا أن ترباندر وبندار
 لم يخطئا الصواب عند قولهم ان الشجاعة ترافق الموسيقى . قال الاول عن
 سبارطه : . هناك تزهو شجاعة الجنود والانغام الشجية والعدالة حامية المدن . .
 6. وقال بندار « هناك مجلس الشيوخ وفوارس الحروب ، يدهم على الرماح . وفرق
 المرنين والاغاني والاعيان . » كلاهما يمثل لنا السبارطى شديد الولع بالموسيقى
 والحرب . والحقيقة أن هناك شيئا متعادلان ، هزات الرماح ودقات المزاير . كما
 قيل الشاعر السبارطى .

7. كمن الملك يقدم قبل الموقعة قربانا لاله الموسيقى تذكيرا للجنود بما تلقوه
 من الترية وما سوف يحكم به عليهم ولتبعث فيهم الحمية فيخوضون الخطر ويقومون
 ببجائل الاعمال . وفي هذه الحالة يتساحون مع الشبان فيما يقتضيه النظام
 من الشدة ، يباح لهم ان يعنوا بشعورهم وثيابهم واسلحتهم . وان موقفهم
 كالزيادة الفنية تنتظر المعركة لمن اشغى ما تنوق النفس الى رؤيته حيث تبرز
 عيونهم جرأة وكبراً وتزداد عنايتهم بتنسيق شعورهم قبيل اقتحام الخطر على
 انها موضع اهتمامهم منذ الشباب واضعين نصب عيونهم قول ليكورجوس ان الشعور
 الطويلة تزيد الجمال هيبة والقبح رهبة . كانت نماذجهم في المعسكرات اخف
 منها في ميادين الرياضة وحياتهم البين وافصح فالشعب السبارطى هو الشعب
 الوحيد الذى يجتدي الحرب راحة من عناء المرات والاستعداد للحرب .

4. وبنى اصطف الجند للقتال ولاقى العدو وجها لوجه ، نحر الملك عنزة وامر
 الجند بلبس التيجان والموسيقى ان يرنموا على المزمارة لحن كاستود وهو ذاته
 يغنى نشيد الحرب ايذانا بابتداء الهجوم . ومن المناظر التي تجمع بين الحلال
 م ١٠٠ المظن

والرهبة ، مرأى الجنود تسير بخطى منتظمة على نغمات المزمار ، كل في صفه لا يخرج عنه. ولا اثر للخوف في نفوسهم يقتحمون الخطر باقدام ثابتة ووجود طلقة تحذرهم الانغام الموسيقية. والحقيقة ان رجالا تسير بهم امثال هذه العواطف لا يمكن ان يخامرهم خوف ولا يساورهم غضب ؛ ان صدورهم ملاء بالثقة والامل والجرأة معتمدين على حماية الالهة .

راقصون

كان الملك يتقدم الى العدو ومعه مقاتل على راسه تاج ويكون من فازوا في الالعاب اليونانية ، ويحكي لهذه المناسبة ان عرض على مصارع سبارطى مبلغ جسيم ليتخلص عن المصارعة في الالعاب الاولمبية فاني ، وبعد أن صرع خصمه وقد شاقه مشاقة طويلة ، ماذا استفدت ايها السبارطى من انتصارك ؟ فقال باسماء . « اصحب الملك في ميدان القتال »

متى تغلبوا على العدو واكرهوه على الفرار ؛ لا يتعقبون الهاربين الا الى حيث يتأكدون النصر ويتفنون لاعتقادهم ان ليس من المروءة ولا من الشهامة ولا مما يخلق بشعب يوناني ان يتعقب ويقتل اناسا اعترفوا بالهزيمة وولوا الادبار وهذا مسلك يجمع بين الفائدة والنبالة اللائقة بالنفوس الكبيرة ، يرى الاعداء انهم يقبضون على من يقاومهم ويبقون على اثار بين فيؤثر الفرار على المقاومة .

زعم هيبيا السوفسطائي (١) ان ليكورجوس كان محاربا عظيما وانه قام بعدة حملات . ويعزو فيلوستفانوس (٢) ان ليكورجوس تقسيم الخيالة الى دوائر يؤلف كل منها من خمسين فارسا وتكون مربعا . ولكن ديمتريوس الفالاري يدعي ان ليكورجوس لم يحمل السيف وانه وضع نظام حكمته ايام السلم ومن

XXIII

(١) من اليس ومعاصر السقراط ؛ وقد سخر افلاطون في محاوراته من ادعائه العلم بكل شيء .

(٢) مؤرخ وجغرافي ولد في سيرين وعاصر بطل بوموس فيلادلفوس .

المؤكد ان ايجاد فكرة « الهدنة » ايام الالاب الاولمبية دليل على رقة خلقة وميله للسلام ومع كل فان هرمنتوس يروى عن بعض الكتاب ان ليكورجوس لم يكن يفسر في ذلك اولا ، ولم يقل عنه شيئا لايفيتوس ، ولكنه حضر الالاب اثناء رحلاته متفرجا ، حيث سمع خلفه صوت رجل يعيب عليه في استنكار عدم الزامه مواظفيه الاشتراك في عيد حافل كهذا ؛ التفت ليرى مخاطبه فلم يجد احدا . وقع في روعه ان هذا تنبيه من الالهة فقصدا ليفيتوس ونظم معه معدات الاعياد فزادها بهاء وضمن استمرارها زمنا طويلا .

كان نظام التربية في سبارطة يخضع لقوانينه الرجال الكاملين لاتباع لاحد حرية العيش على ما يريد . وكانت المدينة اشبه شئ بمسكر يعيش فيه الاهالي على مانصت عليه القوانين لكل عمله في الحكومة . وكلهم يعيشون على فكرة انهم ليسوا ملك انفسهم بل ملك الوطن . ومتى كانوا غير مأمورين بعمل وليس لديه عمل تولوا مراقبة الاطفال وتعليمهم مايفيدوا او انقطعوا الى تعاليم انفسهم يأخذون العلم عن الشيوخ ؛ فمن خير ما احسن به ليكورجوس على مواظفيه ؛ اخلاؤهم من العمل واكسابهم الوقت الطويل بفضل ما حرم عليهم من الاشتغال بالاعمال الرابحة حيث جعلهم في غير حاجة عمل يحصلون به ثروة وقد صار المال لاشئ اوشبرا حقيرا . كان الهيلوتيون يقومون لهم بتفليح الارض ويدفعون لهم خراجا معيننا . كان سبارطى في اثنينا يوم قضاء فسمع ان قد حكم على رجل لانه كان عاطلا . فلما عاد مع رفقة الى منزله قال « اين ذلك الرجل الذى يحكم عليه لانه يعيش عيشة الرجل الحر . » الى هذا الحد بلغ احتقارهم للفنون والصناعة ، وجمع الاموال . خرجت القضايا والمخاصمات من سبارطة يوم خرجت الاموال ، وهذا امر طبعى اذ لم يكن هناك ثراء ولا فقر . فضت المساواة على الفاقة ، واجتلب التقشف الخصب . لم يكن هناك سوى

المراقص والولائم ، والتلبيس بالصيد والقنص والمران على الالعب الرياضية والمخادعات العامة لا يذهب الذين يلقون الثلاثين من العمر الى الاسواق بل يقوم بقضاء حاجاتهم زووقرباهم او معشوقهم ، اما الشيوخ فكانوا يخرجون من ضياع الوقت في شأن كهذا ، يقضون بياض نهارهم في الالعب الرياضية او اما كن الاجتماع حيث يتجادلون اطراف الحديث عن الفضائل غير مفكرين في تجارة ولا ثروة . حديثهم اطراء الاعمال الصالحة وذم الطالحة في اسلوب يجمع بين النقد والاستفادة .

لم يكن ليكورجوس عبوسا فقد قال عنه سوسيبوس (١) انه صنع بيده تمثالا صغيرا للضحك ؛ اراد به ان لا تفارق المشاشة الولائم المشتركة والالعب فتكن ملحا يصلح مزاج العمل والمجتمعات . اراد ان يعود مواطنيه الا يشعروا العزلة او يعرفوها ، بل يكونون كالنمل دائمى الاتحاد للمصلحة العامة . ملتفتين حول رؤسائهم خارجا عن زواتهم في نوع من الانشراح لالهى وحب المجد مما ينش النفس فكانوا جميعا للوطن . تعرف ذلك مما يرى عنهم من الاحاديث ؛ لم يفز بادارتيه بالانتخاب ضمن الثلاث مائة فعاد من الاجتماع جزلان راضيا لانه يوجد في سبارطة ثلاثمائة خير منه . كان يبرز بسيستراتيداس بين الموفدين الى قواد الفرس فسألهم هؤلاء ، هل انتم موفدون من قبل رئيسكم او من قبل جمهوريتكم ؟ فاجابه اذا نجحنا فنحن موفدون من قبل جمهوريتنا والافمن قبل رئيسنا . « جاءت جماعة من امفيبوليت الى سبارطة لزيارة ارخيولونيوس والدة برازيداس فسألته هل مات ابنها شجاعا خليقا بابن سبارطه ، فاطراء الاجانب قائلين ان ليس في سبارطة كلها اشجع منه ، فاجابتهم والدة ، لا تقولوا هذا ايها الاصدقاء كان ابن شجاعا ولكن في سبارطة كثيرون خير منه واشجع . »

قلنا ان ليكورجوس انتخب رجال مجلس الشيوخ (السينا) من بين الذين علونوه في عمله ثم سن بعد ذلك شرعة مؤداها انه اذا ترفي شيخ انتخب بدلا منه

(١) محوى من سبارطة عاش في عهد البطالسة الاول .

أوفر الوطنيين فضلا ممن تجاوزوا سن الستين. وكان التنافس معركة من امجد الممارك في العالم وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين لم يكن القصد انتخاب انشط النشطاء ولا اقوى الاقوياء بل احكم الحكماء وافضل الفضلاء ، يستمتع المنتخب طول حياته باجر الفضيلة ، وهو السيادة النامة المطلقة في الحكومة ، يحق له التصرف في حياة وسمعة الاهالى اى فى اهم مصالحهم واليك تفصيل عملية الانتخاب

يجتمع الشعب في الساحة العمومية ويجتمع المختارون (المرشحون) في بيت مجاور لا يرون احدا ولا يراهم احد ولكنهم يسمعون هتاف الجماعة لان الشعب كعادته يعطى صوته عاليا . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الاول والثاني والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون الى الساحة دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد بعد الاخر صامتين فمن كان موقن كان هتاف له اكثر واقوى كان المنتخب فيتوج باكليل من الزهر ، ثم يذهب الى الهيكل يقدم الشكر للالهة يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شجاعته ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الاناشيد تهنئة بحياته الفاضلة . ثم يعد له كل من اصحابه طعاما ويقول له ان المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد ان يزورهم جميعا يعود الى الساحة العمومية حيث يقضى الشؤن . عادة . غير أنهم يعدون له طعامين (حصتين) يترك احدهما وبعد تناول العشاء تحضر ذات قرباء يقفون عند ابواب الساحة فيدعوا اكثرهن احتراما في نظره يقدم اليها الحصة الثانية قائلا ، أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة اقدمها اليك « فتصحبها النساء الى منزلها وتكون هي ايضا موضعا للحنفاة والتكريم .

ولا تقل شرائع ليكوجوس عن الموتى والحيازات حكمة عن سواها. فلنكي يبعد الاوهام عن العقول المحرم دفن الموتى في المدينة ولا اقامة المقابر بالقرب من الهياكل فعود بذلك الشبان رؤية الموت وحال بينهم وبين الفرع من مشهده وتوهم الدنس من لمس الجثة أو الطواف حول المقبرة ولا يسمح بدفن شيء مع الميت ،

انما يكفن في قماش أحمر وورق الزيتون ؛ وحرم كتابة الاسماء على المقابر الاسماء
الذين يموتون في ميدان القتال أو المرأة المكرسة لعبادة دينية . جعل ليكورجوس
مدة الحداد احد عشر يوما وفي الثاني عشر يذهبون لاداء التقدمة للاله سيرس
فيمتضى الحداد . ولذلك لانه لم يرد بقاء القوم عاطلين زمنا طويلا . اذ كان دأبه
ان يجمع بين أداء الواجب الضروري والتشجيع على الفضيلة وتقبيح الرذيلة .
لم يدع رواية في المدينة دون ان يقيم فيها الأمثلة والتقدمات الصالحة يقتدى بها
الوطنيون اذ يرونها نصب عيونهم على الدوام تحتذبهم بقوتها القاهرة الى الخير
وتفرغهم في قلبه .

اما حرمان مواطنيه السفر والطواف في العالم فلانه كان يخشى عليهم ان يجلبوا
عادات البلاد الاخرى والأمثلة السيئة أو يرون في الحكومة رأيا غير رأيه . لقد فعل
أكثر من ذلك ، طرد من سبارطة جميع الاجانب الذين أتوا اليها لغير مصلحة .
لم يكن منه ذلك ؛ كما زعم توسيديد خوفا من ان يقلدوا حكومته أو يتمرسوا بالفضيلة
بل كان ذلك منه خوفا من ان يكونوا في سبارطة معلمين للرذيلة . والحقيقة انه لا بد
من ان يدخل مع الدخلاء في المدينة آراء جديدة ، ومع الآراء الجديدة ، وجهات
نظر جديدة ، ولا تلبث هذه ان تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب في النظام
كما تحدث الاصوات الناشزة عند الغداء اضطرابا في الاداء والتوقيع . لذلك رأى
ليكورجوس انه يجب صيانة المدينة من الاخلاق الفاسدة بعناية أكثر مما يلزم
لابعاد المرضى والموبوءين عنها .

يوجد فيما قدمنا أثر للظلم أو القسوة التي يعييونها على شرائع ليكورجوس .
يقولون انها صالحة لايحاء الشجاعة ولكنها قليلة الفائدة في اقامة العدل . ولعلمهم
يقصدون ما يدعون في سبارطة الغدر (أو الاغتيال .) اذ كان ذلك مما سنه
ليكورجوس على ما زعم ارسطو الذي ادعى افلاطون استيلاءه من حكومة المدينة
ومشرعها .

وتفضيل هذه الشرعة ان الحكام كانوا يرسلون أشد الشبان حذرا وقوة
يقطعون الطريق في المزارع غير مسلحين الا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهائياً
ويختفون في أماكن بعيدة عن الانظار ؛ يستريحون فيها حتى اذا جن الليل
يخرجون ويقتشرون في مفارق الطرق يذبحون من يلاقونه من جماعة الهيلوت . وقد
يغيرون نهائياً على المزارع يقتلون أشد الهيلوتين بأساً . قال توسيديد في تاريخ
حرب البيلوبونيز ان السبارطين اختاروا عدداً كبيراً من رجال الهيلوت الممتازين
بشجاعتهم لتحريرهم وتوجههم بالكاليل الزهر وساروا بهم الى الهياكل ليقدموا
واجب الشكر للآلهة على ما أصابوا من الحرية ؛ وحدث بعد ذلك ان اختفى أولئك
الحررون وكان عددهم ألفين . لم يقل لنا أحد في ذلك العصر ولا فيما بعده كيف
ماتوا . ويقولون أيضاً وارسطويو يد القائلين ان النواب عند استلامهم مهام الحكم
يبدأون باعلان الحرب على الهيلوتين حتى لا يعد قتلهم رجساً . وان السبارطين
كانوا يعاملونهم حينما وجنوا باقسي ما يكون من القوة . كانوا يكرهونهم على الافراط
في شرب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم الى ساحة الطعام العمومية ايرى الشبان ماهو
السكر . وكانوا يكرهونهم على ان يغنوا ويرقصوا أغان ورقصات وقحة مزرية
ويحرمون عليهم كل ماتحتوى عليه هذه الملاحى من خير وشرف . ويقال أيضاً
انه حدث بعد ليكورجوس بزمان طويل أيام حملة الطيبين على سبارطة ان الهيلوتين
أبوا ان يغنوا شيئاً من شعر تارباندر والكيان ، وسباندون السبارطى لان سادتهم
حرموا عليهم ذلك .

وعليه يكون أجلى ما توصف به حكومة كهذه ، ان أحرارها كانوا على
أسمى ما يكون من الحرية وعبيدها في أدنى ما يكون من العبودية . أما أنا
فرائى أن السبارطين لم ينزلوا الى هذا الدرك من القسوة الا بعد ليكورجوس
بزمان طويل . اشتدت وطأة القسوة بعد الزلزال الخطير الذى حدث
٤٨٩ سنة ق . م . انتهزه الهيلوتين فرصة للشورة فنهضوا لها بالاتفاق مع المسيئين

وقد أنزلت هذه الثورة بالبلاد شر الولايات وعرضت المدينة لاشد الاخطار. على
انى لا أستطيع ان أنسب لليكورجوس بدعة هذا الضرب الاثيم من العذر،
انى أحكم عليه حسب أخلاقه ودعته وعدله، تلك الخلال البارزة فى مسلكه
وهى التى شهدت لها الآلهة.

ما لبست روح الانظمة الجديدة ان انتظمت أخلاق الوطنيين فتوطد
دعائم الحكومة الى درجة تستطيع معها البقاء والاحتفاظ بكيانها. قال افلاطون
ان الله لما أتم خلق العالم شر سروراً عظيماً عند ما رآه يتحرك حركته الاولى.
كذلك سر ليكورجوس سروراً عظيماً عند ما رأى جمال وخلال شرائعه تسير
وحدها وافية بالغاية التى قصد اليها. حينئذ أراد أن يضمن لها جهد المستطاع
بقاءً خالداً وسلامة لا تشوبها شائبة. جمع مواظبيه كلهم وقال لهم انه أنشأ هذه
الحكومة كما يحب لسعادتهم ودوام فضائلهم ولم يبق إلا نقطة واحدة، هى فى
الحقيقة أهم ما سبق. ولكنه لا يريد احداً قبل استشارة وحى ابولون. حثهم
على صيانة الشرائع بكل حرص وأمانة لا يغيرون فيها ولا يبدلون حتى يعود من
دلف متعبداً بتنفيذ ما يأمر به الآلهة، عاهدوه على الطاعة النامة واستهملوه فى
الرحيل. اخذ ليكورجوس اليمين على الماسكين والشيوخ والشعب أن يحرسوا على
الحكومة التى أنشأها ثم سافر الى دلف. ولما وصل الى الوحي وقدم التقدمة الى
الآله سألته اذا كانت شرائعه صالحة لسعادة السبارطين وأعماء الفضيلة بينهم،
فاجاب ابولون أن شرائعه عظيمة جديدة وان سبارطة ستبقى أشهر المدن مادامت
حافظة للانظمة التى وضعها ليكورجوس؛ كتب ليكورجوس جواب الوحي وارسله
الى سبارطة، ثم أدى مقدمة أخرى وعانق أصحابه وابنه وارضى ان يموت حتى
لا يتحامل مواظنوه من قسمهم. كان فى تلك السن التى يكون فيها الانسان من
القوة بحيث يستطيع الحياة، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت اذا أراد.
رأى جميع متمنياته محققة على وجه التقريب فامات نفسه جوعاً معتقداً ان موت

السياسي أوفر فائدة لمواطنيه من حياته العاطلة.

هنا مجال فسيح للنظر في هذا الموقف العظيم للفضيلة والعمل . رأى ان يتم سمادته بعد ما قام به من جلائل الاعمال بالثبات . رأى أن يحفظ لمواطنيه الذين أقسموا أن يحرسوا على شرائعه حتى يعود ، دوام ما اجتلب لهم مدة حياته .

لم يحب ظنه فقد بقيت سبارطة في المقام الاول بين مدن يونان متفوقة بفضل حكومتها الحكيمة متحفظة بمجدها مدة الخمسمائة سنة التي حرمت فيها على شرائع ليكورجوس . لم يحدث أحد من الاربعة عشر ملكا الذين تلووه في الحكم من المشرع الى اجيس بن أرخداميس تغيراً ما في الشرائع لان النواب لم يتهاونوا في شأن من شؤون الحكومة بل ازدادوا حرصاً على صيانتها . وكان في ذلك الخير كل الخير للشعب . ولكن قوة الارستوقراطية أخذت في النمو أيضاً . في عهد اجيس تسربت النقود إلى المدينة ومعها البخل والجشع . وفي ذلك العهد اجري ليزاندور في وطنه محبة المال والترف ؛ ولوانه لم يكن يسمح لنفسه أن تستهويها شهوة الذهب . وانتهى الأمر بان تغلبت الاموال التي عاديها من الحرب على شرائع ليكورجوس . اما أيام احترام سبارطة تلك الشرائع فكانت اشبه ببيت عاقل حسن النظام منها بمدينة تسودها الحكمة . أو كما يقول الشعراء عن هرقل أنه طاف العالم لابساً جلد أسد وييمده « زقلة » يطهره من أولاد انخنا والطفافة الظالمين ، كذلك كانت سبارطة برسالة صغيرة وطافية حقيرة تملئ إرادتها على جميع بلاد اليونان فتدين لسلطانها طائفة . تقوض اركان الظلم والاستبداد اللذين يرهقان المدن ، تحكم فتبطل الحروب والفتن ؛ وكثيراً كان يحدث ذلك دون أن تجرد سيفاً أو تدبر ترساً ؛ لا يكلفها ذلك سوى ارسال سفير يخضع الجميع لارادته كما يعمل النحل متى رأى ملكه يسرع اليه ويصطف حوله . فما أعظم ما كان لسبارطة من هيبة وما اشتهر عنها من عدل !

يدهشني بعد ما تقدم ان يقال بأن السبارطين لا يعرفون سوى الطاعة ، أما القيادة فلا . اني أفهم ما يعلتقون من خط على كلمة الملك تيو نوئب ، قيل أمامه يوماً أن سبارطة محتفظة بمقامها لان ملوكها يعرفون كيف يتودون . فقال تيو نوئب « الاولى أن يقال أن الوطنيين يعرفون كيف يطيعون . » إن الشعوب على ما ترى ؛ لا تخضع طويلاً لمن لا يعرف كيف يتودها . إن طاعة الرعية ثمرة علم الراعي . فمن احسن القيادة حسنت له الطاعة . وكما أن الغرض من رياضة الخيل هو كبح جماحها واخضاعها للشكيمة ؛ كذلك الغرض من السياسة الملكية هو افراغ الشعب في قلب الطاعة .

لم يخضع السبارطيون الشعوب لارادتهم فقط بل كانت الامم تتنازع شرف رئاسة أحدهم عليها يخضع لأمره . لم يطالب منهم الا جانب سفنا ولا مالا ولا جيوشاً ، بل قائداً سبارطياً . ومتى فازت به امة تقدمته اليها الهيبة والرهبة . على هذا خضع الصقليون لزعامه جيليب ، والسكاليديون لزعامه برازيداس ، وجميع يونان اسيا لزعامه ايندرو وكاليمكر اتيدياس واجز يلاس . كان القواد السبارطيون يدعون حكام ومصالحى شعوب وملوك العالم . كانت سبارطة سيدة العالم في فني الحياة الطيبة والحكمة . وهذا مادعا ستر اتونيكوس (١) إلى إلقاء عبارته الساخرة . « على الاثينيين ان يحفلوا بالاسرار والاعيان الدينية ، وعلى الألبانيين ان يقيموا الالعب العمومية التي برعوا فيها واذ أخطوا تولى السبارطيون جلدتهم . » كلمة اراد بها الضحك . ولكن انتستين السقراطى (٢) قال في جد إذ رأى الطيبين يفاخرون بانتصارهم في ليكثرا ، انهم يشبهون تلاميذ يباهون بضرب معلمهم .

لم يكن من هم ليكورجوس ان يجعل سبارطة على رأس جملة شعوب لاعتقاده ان سعادة المدينة كسعادة الفرد ثمرة الفضيلة والنظام . قصد إلى ذلك واحسن

(١) مؤسس المذهب الكلي ومعاشر افلاطون .

(٢) سينيقي انبني معروف بنكاته وملحه م

الوضع بحيث جعل الاهالى وهم احرر مكتفين بانفسهم يحرصون جهد استطاعتهم على الفضيلة . عنه أخذ أفلاطون وديوجنوس وزينوت وجميع المؤلفين السياسيين واراءهم السياسية ولكنهم لم يتركوا سوى كتب وخطب . اما هو فقد أخرج للعالم ، لافى الكتب ولافى الخطب ، ، بل فى دائرة الحقيقة جمهورية لا مثيل لها . واقنع الذين يدعون ان الرجل الحكيم على ما حدده الفلاسفة لا وجود له ، انهم مخطئون : لذلك فاق مجده بحق جميع اجداد مؤسسى الجمهوريات فى يونان .

لذلك قال ارسطو ان السبارطين لا يفن ليكورجوس ما يستحق من التكريم وان كانوا يكرمونه تكريماً خارقاً للعادة . أقام له السبارطيون هيكلًا يؤدون له التقدّمات كل سنة كأنه اله . ويقال أيضاً أنه لما احضرت رفاته الى سبارطه انقضت الصاعقة على قبره ؛ ولم يحدث هذا لغيره من العظام سوى اوربيد الذى مات بعد ذلك بزمان بعيد فى مقدونية . ودفن بالقرب من اراتوس ؛ وهذه شهادة مجيدة وفي بها المعجبون به لانها ميزة انفرد بها وحده بعد موته كقفرش واعز رجل على الالهة .

يقوله البعض أن ليكورجوس مات فى جبرها ؛ يقول أبولوتنيس (١) أنه نقل إلى أوليد ، ويؤكد تيا (٢) واريستوكسين (٣) أنه ايامه فى كريت وان الكريتين يدلون على قبره بالقرب من الطريق الكبير ويقال أنه ترك ابنا وحيدا وهو انتيوروس ومات بلا غقب فكان آخر أسرته . أقام أصحاب وأهل ليكورجوس عيداعاما يحيون به ذكراه ، بقى زمنا غير قليل . يدعون أيامه باسمه « الليكورجوسية » ويقول اريستو كرات بن هيبارك (٤) أنه لما مات ليكورجوس فى كريت أحرق

١ كاتب مجهول . ٢ له تيا التوروموينى الذى سبقت الاشارة اليه . ٣ له ثلاث مؤلفات فى الموسيقى نشرت باسمه فى مجموعة مايوسبيوس . وله مؤلف فى سير الفلاسفة . ولد سنة ٣٥٠ ق م . وكان تلميذا لارسطو . ٤ مؤلف غير معروف

الاهالى جثته وذروا رمادها فى البحر بناء على وصيته . لانه ان تعاد رفاقته الى
ضبارطة فيتحلل السبارطيون من ايمانهم بحجة أنه عاد فيغير شكل حكومته هذا
ما يعرف عن ايكورجوس .

نوما

من سنة ٧٥٤ الى سنة ٦٧١ ق . م .

تتناقض الاقوال في زمن حكم الملك نوما على ان السلالات متصلة اليه من جيل الى جيل . حقيقة ان كاتباً يدعى كلود يوس يؤكد في مؤلف له عنوانه مناقشات في الازمنة . ان جميع السجلات ضاعت ايام اغر الغاليون على روما وان الموجود منها مختلق اصطاعته ايدي البعض رغبة في اثبات سلسلة انسابه الى قدماء الرومانيين ايفسحوا لانفسهم مكاناً في منازل العظماء . يقال ان نوما كان صديق فيثاغوروس . ويقال انه لم يكن يعلم شيئاً من الآداب اليونانية ؛ ولان الطبيعة وحدها هي التي تكونته وحملته على التزام الفضيلة . واذا كان قد تلقى العلم والادب على استاذ فيجب ان ينسب هذا الشرف الى رجل من البربر (الاجانب) أعلى كماً من فيثاغوروس ويؤكد البعض ان فيثاغوروس لم يوجد إلا بعد نوما بزمن طويل يقدر بخمسة أجيال على الأقل . ولكن فيثاغوروس السبارطي الذي أحرز قصب السبق في الالعاب الاولمبية للدورة السادسة عشر التي حدثت في سنتها الثالثة انتخاب نوما . قام برحلة الى ايطاليا وصار صديقاً للملك وأعانه على تنظيم شؤون مملكته . هذا سبب مراه من لانظمة السبارطية خلال النظم الرومانية . ولكن النصائح التي تعزى الى فيثاغوروس هذا قد تكون هي انها أتت الى نوما عن طريق أصله السابي لان السابينيين يزعمون انهم سلالة جالية سبارطية . على انه من المتعذر ضبط الزمن ؛ لاسيما اذا أردنا تطبيقه على الدورات الاولمبية التي أنشأها أخيراً هيبياس الاليسي ولا يستند الى وثيقة حقيقية ثابتة . ومع كل سنوي ما وجدناه عن نوما جديراً بالذكر وفي الموضوع ذاته ما يدلنا على بدايته .

في السنة السابعة والثلاثين لبناء روم ما وحكم رومولوس وفي السابع من شهر
يولييه وهو اليوم المعروف الآن بيوم العذارى السكارا تية. ذهب رومولوس الى
خارج المدينة ليؤدى مقدمة عامة بالقرب من غدير العنزة يصحبه جميع رجال
مجلس الشيوخ والشعب كله تقريباً. تغير الجوفجأة تغييراً غريباً. انتشرت على
الارض غيمة كثيفة مظلمة وهبت رياح عاصفة فكانت زوبعة خفيفة. استولى
العرب على الجمهور فتفرقوا بددا واختفى رومولوس وسط هذه العاصفة ولم يجدوا
حتى جنته. اشتدت الشبهة ضد الشيوخ وجرت الاشاعة بين الناس بانهم ملوا
الخضوع لسيطرة ملك فعملوا على التخلص منه ليستأثروا بالحكم. في الواقع ان
رومولوس كان قد مال عليهم وعاملهم بالقسوة والاستبداد ولكنهم كسروا حدة
هذه الاراجيف بتقديمهم الى رومولوس التقدّمات الالهية واقناع الشعب بأنه لم
يبحث وانه ينعم بحياة أوفر سعادة. وأكدهم برومولوس وهو من أكثر رجالهم
شهرة مقدما أغلظ الايمان أنه رأى رومولوس صاعداً الى السماء متقلداً اسلحته وانه
سمعه يأمرهم بان يدعوه كيرنيوس.

ولكن مسألة انتخاب ملك جديد أوقعت المدينة في الاضطرابات والفتن
لم يكن الاجانب قد امتزجوا بالوطنيين. وقع الخصام بين الاهالى وتفرقت كلمة
الشيوخ كل يسى الظن بالآخر. كان الكل مجمعين على ضرورة وجود ملك
ولكنهم مختلفون في من ينتخبون، ومن أية أمة من الامتين يختارونه. رأى
الذين اشتروا مع رومولوس في تأسيس روما أنه من الظلم أن يدعى السايون
السيطرة على شعب دعاهم لمشاركته في المدينة وأراضيها. ويقيم السايون البراهين
التي لا تقل قيمة عن هذه بقوهم انهم بعد موت تاتايوس ملكهم لم يشقوا عصا
الطاعة على رومولوس بل تركوا له الحكم هادئاً مطمئناً وخليه يجب لهم في
مقابل ذلك ان يختار الملك منهم. يضيفون الى ذلك أنهم يوم جاءوا الى
روما لم يكونوا أقل قدراً من الرومانيين وانهم زادوا في قوتهم زيادة كبيرة وجعلوه

زيادة كبيرة وجعلوه من مدينتهم تلك المدينة القادرة القاهرة ولكن الشيوخ خشية اضطراب الحال انفقوا فيما بينهم أن يتولى كل منهم الحكم واحداً بعد واحد يقدم التقدّمات المعتادة على ما كان يفعل رومولوس وإن تكون مدة حكمه ست ساعات نهلاً وست ليلاً. رضى الشيوخ بهذا الاتفاق لتداول السطة بين أيديهم ويرى كل شيخ في كل نهار وفي كل ليلة وطنياً وملكاً فتزول أسباب الغيرة ويطلق الرومانيون على هذا العهد (عهد ما بين الحكومتين)

لم ينج الشيوخ بالرغم من اعتدالهم وتقربهم للشعب من الريب والظنون والتدّمر ضدهم. أمهم الشعب بتحويلهم الحكومة الفردية الى حكومة جماعة وانهم يضمرون عدم انتخاب ملك ليمتوا الحكم بين أيديهم. فتفق الفريقان اتقاء هذه الظنون ان يعين أحدهما ملكاً يختاره من الفريق الآخر. هذه هي الطريقة التي ظن أنها خير ما يصلح الحال، تحمل الملك المنتخب على العدل لعطفه على الفريقين يعطف على هذا الذي اختاره مدين له بالملكية وتعطفه على الآخر لحة القرابة. ارتضى الساييون أن يقوم الرومانيون بعملية الانتخاب ورأى الرومانيون أن خير لهم أن يعينوا سايبا يختارونه هم من أن يقبلوا حكومة رومانيا ينتخبه الساييون. وبعد المداولة قرّارهم على اختيار نوما بونيليوس، ولم يكن من الساييين الذين أقاموا في روما ولكنه رجل أذاعت فضائله شهرته بين الجميع بحيث أن الساييين همفوا عند سماعهم اسمه أكثر من الذين انتخبوه. أعلن الانتخاب الى الشعب وأرسلوا وفداً من الفريقين الى نوما يرجوا اليه الحىء لاستلام أزمة الملك.

كان نوما من كوريس وهي احد مدن الساييين الشهيرة اخذ منها الرومانيون والساييون الذين اكتسبوا حقوق الوطنية الاسم الذى أطلقوه على أنفسهم الكيريت وهو ابن بونيونيوس رجل محترم وهو اصغر اخوته الاربع. وهو وليد توفيق الى

اذ ولد في اليوم الذي وضع فيه رومولوس اساس روما ، الحادى عشر من شهر مايو حملته فطرته الطيبة على التحلى بالفضائل زادها كمالا بالعلم والصبر والفلسفة . طهر نفسه لا من جميع الالهواء المخجلة بل من الالهواء التى يفتخر بها البربر (المتوحشون) كالفسوة والشراسة . لاعتقاده ان الشجاعة الحقيقية هى اخضاع الشهوات لغير العقل وحرصا على هذه المبادئ ابعد عن بيته جميع اسباب الترف والفخفة . رأى فيه الاهالى والاجانب حكما عادلا لا غش فيه . خص أوقات فراغه لاللى وراء التمتع بالملاذ ، ولا يجمع الثروة بل لتكريم الآلهة والسمو بعقله الى معرفة طبائعها وقدرتها حتى اكتسب من الصيد الحسن والمجد . ما حمل تانيوس زميل رومولوس فى الحكم على اختياره صهرا له ، زوجه من ابنته الوحيدة ثانيا . لم تستوهه هذه القرابة الى مغادرة موطنه والمقام بقرب حميه بل بقى فى كوريس يعنى بخدمة والده المعجوز وقد اثرت ثانيا امرأته البقاء مع زوجها فى بيته الخصوصى ناعمة البابل قريبة العين على ما كانت تجسد من أنواع الاحترام والتبجيل فى روما وفى بيت ابيا يقال ان ثانيا توفيت بعد زواجها بثلاث عشرة سنة فهجر نوما بعدها المدينة واعتاد سكنى الريف وكان من دواعى السرور عنده ان يتنزه منفردا بين خصاص الآلهة والمروج المقدسة والاما كن الخبرة . وظنى ان هذه الحياة كانت سببا لما اشيع عنه من اتصاله باحدى الآلهات :

ظن القوم ان لا الضجر ولا الحزن هما اللذين حملنا نوما على الابتعاد عن الناس ، بل انه وجد اليقة اسى وان الهة وجدته خليقا بمردها وانه صار زوجا للالهة اجبرى تغدق عليه خيرات حبها فصار بفضل المقام معها سعيدا عالميا بجميع الامور الالهية وفي هذا ما يشبه ما توارثه الابناء عن الالباء من الخرافات كالتى يرونها الفريجيون عن أنيس والطيميون عن هيردوتوس والاركاديون عن انديميون وغيرهم مما يروى عن رجال أسعدهم الحظ بصداقة الآلهات لا بأس ، لا بل من الطبيعي ان الله الذى يحب الخيول والطيور ، بل الناس يرضى مخاطبة الممتازين بغضائهم

ولا يأتي محادثة التقى الورع . اما ان الها أو ذاتا الهية تتصل بجسد انسان فان
تتمشق جماله ، فهذا مالا يسهل تصديقه . ويذهب المصريون في ذلك مذهباً
خاصاً اذ يرون انه ليس محالاً ان تقترب روح الآله من امرأة وتبذر فيها غرساً
ولكن لا يستطيع بحال ان يتصل أو يتحد جسدياً بالهة . ولكن هذا لا يتفق مع
المبدأ المعروف ان كل ذات تتصل بمادة تترك فيها جزءاً منها وتأخذ منها جزءاً
لا يقل عن ذلك في الحقيقة ؛ ان الآلهة تود الناس . ومن هذه المودة ينشأ فيهم
ما يدعى حب . وما هو منهم سوى عناية خاصة بتكوين أخلاق من يحبون وجعلهم
فضلاً . هذا ما يمكن تصديقه وبهذا تفسر أحاديث الشعراء عن حب أبولون
لغورباس ، وهيانث وادميت وهيبوليت البسيوني ويقال ان هيبوليت لم يكن
يركب البحر من مدينته الى غيرها إلا ومتى شعر الآلهة بقربه وفرح بعودته حتى
يوحى الى مستلم الوحي ان ينطق بهذا الشعر الحماسي

« هيبوليت تلك الرأس الغريزة يمتاز البحر ويعود » ويقال أيضاً ان « بان »
أحب بNDAR وشعره وان الآلهة أكرمت هز نود وارخيلوك بعد موتهما لانهما كانا
عزيزين على آلهة الشعراء وان الاله اسكولاب أقام في مسكن سوفوكل مدة حياته
ولا يزال هناك حتى اليوم أدلة على هذه الزيارة وان بعد موته قام له اله أخربا الواجب
الاخير . اذا كان هذا شأن الآلهة مع الشعراء فهل نستطيع في غير عدل ان ننكر
عليهم . تسكريمهم أمثال زالوكيس ومينوس وزردشت ونوما وليكورجوس وهم
حكام ومؤسس جمهوريات ؟ الا يجدر بنا ان نقول بان داعيا خطيراً يحمل للآلهة
على مواصلة هؤلاء العطاء ؟ وجب عليهم ان يأتوا ليوحوا اليهم مشروعاتهم المحمودة
وتشجيعهم على تنفيذها في حين انه اذا صح التصالح بالشعراء والموسيقين فلا
يسكونوا لغير شئ سوى التلحى . وإذا رأى احد غير هذا فالجمال فسيح . كما قال
اكيليدس ، فلا بأس من الاعتقاد بما ذهب اليه بعض المؤلفين ان ليكورجوس
ونوما وغيرها من العطاء ممن تولى قيادة جماهير خشنه الطباع شديدة المراس

ادعوا لقبول ما ارادوا احداً من التغيرات صدروها عن الالهة : تخيل وافر الخير حتى لمن خدعوا

كان نوما في الاربعين من عمره عندما وصل اليه وفد روما يرجو اليه قبول الملكية . قام بمخاطبته بروكوس وفلازيوس اللذان وقع عليهما الانتخاب الاول من الرومانيين والثاني من السابينين ، لم يكن خطابهما طويلاً ولا يشكافي ان نوما سيتلقى الخبر الذي يحملانه اليه كنعمة كبيرة ولكنهما لم يجدا السبيل لاقناعه سهلاً . كان لابلدهما من تقديم الاسباب المعقولة والرجاء لاقناع رجل اعتاد العيش بين انراحة والسلام ، بقبول حكومة مدنية ولدت في الحروب ووفت في ظل السلاح . اجاب بحضرة والده وماريوس احد اقاربه بما يأتي .

« في كل تغيير يحدث في حياتنا خطر علينا اما من لا يعوزه شيء ولا يشكو حالة فمن الجنون ان يعدل عن عادته ويغير من شأنه وان يستعيض عما هو مؤكد الفائدة بما لا تؤمن عقباه كما يستفاد مما حدث لرومولوس فقد الصقت به تهمة قتل زميله تاتيوس وتركه التهمة لاحقة برجال مجلسه بعد موته بانهم هم الذين قتلوه .

مع ان الشيوخ يحتفلون بذكرى رومولوس بصفته ابن الالهة . يقولون ان رومولوس غدى في طفولته واتخذ بعناية الهية خاصة . اما انا فمن البشر غذيت ونشأت بين رجال تعرفونهم وما اعتدحونه في من الصفات ليست ما يلزم لرجل يقدم على تولي الحكم .

ان ما لاجبته دائماً هو الراحة والدرس بعيداً عن مهام الاشغال وما يلازمها اني احس بميل شديد للسلام ، للرياضة البعيدة عن الحرب ، لتلك المجتمعات التي تشتغل بتكريم الالهة التي تتمتع بالمسرات البريئة يعود منها الى حرائة الارض ورعاية القطعان .

اما انتم ايها الرومانيون فقد خلف لكم رومولوس حروباً يحتمل انكم

لم تسكوتوا تودونها . ان المدينة محتاجة في مقاومتها الى ملك ممتلىء حماسة وفي عنقوان الصبا . لقد اعتاد هذا الشعب الحروب والنصر مغرى بشجاعته ويعلم السكلى انه لا يريد سوى التوسع والسيادة على الشعوب الاخرى . فيكون من المضحك خدمة الآلهة وتعويد الاهالى العدل وبنض الحروب واحتمال الشدائد في أمة حاجتها إلى قائد جيوش اشد منها الى ملك

قابل الرومانيون قدمه نوما من الاسباب لرفض الملكية بالالاحاح الشديد وتوسلوا اليه الا يرمى بهم ثانية بين الاضطرابات والحرب الاهلية لانه هو الرجل الوحيد الذى ارتضاه الغريقان . ولما انسحب بذل والد نوما وماريوس الجهد لاقناعه بقبول هذه المنحة الجميلة الالهية .

« اذا كان لك من ثروتك ما يغنيك ولم تكن فى حاجة إلى كنوز : اذا كنت لاتقطع فى مجد السيادة والسلطة بما لك من الفضيلة من مجد محقق فلنعتبر على الاقل انه فى تولى الحكم خدمة للالهة . ان الاله هو الذى يدعوك اليوم ؛ لا يريد ان تبقى العدالة التى اقترنت به عاطلة لاثرها . فلا تقاوم ارادته . لاتفرض الحكم انه مجال يأتى فيه الرجل العظيم جلائل الاعمال هناك يستطيع أن يكرم الالهة أكبر تكريم باخضاع الرجال لعواطف التقوى بما يقدمه الملك من القدوة الصالحة المؤثرة .

لقد أحب الرومانيون تانيوس وهو غريب عنهم واكرموا ذكرى رومولوس بتكرامات دينية ومن يدرى اذا لم يكن هذا الشعب المنتصر قد مل الحروب وشبع من النصر والاسلاب تاق الى رجل يحب العدل يقيم خير الشرائع التى تكمل لهم السلام ؟ و إذا بقى ذلك الشعب على ميوله وشهوته الحربية الا يكون من الخير تحويل هذه الحمية إلى شؤون اخرى متى قبضت على اعنة الحكم . تجمع كلمة الوطنيين وتوفيق روابط المودة بين السابيين وأهالى المدينة العامرة الزهية ؟ ويقال ان فالاحسنا ايد هذه الاسباب ، وزادها رجاء مواطنيه

الذين اسرعوا اليه عند ما سمعوا بقدوم وفد روما، اخذوا عليه في السفر وقبول الملكية ليوثق الاتحاد والالفة بين رجال الامتين .

ومذ قبل قدم مقدمة للالهة وسافر الى روما فاستقبله رجال مجلس الشيوخ والشعب يمدونهم الشوق لارؤيته هتفت له النساء هتاف الفرح وقد من التقدعات في الهياكل وشمل الفرح الجميع حتى كانوا لا يستقبلون ملكا بل مملكة ولما وصل الى الفروم (ساحة المدينة) شرع سيور يوس فتيوس القائم بالحكم في اجراء الانتخاب فاجتمعت الاصوات على انتخاب نوما وقداموا اليه الشارات الملكية . فطلب اليهم نوما أن يترشوا حتى يتأكد من رضى الآلهة فاخذ طائفة من الكهنة والعرافين وصعدوا الى الكايدتول الذى كان يدعو الرومانيون حينذاك تل تاريا فالتقى على وجهه رئيس العيافة غشاء واداره نحو الجنوب ووقف خلفه . ونوما يده اليمنى على رأسه وصلى وادار نظره في جميع الجهات ليرى ما تعلنه الآلهة بطيران العصفير أو علامات اخرى . وكان السكوت الرهيب يخيم على تلك الساحة المكتظة بالناس والكل ينظر ما يحدث الى أن ظهرت اخيرا طيور حسنة الطالع سائرة إلى اليمين وحينئذ لبس نوما الرداء الملكي وتوسط الشعب فعلا هتاف الفرح يحيى الجميع الملك يلقبونه القديس ابن القديسين واعز انسان على الآلهة وكان أول عمله بعد تولية الملك الغاء فرقة الحرس وهى مؤلفة من ثلاثماية جندى التى كان رومولوس يقيمها حوله وكان يدعوها السريعة لخفة رجالها في الجرى . لم يرد نوما ان يظهر عدم الثقة فيهم وثقوا به ولم يرد الا الحسك بين أناس يشقون به ثقة تامه . ثم زاد على كاهنى جوبيتر ومارس كاهنا اخر لرمولوس ودعاها فلامين كبيرينال . وفلامين كلمة مأخوذة من لفظة بكلاتين اليونانية ومعناها القبعة الحمراء وهى التى كان يلبسها الكهنة . وذلك لان الكلمات اليونانية كانت كثيرة التداول بين الرومانيين في ذلك العصر كذلك كلمة لين التى تطلق على اردية الملك مأخوذة من « كايين » اليونانية وكاملوس وهو الاسم الذى كان يطلقه بعض شعوب اليونان على مرقير لانه وزير (أورسول) الآلهة

وبعد هذه الاصلاحات التي اكسبته عطف الشعب ورضاه لم يضع نوما لحظة من الوقت . أخذ يلين أخلاق الوطنيين كما يلين الحديد وان يبدهم من ميولهم القاسية الحربية عواطف أرق وأعدل ، كانت روما حينذاك المدينة الثائرة التي تكلم عنها أفلاطون . صنعة أجراء الرجال وأسلمهم في القتال اجتمع أبناؤها من كل حذب عاشوا بين الحملات والحروب المتوالية تحت قوتها بفضل السلاح وكانت المخاطر يزيد قدمها رسوخا كما يزداد الودد تمكينا بالدق . كان نوما يعلم انه من الصعب جداً ان يحمل هذا الشعب المتبكر الحربي على حب السلم فاستعان بالدين وتوسلاً باقامة الاعياد وتقديم القرابين واقامة المراقص يدبرها بنفسه ويخفف من حركتها بما يودع فيها من أسباب السرور وبهذا راض تلك الطبائع الهائجة وهذبت من سورتها وكان يعتمد احياناً الى الافضاء اليهم باحاديث معجزات مخيفة أظهرتها اليه الالهة : رؤى غريبة واصوات مهديد ، وأخيراً أفلح في تهدئة تلك النفوس وثناها تحت سيطرة الدين

كان هذا المسلك داعياً للقول بان نوما مدين بحكمته لتعاليم وصدقة فيثاغوروس والواقع أن أساس حكومة نوما ومبادئ الفيلسوف هما عبادة الالهة والرياضة الصالحة ، ويقال أيضاً إنه ذهب مذهب فيثاغوروس في إبراز جميع ما يعمل في شيء من المباحاة . فقد راضى الفيلسوف نسرا حتى جعله يقف طيرانه متى دعاه وينحط على رأسه . وكان في الالعب الاولمبية يمر بين الجماعات مظهراً فخذه الذهبى وكم من حيلة تعزى اليه وكم معجزات ، حملت تيمون الفليازى (١) على القول .

« فيثاغوروس صاحب البيان الساحر الجشع في حب المجد »

١ شاعر هجاء اشتهر بهجائه الفلاسفة التغايرين وكان من أهل الشك على مذهب يرمون معلمه لا يحب الخاط بينه وبين تيمون النفور الذى عاش قبله بقرن

« كان يأنس الناس بخطبه الخطيرة الفخمة »

وفي الناحية الروائية من حياة نوما حبه لاحدى الالهات او عذارى الجبال تلك الصلة التى سبق لنا الكلام عنها ، واحاديثه المرغومة مع الهة الشعر . وكان يعزو الى هذه اكثر ما اوحى به اليه وسن للرومانيين شرعة تكريم احداها ودعاها (تاسيتا) (الصامطة أو الخرساء) وكان قصد بها ذكرى وتقديس الصمت الذى سنه فيثاغوروس كحمية .

اما اوامره عن تماثيل الالهة فكانت شديدة الشبه بتعاليم فيثاغوروس وكان الفيلسوف يعتقد ان الذات أو الروح الاولى لا تدرك ، ولا تحس ولا ترى ، معصومة من الفساد كلها « أدراك »

حرم نوما على الرومانيين ان ينسبوا للالهة شكل انسان او حيوان ولم يكن بينهم فيما مضى صورة ولا تمثال الهى . وظلوا مدة المائتين وسبعين سنة الاولى لا يضعون فى هياكلهم ولا معابدهم صورة ماثلة . معتقدين انه من الكفر تمثيل « الاكمل » فى « الاحقر » وانه لا سبيل لمعرفة الله إلا بالفكر . وكذلك كانت تقدماته مطابقة للتقاليد الفيثاغورية لا يستخدم فيها الذبائح بل الدقيق والغول وأشياء بسيطة أخرى

ويستشهد الذين يتمسكون بوجود صلة بين الرجلين بادلة محسوسة يقولون ان الرومانيون منحوا فيثاغوروس حقوق المدينة يذكرون تأييداً لدعواهم شهادة ايشارم وهو شاعر هزلى روى ذلك فى مؤلف اهداه الى انتنور وهو شاعر قديم كان تلميذاً لذلك الفيلسوف (١) ودليلهم الثانى ان نوما دعا احد ابناؤه الاربعة مامر كوس اسم احداً بناء فيثاغوروس ونسبت من هذا الابن اميرة الاميليين وهي من انبل واشرف عائلات الشيوخ اما اسم اميلιος فهو اسم تحبب اعطاه الملك لابنه للدلالة على رقة طبعه ولطف حديثه

(١) خطأ تاريخى لان الشاعر ايشارم عاش سنة ٥٠٠ قبل الميلاد وكان معاصر لسقراط

(ميلوس كلمة يونانية تؤدي ذلك المعنى) وقد سمعت بنفسى غير مرة في روما أن الوحي أمر الرومانيين أن يقيموا في المدينة نصباً لاوفر رجال اليونان حكمة وآخر لاوفرهم شهامة. فقاموا في الفوروم نصيين من (النحاس) أحدها لفيثاغوروس والآخر لاكسياد

على أن هذا الرأي كثير الشك ومن البلد والسخف ان نطيل فيه الحديث اثباتاً أو نفياً

ويعزى الى روما ايضاً انشاء وتعظيم كلية الكهنة المدعون الاحبار (السادة) وتولى رياستها وكلمة يونتيف في عرف البعض مأخوذة من ان أولئك الكهنة كانوا يخدمون الالهة القادرة على كل شيء سيادة كل شيء لان كلمة صاحب القدرة أو السيادة في اللغة اللاتينية (بونس)

ويزعم البعض ان هذه الكلمة تعين شرطاً «لو كان في الامكان» وذلك لان الشرع لم يعين على الكهنة سوى التقديمات التي يستطيعون تقديمها ولا يجعلهم مسؤولين اذا عاقهم عائق مشروع. ولكن أغلب الكتاب مجمعين على أصل أراد مضحكا. يزعمون أن كلمة يونتيف في عرفهم معناها الجسور واطلقت على الكهنة نظراً للتقديمات التي كانوا يقدمونها فوق الجسور وهي أقدم واقدس من سواها

وفي الواقع ان كلمة جسر في اللغة اللاتينية «بونس» يضيفون الى ذلك ان صيانة واصلاح الجسور لم تكن أقل وجوباً على الكهنة من التقديمات الغير معينة ولا الخفلات القومية عدا ان الرومانيين يعتقدون بحكم الدين انه من الرجس تحطيم جسر (كوبرى) من الخشب (١) ويزعمون أن هذا الجسر النشء بلا حديد متماسك وايا خشبية طبقاً لما أراد الوحي ولم يبن الجسر الحجري الا في عهد اميلوس. ويقال ايضاً أن الجسر خشبي لم يكن موجوداً في عصر روما. وانه بنى في عهد

حفيدة مارسيوس، يقوم الكاهن الأكبر بوظيفة المنسّر والعراف لا يقوم بالتقدمات العامة فقط بل يراقب ايضا من يقدمون التقدمات الخصوصية ويحرص على الاتعنى احدهم الاوامر الدينية وهو الذى يتولى تعليم الجميع مايجب عمله لتسكريم الالهة او تسكين غضبهم .

ومن وظيفة السكاهن الاعظم مراقبة العذارى المقدسة (فستال) اذ يقال ان نوما هو الذى انشأ نظامها يعهد اليهن العناية بالنار المشتعلة على الدوام والحرس على الطقوس والتقاليد ولعل نوما رأى أن مادة النار الطاهرة النقية لا يصح ان يعهد فى رعايتها الا لاجسام طاهرة بلا دنس ولعله لاحظ الشبه الجامع بين اللهب العقيم بطبيعته والبتولة والواقع انه فى ييشنو واثينا (اليونان) حيث تشعل النار على الدوام لاتحرسها العذارى بل الارامل اللواتى تجاوزت سن زواج ثان واذا حدث ما اطفأ هذه النار كما انطفأ المشعل المقدس فى اثينا ايلم ظلم اريستيون وفى ييثو حين احرق الميديون الهيكل وفى روما ايلم حرب ميراياد والحروب الاهلية حيث التهمت النار الهيكل والمذبح . متى حدث هذا كن من المحرم اعادة اشعالها بنار عادية بل يجب احداث نار جديدة فيقتبس من الشمس لهب طاهر نقي . يعملون لذلك إثناء مقعرا يقسم داخله الى زوايا متساوية حادة تنبجه جميع اضلاعها الى مركز واحد تعرض هذه الاوانى للشمس فتعكس جميع الاشعة من جميع نقط محيطها وتتحد فى المركز المشترك يشف الهواء وينقسم فيحصل من الانعكاس طبيعة وقوة النار وتشعل فى الحال المواد الجافة الخفيفة التى تعرض لها يزعم بعض المؤلفين ان وظيفة العذارى المقدسة منحصرة فى صيانة النار الدائمة فقط ويقول غيرهم ان هناك اشياء اخرى كان يباح لهن النظر اليها . وقد ذكرت فى سيرة كاميل كل ما يعرف ويقال عن هذه الاسرار . ويقال ان نوما بدأ بتعيين اثنتين فقط وهما جيجانيا وفارانيا ثم زاد عليهما اثنتين كانولينا وتوبيا ثم زاد عليهن سرفيوس اثنتين وإلى هذا الحد بقيت حتى اليوم .

سن نوما للعدارى العفة مدة ثلاثين سنة العشرة الاولى لتلقى العلوم والعشرة الثانية لممارسة العمل والثالثة لتعليم الناشئات . ومتى انتهت هذه المدة كان لهن اختيار فى ان يتزوجن او يتركن المعابد او ابة عيشة تردن . ولكنهم يؤكدون ان قليلات منهن اللواتى استغدن من هذه الحرية ومن فعلت منهن لم تجد مايسر بل قضت بقية حياتها بين التندم والحزن فكانت مثلاً يدخل الخوف الدينى الى نفوس زميلاتهن فتؤثرن البتولة الدائمة على الزواج

وقد منحهن نوما امتيازات عظيمة مثال ذلك يرثن فى حياة والدهن ويمتعن بحقوقه الزوجة التى لها ثلاثة اولاد فتدبر امرها كما تريد بلا رقيب ومتى خرجت احداهن سارت المشاعل امامها واذا قابان مجرما يساق الى القتل خلى سبيله بشرط أن تقسم العذارء انها قبلته على غير اختيار صدقة لاتدبر فيها . واذا مر احد تحت الحماله التى تقلهن كان ذلك ذنباً موجباً للموت . اما اذا اقترفت عذراء ذنباً عقبها السكاهن الاعظم بالجلد يوقع عليهن الفصاص فى مكان مظلم حقيق وهن عاريات لا يسترهن سوى ثوب رقيق اما التى تخون نزر بتولتها فتدفن حية بالقرب من باب القل . يوجد فى ذلك المسكان داخل المدينة رجعة كبيرة يدعوونه المدخل أنشأوا فيه حفرة ينزلون اليها من فتحة على ظهر الارض واودعوا الحفرة سرباً وسراجاً مضئاً وقليلاً من المؤنة الضرورية للحياة . قليل من التنبيد والخبز والماء وجرة لبن وقليل من الزيت كانهم يخفون قصدهم من امانة انسانة مقدسة جوعاً . توضع المحكوم عليها على حماله تغلق غلقاً محكماً يشد عليها بالحبال بحيث لا يسمع صوتها ثم يجتازون لها الساحة العمومية وحينئذ يصطف الناس فى حزن وصمت عميق . مشهد لا يوجد فى روما افطع منه ويوم لا يوم مثله ، ترى فيه المدينة غارقة فى الكدر ومتى وصلت الحماله الى مكان التنفيذ يحمل رجال المشاغل عنها الوثائق ويؤدى رئيس الكهنة صلاة سرية رافعا يده الى السماء ثم يجذب المقضى عليها من الحماله وعليها غشاء

وتضع على السلم الذى ينزل منه الى الحفرة ثم يعود مع باقى الكهنة . ومضى نزلت الى قاع الحفرة رفعوا السلم ثم يغطون الحفرة بأن يكسوا عليها التراب حتى يساوى الارض هذا جزاء العذارى اللواتى تخون عهد دنزر بتوليتهن

ويقال ان نوما هو الذى انشأ هيكل فيستا المستدير لتحفظ فيه النار المقدسة ولم يكن الشكل المختار شكلا يمثل الارض المعتبرة انها فستا بل الكون الذى تشعل النار فى وسطه حسب عقيدة الفيثاغوريين ويدعونها (فستا والمونادا) لانهم لا يعتقدون ان الارض ثابتة ولا انها فى مركز الدائرة بل يعتقدون انها تدور حول النار ولا يحسبونها من أفضل ولأول الاجزاء التى يتألف منها العالم ويقال إن افلاطون قبل شيخوخته اخذ بهذا المبدأ وهو ان الارض ليست مركز الكون بل تدور ذلك المقام الشريف الى عنصر اثير . وقد سنت الاحبار طقوس الجنازات وقد علمهم نوما ان ليس فيها ما يدنس بل يجب تكريم آلهة الجحيم الذين يتلقون خير عناصر ذواتنا وبينهم الآلهة ليبتين الموكلة برعاية حقوق الموتى كأنهم يخلطونها مع الآلهة برونزيريس او فينوس كما يفعل اشهر علماء الرومانيين ينسبون الى آلهة واحدة ميلاد وموت الناس اما مدة الحداد فجعلها مناسبة لسن المبكى عليه ؛ لاحداد على من مات دون الثالثة من عمره ومن ثلاثة الى عشرة يحد عليه بنسبة شهر عن كل سنة عاشها لايزاد عليها ولا يتجاوز اطول حداد عشرة شهور وهذه مدة ترمي الزوجات اللواتى فقدن ازواجهن . أما التى تزوج قبل مضي هذه المدة فيجب عليها ان تضجى بعنزة سمينة حسب شريعة نوما

وقد أنشأ نوما ايضا عدة طوائف من الكهنة نذكر منها اثنتين لدلالتهما على تقوى الملك وهما طائفة السالين وطائفة الغاسينو . يؤدى هؤلاء مهمة المحافظة على السلام وقد اخذوا اسمهم من مهمتهم اذ يقومون بتسوية كل خلاف بالطرق الودية ولا يسمحون بحمل السلاح الا متى يسوا من الصلح ومن عادة اليونانيين الا يدعوا صلحا الا ماتم الاتفاق عليه بالطرق العائلية . أما الصلح بالاكره فلا

ينذهب كهنة السلام الرومانيون بانفسهم مرارا الى الشعوب التي تسمى الى الجمهورية ويبدلون الجهد للتفاهم معهم واذا لم يفوزوا باصلاح الخطأ او الترضية استهدوا الآلهة ونادوا بالويل والثبور طالبيين من الآلهة نصب على رؤسهم اذا لم تكن مطالب بلادهم عادلة ثم يعانقون الحرب . اذا اعترض الساميون على الحرب أو ابوا الموافقة عليها حرم على الجنود الرومانيين والملك حمل السلاح . كان يجب أن يسمحوا للامير بالقتال باعلانهم ان الحرب عادلة فياخذ الامير في تدبير وسائل تنفيذها .

يقال ان غارة الغاليين على روما حدثت بسبب مخالفة هذه العادة المقدسة وذلك أن البربر حاصروا كلوزيوم فأرسل الرومانيون فاييوس اينوستوس اليهم مندوباً لمفاوضتهم في رفع الحصار لم يرضه جوابهم فاعتقد أن مهمته قد انتهت وأقدم بمحبة وعناد الشباب على حمل السلاح في جانب الكلوزيين فأثار حمية أبسل شعوب البربر الى حرب شعواء طاحنة اذ قهر خصمه وقتله وجرده من السلاح . وهناك عرفه الغاليون فأرسلوا منادياً الى روما يشكون فاييوس لحمله السلاح ضدهم بالرغم من التين ومن كل شريعة وبدون اعلان الحرب . فقرر مجلس الشيوخ بعد أخذ رأى طائفة الساميين تسليم فاييوس للغاليين ولكنه لجأ الى الشعب فأيده ونجا من عقاب الموت فلم يحجم الغاليون عن المسير الى روما فخرّبوا جميع ما فيها ما عدا السكايتول وقد شرحت تفاصيل هذه الحادثة في سيرة كلبي .

أما طائفة السالين « الراقصين » فقد أنشأها نوما للنسبة الآتية .

حدث في السنة الثامنة لحكمه أن وباءً انتشر في ايطاليا واجتاح روما فامتلات قلوب الشعب حزناً ثم قيل أنه في يوم ما سقطت ورقة نحاسية من السماء بين يدي نوما فاخذ الملك يروي عنها أحاديث غريبة زعم أنها عليها عن الالهة أيجيرى وآلهة الشعر قائلات على زعمه أن هذه الورقة أرسلت لتجاة المدينة وانه يجب الاحتفاظ بها وضع احدى عشر أخرى تشبهها في

صورتها وحجمها وشكلها بحيث لا يميز أحد بين المصنوع والاصل منها ويجب أن يكرس محل ستوطها والمروج المحاطة به لالهة الشعر لأنها تتردد على هذه المروج ثم يجب جعل الينبوع الذي يرويه بالغتسال « العذارى » يأخذن منها الماء كل يوم لسقاية وتطهير الهيكل وقد جاء انقضاء الوباء مصداقاً لقوله أخذ نوما الورقة « الترس » وعرض على الصناع عمل مثلها فعجزوا جميعاً إلا فاتور يوس مامور يوس أمير الصناع فقد أجاد صناعة الاحدى عشرة الاخرى اعادة تامة بحيث أن نوما ذاته لم يعد يفرق بين الاولى وبينها . فرأى الملك أن ينشيء طائفة الراقصين للعناية بهذه التروس واختار لها هذا الاسم ؛ لانسبة الى ساليوس الساموتراس أوما تينه مخترع الرقص المسلح بل نسبة الى ما يقوم به هذه الطائفة من ضروب الرقص ؛ من تلك القفرات التي يحدثون عند طوافهم في شهر مارس اذ يسرون في موكب بهذه التروس المقدسة في شوارع روما لابسين أردية من الارجوان وعليهم زرد من النحاس وخوذات من النحاس يقرعونها بسيوفهم القصيرة . ينحصر رقصهم في حركات أقدامهم في خطى متوازنة مختلفة ودورات ولفات سريعة متقنة يأتونها في خفة ونشاط .

وبعد أن فرغ نوما من نظام الكهنوت أنشأ هيكلًا لفستا في قصر يدعى بيت الملك كان يسكنه عادة يقدم فيه التقدّمات ويعلم الكهنة ويحادثهم في شؤون العبادة وكان له مسكن آخر في جبل كيرينال باق حتى اليوم . وكانت العادة في المواكب العمومية أو تضرعات الكهنة أن تتقدمهم المنادون في شوارع المدينة ينادون بالتزام الصمت والاعتطاع عن العمل .

يشكر الفيشاغوريون على الناس أن يعبدوا الله أو يصلوا اليه وهم يجرون بحجب في عرفهم أن تخرج الناس من بيوتهم على هذه النية مستعدين لها . لذلك رأى نوما أنه يجب على الوطنيين فيما يختص بعبادة الآلهة ان لا يعملوا شيئاً باهمال أو عن طريق العادة بل يجب عليهم ترك جميع شواغلهم وأن

ينصرفوا بعبولهم الى ذلك العمل وهو اشرف أعمال التقوى . عليه
يجب الامتناع عن الضوضاء والصياح والالين الذى يلزم الصناعات
لاتزال بقية من هذه العادة قائمة حتى اليوم . متى قصد الفأل او استشارة الوحي
او القيام بتقديم يصيحون بأعلى الصوت « اعملوا هذا » ويراد بذلك دعوة
الحضور الى استجماع قواهم النفسية والانتباه

ولا تقل شرائع نوما الاخرى شيئا عن تعاليم الفيشاغوريين يحرم هؤلاء
الجلوس على الاشجار وتحريك النار بخنجر والنظر الى الوراء عند السفر وبأمر
بان يكون عدد التقدّمات للالهة السماوية فرديا كذلك كانت تعاليم نوما تنطوي
على معارف خفية مثل تحريم الغسول للالهة من خمر كرم لم يقلم او تقدمة بلا
دقيق ، وأمر بالقيام بدورة مستديرة اثناء العبادة والجلوس بعد الفراغ منها والظاهر
ان الغرض من الامرين الاولين الحث على زراعة الارض لجزء من الدين .
وكان الغرض من الدورة حول الهة على ما يقال تقليد حركة دوران من كل عمل
وبعدنا عن كل شاغل

تمكنت هذه التربية الدينية من روما حتى جعلتها من الطاعة والاعتقاد بقدرة
نوما اعتقادا غريبا بحيث لا يصعب عليه امر مهما يكن متى اراده ، ويقال في
ذلك انه دعا جماعة كبيرة لتناول العشاء وقدم لهم وعاء واحدا عليه طعام تقشف
مبتذل جدا . وبينما كان القوم يهمون للجلوس حول المائدة قال لهم « هذه آلهتى
اتية لزيارتى » وفي الحال رأوا المنزل ملى بالالوعية الفاخرة ومدت على الموائد
اشهى والذ الاطعمة فى اعظم ابهة .

اما مايروى عن محادثته مع جو بتر ففوق كل خرافة
لم يكن جبل افانتين دخلا فى زمام روما ولم يكن مأهولا ويقال ان ينابيعه
الغزيرة واشجاره الكثيفة كانت الكون ، وبما أن الهيكل كان متجها الى الشرق
وظهر المصلى للشمس فكان الغرض على ما ظن ان يواجه المصلى الشمس ليكون

في حضرة الآلهة . وبهاتين الحركتين يتم دورة كاملة يفرغ اثناءها من صلاته . وهل لا يكون في هذه الدورات اشارة الى المعجلات المصرية ؟ الاتقيد عدم ثبات شيء بشري وانه يجب علينا الخضوع لارادة الله حينما يدور ويؤثر في حياتنا ؟ اما الجلوس بعد الصلاة فهو من باب الغال الحسن ، بان الصلاة قبلت ، وان الخيرات المرجوة ستكون دائمة ويقال في ذلك ايضا ! ان الراحة تفصل بين اعمالنا فاذا انتهى العمل الاول استراح العاملون امام الالهة ليبدؤوا بعده عملا آخر . وكان غرض المشرع من ذلك على ما قدمنا الانصلي الى الله ونحن في شغل آخر كانا نلهو ونجري ، بل تكون الصلاة متى خلونا من مزار الآلهتين هما بيكوس وفونوس . اللتين يمكن مقارنتهما « بساتير » « ريان » عدا ان تلك كانت تطوف ايطاليا تحدث فيها بفضل بعض الادوية والتعاويذ السحرية ما ينسبه اليونانيون الى داكسيل . ويقال ان نوما اسر تلكا الآلهتين بما اودعه من خمر وعسل في الزنبوع الذي كانتا تستقي منه عادة واخذت الآلهتان تغير من زيهما وتتراى في اشكال رهيبة ولكنهما رأتا ان قيودها لاترخى فظهرتا لنوما وكشفته بامور مقبلة وعلمتاه التفادى من الصواعق بواسطة البصل والشعور وشخص

ويقول البعض ان ليست الآلهتان هما اللتان علمتاه هذا التفادى بل انزلتا بسحرهما جوبيتر . غيظ الاله وقال لنوما لا بد لعمل الغداء من رؤوس . . . فقاطعه نوما بقوله « بصل » فاستمر جوبيتر قائلا ، اناس فراد نوما اجتناب هذا الامر القاسى فقال بشعورهم ، فاجاب جوبيتر حية فانزع نوما بقول شخص والتي اوصت اليه بهذه الحيل هي العذراء ايجيرى

عاد الاله جوبيتر راضيا واطلق على هذا المكان اسم ايلسيوم وصارت اجوبة نوما القاعدة في اتقاء الصواعق

تدلنا هذه الخرافات المضحكة على مبلغ ما وصل اليه رجال ذلك العصر من التأثير بالسلطة الدينية والى أى حد من الخضوع بلغ بهم نوما . اما هو فكانت

كل آماله مرتكزة على الحماية الالهيّة حتى انه قيل له يوما ان الاعداء دنوا منا فقال بلسا اما انا فاني اقدم للالهة

كان نوما اول من بنى هيكلًا « للآيمان » وللالة « حد » « ترم » وهو الذي علم الرومانيين أن أعظم قسم هو يمين الآيمان وهو القسم الذي يقسمون به حتى اليوم

اما الحد الترم فهو الاله الذي تقدم اليه التقدّمات العامة على حدود الحقول . يقدمون اليه اليوم ضحايا حية . على انها كانت تجري قديماً بدون اراقة دماء : لان نوما أدرك على نور العقل أن اله الحدود حارس السلام وشاهد العدل يجب أن يكون طاهراً من كل دماء ، وأخطئه هو الذي وضع حدود اراضي روما . ولم يفعل رومولوس ذلك لأنه لو كان عين ما يملكه لظهر ما اغتصبه من الآخرين . والحقيقة أن الحدود اذا حفظت كانت عائقاً في سبيل القوة ، واذا اهملت كانت شهادة على الظلم . وكانت حدود روما في اول عهدها ضيقة جداً ولكنها اتسعت بسلح رومولوس . قسم نوما الاراضي الجديدة على فقراء المواطنين ليقضى على البؤس وهو سبب الفساد ولكن يحول الشعب الى الزراعة . والرومانيون بتفليحهم الارض دمشت اخلاقهم . لان لاشيء يحمل على الرغبة في السلام اكثر من الحياة الزراعية . تحفظ على الرجال شجاعتهم الحربية في الدفاع عن املاكهم بقوة السلاح ولكنها تنزع منهم شهوة الجشع اتى تغريبهم باغتصاب املاك الآخرين . قام نوما رغبة في حل الاهالي على حب الزراعة كخير وسيلة لحملهم على حب السلام والتهذيب من اخلاقهم بأكثر مما تغنيهم ؛ بتقسيم الاراضي اقساماً دعى كل منها صنعة وجعل على كل منها مراقبين ومحاكين . وكان يزورها بنفسه يشهد أثر العمل في اخلاق الاهالي ، يكرم الممتازين بنشاطهم ويؤنب السكّاني ويصلح اهلهم

وخير نظم نوما هو تقسيم الشعب حسب الصناعات لان المدينة كانت مؤلفة من

امتين أو حزينين مختلفين لا يرغبان في ائتلاف ولا ازالة الفوارق التي تجعلها
كشعبيين كل غريب عن الآخر لا ينقضى بينهما نزاع ولا خصام . وكما أنه اذا
اريد خلط اجسام صلبة غير قابلة بطبيعتها للامتزاج لا بد من تحطيمها وجعلها
قطماً صغيرة فيسهل مزجها . كذلك فعل نوما ازالة للاسباب الشجار وكسراً
لشدة الخلاف قسم الشعب الى فرق صغيرة تحولت هممتها الى مصالح اخرى ،
فرقة الموسيقيين وفرقة الصياغ وفرقة النجارين وفرقة الصباغين والدباغين والحدادين
وصناع الفخار الخ

وجعل لكل فرقة جميعاتها وأيام اجتماعاتها وحفلاتها الدينية كل حسب اهليته .
فلخذت الفوارق تتلاشى بين السايبين والرومانيين مو اطنى تاتيوس ورومولوس
بعد شدتها وبدأ التآلف وتم امتزاج الوطنيين في قالب واحد
ويمتدحون لنوما أيضاً شرعته التي لطف بها القانون الذي كان يخول للاباء
بيع أباؤهم فاستثنى الابناء الذين يتزوجون برضى والديهم لانه رأى من القسوة
ان امرأة تزوج رجلاً حراً ترى نفسها زوجة عبد

ثم اشتغل بتنظيم النتيجة التاريخية ولئن جاء إصلاحه غير واف الا انه
لا يدل على جهل . لم يكن متبعاً في عهد رومولوس قاعدة نظامية فمن الاشهر
ما كان عشرون يوماً وما كان خمسة وثلاثون يوماً وأكثر ولم يكن يخطر ببالهم
شيء عن الفرق بين دورتي القمر والشمس بل كانت غاية همهم أن السنة ثلثماية
وستون يوماً ولكن نوما ادرك ان الفرق بين الدورتين احد عشر يوماً لان
القمر يتم دورته في ثلثماية أربعة وخمسون يوماً والشمس في ثلثماية خمسة وستين
يوماً ضاعف الفرق وجعله شهراً قائماً بنفسه مرة اثنتين وعشرون يوماً يدخله الى
النتيجة كل سنتين بعد شهر فبر اير . ودعا الرومانيون هذا الشهر مارسيدونوس على
ان هذا العلاج كان سبباً لاحداث آخر أوفى واكمل

ونوما هو ايضا اول من غير ترتيب شهور السنة جعل مارس الذي كان اول

شهور السنة الشهر الثالث واستبدله بيناير وهو الحادى عشر فى عرف الرومانيين وكان شهر فبراير آخر السنة فصار الثانى ومهما يكن فمن المتفق عليه أن نوما هو الذى اضاف شهرى يناير وفبراير الى السنة الرومانية التى لم تكن سوى عشرة شهور فلا تزال سنوات بعض البربر ثلاث شهور. وكانت السنة عند اليونانيين والاركادين أربعة شهور. ويقال إن المصريين كانوا الاول عهدهم يعدون السنة شهراً واحداً ثم أربعة، ومن أجل هذا تراءى لنساء لؤلؤة وهلة ان هذا الشعب الذى يسكن مدينة جديدة بعيد المدى فى التاريخ، نرى فى تاريخهم عدداً كبيراً من السنين لأنهم كانوا يحسبون الشهر سنه والذى يدلنا على ان سنة الرومانيين كانت عشرة شهور فقط ان اسم الشهر الاخير دسمبر الذى لا يزال جارياً حتى اليوم (العاشر) اما ان شهر مارس كان اول شهور السنة فظاهر من الترتيب الحالى لان الشهر الخامس ابتداءً من مارس يدعى كانتيليس (الخامس) يتلوه السادس والسابع الخ. فاذا قلنا أن شهرى يناير وفبراير كانا قبل مارس كانت تلك التسمية خطأ. اذ يدعون خامساً ماهوى الحقيقة سابعاً. ومع كل فان اشبه رأى بالحقيقة هو أن مارس الذى كرسه رومولوس لعبادة ذلك الاله يكون فى المقام الاول. ثم شهر ابريل المشتق منه اسم افروديت وهو الشهر الذى تقدم فيه الرومانيات التقدمات الى هذه الآلهة وتغتسلن فيه وعلى رؤوسهن اكائيل من الارجوان وقد اختلفت الاقوال فى ذلك الا انه الشهر الذى يفتح فيه الربيع اكمام الزهور كما يتم على ذلك اسمه اللاتينى ابريليس يتلو هذين شهرى مايو ويونيه الاول نسبته الى الآلهة مايا وهو مكرس للاله ماركير والثانى من جونون. وبزعم البعض ان هذين الاسمين متفقان من كلمتى الصبا والشيخوخة حسبما تدل عليه معانيهما فى اللغة الرومانية. اما بقية الاشهر فقد بقيت على ماهى عليه الخامس، السادس، السابع الثامن، التاسع، العاشر. ومن ثم حدث ان الخامس دعى يوليوس تسكريما لقيصر الذى قهر بوبيه والتالى اغسطس لقب الامبراطور الثانى وقد استبدل

دوشيان اسمى سبتمبر واكتوبر بآتين من القابه ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد قتله . فاعيدت الى الشهرين اسمها الاولى . وبقى الشهران الاخيران على حالهما . اما الشهران اللذان اضافهما نوما او بدل مواضعهما وهما فبراير ومعناه التطهير حسب مدلول الكلمة اللاتينية وفيه تقدم الضحايا للموتى ويقام عند لو بركال وهو يشبه كثيرا عيد التطهير (١)

اما يناير اول شهور السنة فقد نحت اسمه من جانوس وظنى ان نوما ابى افتتاح السنة بشهر مارس وهو اله الحرب لانه كان يؤثر الصفات المدنية على الحربية وجانوس هذا سواء كان الها او ملكا كان معروفا منذ القدم بانه صديق المدنية والسلام وانه عدل بالناس عن الحياة الهمجية ولذلك يعودونه بوجهين وذلك لتمكنه باساليبه وسالوكه ان يوفق بين وجهي الحياة

يوجد في روما هيكل باسم جانوس له بابان يعرفان ببابى الحرب لان العادة تنضى بفتحهما ابان الحرب واغلاقهما ابان السلم . ولم يكن اندر من أن تراهما مغلقين . لان الامبراطورية لست بها لم تسكن تنقطع عن الحرب للدفع عن نفسها من غارات البر بالذين كانوا يحيطون بها .

اغلق هذا الهيكل بعد انتصار قيصر اغسطس على انطوان واغلاق قبل ذلك في عهد قنصاية ماركوس اتيلىوس وتيتوس مانىلىوس ثم اعيد فتحة لتجدد الحرب اما في عهد نوما فلم يفتح يوما وما بقي محكم الغلق مدة ثلاثة واربعين سنة اذ خمدت جذوة الحروب لافى روما فقط بل وفي كل مكان . ولم يكن الشعب الرومانى وحده الذى علمت به رقة وعدالة وشفقة الملك بل تأثرت بهذه الفضائل جميع المدن المجاورة كأن ربحا طيبة حملت نسائم السلام من روما الى جميع الشعوب فأخذ كل فى اصلاح شأنه وتهذيب خلقه وطابت نفس الجميع للاستمتاع

بالرفاهية في ظل الشرائع الحكيمة والسلام يعمل لزراعة ارضه وتربية بيته وتكريم الآلهة . فلم يكن الانسان يرى في جميع انحاء ايطاليا سوى الاعياد والمراقص والولائم والتزاوج بلا خوف ، وبوالضيافة ، كأن حكمة نوما ينبوع غزير يفيض العدل والفضيلة على جميع العالم وكان الهدوء نشر من نفسه الوادعة فعم جميع القلوب لذلك يقال ان الشعراء رغم مبالغاتهم لم يفوا وصف سعادة ذلك الزمن « لقد نسجت العنكبوت السمراء خيوطها على الحلق والزرد واكل الصداد الرماح باستنبتها الحادة والسيوف ذات الحدين ، ولم يسمع صوت النفير يزعج النوم الهادى من بين الجفون (١)

ولم تحدث في عهد نوما حرب ولا فتنة ولا رغبة في تغيير نظام الحكم . لم يجلب على نفسه بغض او حسداى انسان فلم يجسر أحد على المؤامرة ضده أو أحداث اى شعب وقد يكون ذلك خوفا من الآلهة التى منحت نوما رضاها بأكثر من دليل . أو احتراماً لفضائله أو هو الحظ الموفق الذى عصم الناس مدة حكمه من الدنس والفساد فكان حكمه مثلاً ساطعاً وبرهاناً قاطعاً على صدق تلك الحقيقة السياسية التى اجترأ افلاطون بعده بقرون على اعلانها وهى انه ليس خير للناس ولا انجح لشفاء امراضهم وآلامهم من أن تجمع الآلهة فى يد رجل بين السلطة والفلسفة فتعيد الى الفضائل قوتها وتنصرها على الرذيلة وما أسعد حظ الرجل الفاضل أو ما أسعد حظ من يسمع ويحبى الكلمات التى تخرج من فم الحكيم ! بها لا يكون الشعب فى حالة اكراه أو تهديد . ان الشعب الذى يرى فى رئيسه اجل ما يقتدى به فى الفضيلة يحول وجهه راضياً نحو الحكمة تجمععه المحبة والوفاق فيمارس العدل والقناعة ليعيش تلك العيشة النقية السعيدة التى هى اكمل غاية ترمى اليها جهودنا فأولى الناس بالحكم هو الذى يعرف كيف يغرس فى نفوس شعبه هذه العواطف

١ قطعة من قصائد باخيلين الموجودة فى مجموعة سنوية وهى غير كاملة هنالان ملوكارخيوس استملاها ذاكرته بذل ان ينقلها غير مدع الامانة فى النقل

ويحماهم على سلوك هذه الجادة . هذا ما افصح فيه نوما اكثر من أى ملك .
وقد اختلفت اقوال المؤرخين في عدد زوجات وابناء نوما فمن قائل انه لم
يتزوج غير «ثائيا» التي رزق منها ابنته الوحيدة بوبليا ومن قائل انه تزوج من سواها
ورزق اربعة ابناء كانوا رؤساء لأكبر العائلات الكريمة في روما وهم : بونونيوس ،
بينوس ، كالبوس ، مامير كوس ولكنهم يتهمون القابليين انهم ارادوا الزنى
لدى لهذه العائلات بنسبتها الى نوما . كما يقولون ان بوبليا ليست ابنته من
ثائيا . بل من امرأة اخرى تدعى لوكرس تزوجها عند اعتلائه العرش . ومن قائل غير
ذلك ولكنهم مجمعون على ان بوبليا تزوجت من مارسيموس وهو ابن مارسوس
الذى اقنع نوما بقبول الملك وجاء معه ونال درجة السناطور (عضواً في مجلس
الشيوخ) وهو الذى نازع بعد موت نوما ، تالوس هو ستياموس ، الملك فقير وانهجر
اما ابنه فاقام في روما ورزق ابناً دعاه انكوس مارسيموس الذى تولى الملك بعد
تالوس هو ستياموس ولم يكن عمره عند وفاة نوما أكثر من خمس سنوات . لم تحدث
وفاة نوما فجأة بل اصيب بداء الهزال واطفأت الشيوخوخة مصباح حياته شيئاً
فشيئاً وكان قد نيف على الثمانين

وقد زادت التكريمات التى حفت بها جنازته جلال حياته اذ اجتمعت الشعوب
الموالية في روما يحملون الهدايا والاكاليل وحمل الشيوخ النعش على اكتافهم
وسارت الكهنة في جنازته ومعهم النساء والاطفال فصارت كأنها ليست جنازة
ملك مات كبير السن . بل جنازة صديق عزيز اقتطفته يد المنون في ربيع حياته .
يزدرف الجميع الدمع ويرسلون نفثات الالم والانين . لم تحرق جثته لانه حرم ذلك
على ما يقال بل صنعوا له نعشين من الحجارة دفنا تحت الجانوكول وضعوا في
أحدهما الجثة وفي الآخر الكتب المقدسة التى خطها بيده كما كان يفعل المشرعون
اليونانيون إذ يكتبون شرائعهم وكان في حياته قد علم الكهنة ما انطوت هذه
الكتب وشرحها لهم وامرهم أن يدفنها معه لأنه لم ير من اللائق ان تصون

هذه الاحرف الميمية تلك الأسرار . يقال من أجل هذا السبب يأبى الفيثاغوريون كتابة مبادئهم بل يكتبون بقلوبهم لمن يمدون فيه جدارة واستحقاقا .
وقد حدث أنهم التقوا مرة الى رجل غير خليق بالعلم فظريات وشروحات هندسية لم تكن معروفة فغضبت الالهة وهددتهم بعقاب صارم تنزله على الشعب لما اجترؤه عليه من تدنيس وكفر

فلا يجب علينا بعد هذا التشابه ان نشدد التنكير على القائلين أن نوما وفيثاغوروس كانا متعاصرين . يزعم انقياس أنهم أو دعوا النعش الثاني اثني عشر كتاباً لاتينيا في الدين واثني عشر كتاباً يونانياً في الفلسفة ويقال أيضاً انه حدث بعد أن بعاية سنة أن هطلت الامطار مدراراً ، وكان ذلك في عهد قنصلية بوبليوس كورنوليوس وماريوس بايوس فكشف المطر عن النعشين فوجد الاول فارغاً لا اثر فيه للجنة أما المكتبة بقيت محفوظة في الثاني وقد تناولها باتليوس وكلت اذ ذاك يطالعها ثم اقدم امام الشيوخ انه ليس من الدين ولا من العدل نشرها بين الشعب فأحرقت

من مميزات رجال العدل والفضيلة ان يزداد مجدهم بعد موتهم اذ لا يدوم الحسد بعدهم طويلاً وقد يموت قبلهم ولكن النكبات التي توالى على خلفاء نوما زادت مجده بهاء وجلالا . اعتقه خمسة ملوك انزل خامسهم عن عرشه وقضى شيخوخته في النفي . ومات من الأربعة الآخر ثلاثة غدراً أما تولوس هو ستيليوس الذي تولى الحكم بعد نوما مباشرة فكان دأبه السخرية من سلفه ومن تقواه الدينية متهمه بتعويد الرجال النذالة وتخنثهم فحول انظار الرومانيين الى الحرب ولكن هذا الخلق لم يطل وانقلب الى تقيضه لما أصابه من مرض عضال فهو حتى الاخذ بخرافات وترهات لا تتفق في شيء مع تقوى نوما فانكره الشعب ولما انفضت الساعة على الملك فمات محروفاً ازدادت في نفوس الناس المخاوف

الموازنة

بين ليكوريوس ونوما

أما وقد فرغنا من سرد سيرتي ليكوريوس ونوما فلنتقارن بين الرجلين بلا تردد ولنظهر ما بينهما من خلاف .

في أعمالها ما يكفي للدلالة على الفضائل المشتركة بينهما الحكمة مثلاً والرحمة وعلم صناعة الحكم والسكافية ، في تقدم الشعوب وما افترده كل منهما في اسناد عمله إلى الالهة ذاتها ، أما إذا نظرنا إليهما من حيث أعمالهم الشخصية العظيمة ظهر الفرق بينهما . نوما يقبل الحكم وليكوريوس يتنازل عنه راضياً أحدهما يناله بلا طلب والآخر يردده وهو بين يديه . أحدهما اختاره شعب غريب ليكون ملكاً عليه والآخر ملك يرد نفسه إلى مقام العامة . جميل جداً ولا شك أن يحصل الانسان على الملكية جزاء فضله واجل من هذا أن يؤثر الانسان الفضل على الملك . اذاع الفضل صيت نوما حتى جعله أهلاً للملك ولكنه جعل ليكوريوس عظيماً يحقر الملك

واليك فارق آخر بين الرجلين لقد غنى كل منهما ، لوجاز لنا هذا التعبير ، صوتاً يخالف الآخر ، أحدهما في سبارطة شد أوتار الحكومة التي أرخاها الترف والخلاعة ، فالما الآخر فقد أرخى ماتوتر وتصلب في روما . وكانت الصعاب القائمة في وجه ليكوريوس من أشد ما يلقي الانسان لم يرد مواظبه على التجرد من دروعهم وسيوفهم بل أراهم على التجرد من ذهبهم وفضتهم . واجتناب اسرتهم الوثيرة وما ذهبهم الفاخرة . لم يجعل لهم من الاعياد والتقدمات عوضاً عن الحرب بل حملهم على ترك الملاذ واتعبهم بحمل السلاح والرياضة البدنية . أفلح

أحدهما في تحقيق غايته بفضل الاحترام والعقل، أما الآخر فقد اقتحم المخاطر وجرح غير مرة ولم يفلح إلا بعد جهاد طويل. أما الصوت الذي غناه نوما فكان منطويا على الرقة والدعة فقلج في تهذيب اخلاق الرومانيين ولطف من مزاجهم الثائر وجب اليهم العدل والسلام. وإذا لم تكن لنا ممدوحة عن نسبة قانون الرقيق « الهيلوزين » الى ليكورجوس وهو عمل غاية في القسوة والظلم. فلا بد لنا من الاعتراف بأن نوما كان في تشريعه أسمى وأرقى، فقد سن للعبيد والذين ولدوا في العبودية أن يذوقوا معاني الحرية. شرع لهم الجلوس أيام (ساتورنال) الحصار الى موائد سادتهم يقاسمونهم ملاذها. واليه يرجع ذلك القول المأثور. يجب أن يكون للزارع نصيبه من محصول ذراعتة ويرى البعض في هذه الشرعة رمزا يراد به الإشارة لتلك المساوات التي كانت قائمة في أيام ساتورن حيث لم يكن سيد ولا مسود وكان جميع الناس ينظرون إلى بعض نظر المساواة والاخاء.

وجملة القول ان المشرعين قصدا الى حمل شعبيهما على التناعة والكفاف. اثر ليكورجوس فضيلة الشجاعة ونوما فضيلة العدل. ولعل اختلاف الشعبين اوجب اختلاف الطرق. لم يحمل نوما الرومانيين على اجتناب الحرب جهناً بل أراد منعهم الاضرار بالغير ولم يقصد ليكورجوس ان يخلق من السباوطين رجال اعتداء وبغى اذ جعلهم رجال حرب بل قصد إلى حمايتهم من غارات المغيرين. اضطر كل منهما لاحداث تغييرات عظيمة احدهما للقضاء على المزيد والآخر لسد النقص. اما سبيلهما في تقسيم الشعب وتوزيع الاراضي والصناعات فقد ذهب نوما مذهبا ديوقراطيا حقيقيا يرضى الشعب فجعل من الصياغ والموسيقين وصناع الاحذية شعبا خليطا جامعا بين الوانه، وذهب ليكورجوس مذهبا ارسوقراطيا جعل الصناعات الآلية بين ايدي العبيد والاجانب وخص الوطنيين بالدرع والرمح. فكانوا رجال حرب ونصار (مارس) (اله الحرب)

لا يعرفون ولا يتعلمون سوى الطاعة لرؤسائهم والانتصار على الاعداء . حرم
ليكورجوس على الاحرار الاشتغال بكل عمل تكون غايته الربح حتى اذا ما تحرروا
عاشوا احررا ابدا وخص العبيد والهيلوزين بالعمل لكسب الربح واعداد
الولائم . أما نوما فلم يعمد الى شيء من هذه التفرقة ، اكتفاء بملاشاة حشع
الجندي لم يحرم على اى الاشتغال بما يشاء قصد الاثراء ولم يعبا بتذليل مشكلة
التفاوت بين الناس وعدم مساواتهم . ترك الوطني حرا يجمع من المال ما استطاع
غير مبال بما يحدث عن ذلك من الفقر والحاجة . اللذين كانا منتشرين في المدينة
كان عليه ان يقاوم من اول الامر البخل حين كان التفاوت غير محفوظ ،
وكانت الثروات تتراوح بين الناس وفي الامكان تسويتها لو فعل ذلك لاذنى
ما اتقاه ليكورجوس من مضار هذه الشهوة التي اشدت خطرها في روما وكانت
جرثومة الشقاء الذى حدث فيما بعد

اما تقسيم الارض فلا لوم على ليكورجوس لاجرائه ولا لوم على نوما لعدم
اجرائه . جعل احدهما هذا التقسيم قاعدة واساسا لجمهوريته . ووجد الآخر
الاراضى حديثة العهد بالتقسيم فلا داع لاعادته وتعديل السابق منه اذا كان
لا يزال جاريا في البلاد . ذهب كل منهما الى اشتراكية النساء والاولاد
فنفيا بذلك المسلك الحكيم الغيرة من قلوب الازواج ولكن ذهب كل منهما
في ذلك مذهبا خاصا . كان للرومانى الذى تكثر ابنائه ان ينزل عن زوجته
لمن يشتهى ان يكون له ابناء مع الاحتفاظ بحرية تركها كل الترك او استردادها
اما في سبارطة فكان الزوج يبقى على زوجته في منزله ويبقى التزاوج على
مقتضاه ، ثم يقرض اخرا زوجته ويعتقه ، الابوة ويحدث غالبا كما قدمنا
ان الزوج يدعوا الى بيته رجلا يأمل ان ينتج ابناء على كل شيء من الجمال
واللطف فيدخله على زوجته . فما هو الفرق بين العادتين ؟ يؤخذ من عادة
السبارطين ان لا اثر في قلب الزوج لذلك الداء الذى يزعج اكثر الرجال

ولسخطهم على زواجهم ويملاء حياتهم غيرة وحزننا اما عادة الرومانيين فانها
تشر بالجل والحياء فالاختفاء تحت ستار التعاقد اقرار بانهم لا يهتمون هذه
المشاركة بلا ألم

جعل نوما البنات تحت رقابة قاسية وحتم عليهن عيشة معتدلة لا ثقة
بجنسهن . اما ايمكورجوس فقد اطلق لمن حرية لاضرر معها كنهن صبيانا ؛
وكان غرضه السخرية بالشعراء الذين اطلقوا على بنات سبارطة « عاريات
السيقان » ومن ذلك قول اوريمد في ابيكيوس واندرومان
تغادر منازلهن جريا وراء الفتيان

فخاذهن عارية و . . . في الهواء (تدوب شوقا للرجال) حقيقة ان شقات
ثوب الفتاة لم تكن مخيطة من اسفل فنفتح بحيث انهن لا تخطو خطوة دون
ان يظفر ساقها كما يؤخذ من قول سوفوكل في الايبات الآتية

والتي تبدأ تحس الشهوة وثوبها مفتوح من الجانبين

ينسدل على الساق التي تدعه بارزا ، تلك هريمون تظهر افخاذها للامارين «
ويقال ايضا انهن كانت على جانب كبير من الجراة لاسيما على ازواجهن
لمن السيادة التامة في منازلهن ، وفي المجالس تعطى لرائيها بحرية في اهم المعضلات
تمسكن نوما من أن يحفظ للرومانيات ما كن يتمتعن به في زمن رومولوس
حين كان الازواج يمتالون كل حيلة لينسوهن حادثة الاختطاف فحاطهن بسيلاج
من الحياء منعهن كل سبيل للتطلع وعليهن الاحتشام والصمت ، وحرم عليهن
الخمر بلا استثناء ولم يجز لهن الكلام حتى في اشد الاحوال لزوما الا بحضور
ازواجهن . ويقال انه حدث مرة أن امرأة دافعت بنفسها عن قضية لها في المحكمة
قارسل مجلس الشيوخ يستخير ابولون فيما يتوقع للمدينة من هذا الحادث . ومن
الادلة على لطفهن ودماثة اخلاقهن عناية الرومانيين بتدوين اسماء الناشرات كما
يسمون اسماء المثبرين للفتن والحروب الاهلية والسفاكين الذين يقتلون والدا أو أخا

فيؤخذ مما دونوه ان اول من طلق امرأته هو سبور يوس كار فيليبوس وكانت هذه الحادثة فريدة في بابها لم يقع لها شبيه مدة مائتين وثلاثين سنة منذ تاسيس روما. ومنذ شجر الخلاف بين تاليا زوجة بنار يوس وحماها جيجانيا . ولم يكن الرومانيون لينعموا بهذه السعادة العائلية لولا عناية المشرع واحكام نظام الاسرة وقوانين الزواج

اما السن التي يباح فيه للفتاة الزواج فهو واحد عندهما . ومن حيث التربية يأبى ليكورجوس ان يسلم الفتاة للزوج قبل ان تدرك سن البلوغ وتشعر الشهوة . أراد بذلك ان يكون زواجها الملائم لسنة الطبيعة من دواعي السعادة والحب لا دواعي البغض والخوف كما يحدث في حالة الاكراه والاعتداء على سنن الطبيعة فيتريث في ذلك حتى تبلغ الاجسام أشدها ، فتقوى على احتمال الحمل وآلام الوضع لان الغرض الوحيد من الزواج في عرفه هو إقامة النسل ، وكان أكثر الرومانيين يزوجون الفتاة في الثانية عشر وما دون ذلك واهمين ان المرأة في هذه السن تكون أظهر جسما وأعف نفساً وأسهل قيادا لزوجها . ومن هذا ترى ان شريعة ليكورجوس أوفى الى نوااميس الطبيعة يقصد بها إقامة النسل . اما شريعة نوما فأوفى الى سنن الآداب يقصد بها الحرص على التوفيق بين الزوجين

اما نظام تربية الاطفال واشتراكهم في تلقى العلوم على معلمين معينين ورياضاتهم وألعابهم وما آدابهم وفي كل ما يعين على تكوينهم وتهذيبهم فقد ارتكبت نوما في ذلك كله اخطاء المشرعين العاديين وتفوق ليكورجوس عليه في ذلك ظاهر جدهم الظهور .

ترك نوما للوالدين حرية تربية أبنائهم على ما تشاء أهواؤهم ووفق حاجاتهم فيجعلهم مزارعين ونجارين وحدادين ومطربين كأنه لا يحبب توجيه الاولاد منذ نعومة أظفارهم الى غاية واحدة وأفرغهم من الاخلاق في قلب واحد : أو كما هم مسافرون (سفر) في مركب لا يفكر الواحد منهم الا في حاجاته واغراضه

الشخصية ، لا يشتركون في مصلحة عامة الا أمام الخطر حين يخاف كل على نفسه وفيما عدا ذلك لاتباعه سوى مصلحته الشخصية .

قد يغتفر للعامة من المشرعين خطأه عن جهل أو ضعف أو سكون ، ألم يكن الا جدر برجل رفعته الحكمة الى تولى شؤون شعب حديث النشأة لا تقوم في وجهه معارضة ، ان يعمل الفكر في تنظيم تربية الاطفال ورياضة الشباب حتى يمحون من بنيتها الفوارق الخلقية ويهذب مبادئها ويوفق بين ميول رجال صبوا منذ حداثةهم في قالب واحد من الفضيلة وصاروا على شاكاة واحدة ؟ تلك التربية المشتركة عدا ما فيها من الفوائد هي التي حفظت شرائع ليكوريوس .

لم يكن ايمان السبارطين سوى وثائق واهية اذا لم تكن هذه التربية وهذا النظام قد طبعا شرائعه في أخلاقهم .

اذا لم يرضعوا مع اللبن حسب هذا النظام . لما بقيت شريعة ليكوريوس مع كل ما تضمنته من الشؤون الهامة أكثر من خمسمائة سنة كالصبغة القوية اللون التي تخلل جميع أجزاء القماش . أو العكس بالعكس فقد اختفت شريعة روما باختفاء صاحبها . اختفى ذلك السلام وذلك الوثام اللذين أقامهما في روما ألم يكن يوارى التراب حتى فتحت أبواب الهيكل التي أغلقها واعتقل بها شياطين الحرب وسالت جوانبا ايطاليا بالدماء والمذابح . لم تستطع هذه الحكومة بالرغم من جهالها وعدلها البقاء طويلا لانها لم توثق برباط تربية الناشئة .

ولرب معترض يقول كيف ألم تزد الحروب بمجد روما ؟ سؤال يحتاج الى جواب طويل لو اردت اقناع أولئك الذين يرون مجد الامة في الثروة والترف والسيادة . لا في الطمأنينة والدعة والاعتدال والعدل . ولكن الذي يؤيد صلاحية مذهب ليكوريوس ان الرومانيين لم يبلغوا ما وصلوا اليه من سؤدد الا بابتعادهم عن شرائع روما . في حين ان السبارطين ما كادوا يتراخون في الحرص على شرائع صاحبهم حتى دالت دولتهم وانحط شأنهم وبعد ان خسروا مملكة اليونان تعرضوا

للخراب التام.

على انه لا بد لنا من القول اعترافاً بمجد نوما انه لمن أعجب وأسمى الأمور
ان يدعى أجنبي الى حكومة شعب فيتمكن من تبديل نظام بغير شيء سوى
الاقناع دون ان يلجأ الى سلاح أو اكره كما فعل ليكوجوس في استخدام
الاشراف ضد الشعب ؛ وتمكن من حكم مدينة تمزقها الفتن المتضاربة . وجعل
الحكمة والعدل سبيلة لتوحيد كلمة الشعب والتأليف بين عناصره بشد !
أواصر الصداقة ما

صولون

من آخر سنى القرن السابع ق . م . الى وسط القرن السادس

جاء ويليم النحوى (١) فيما كتبه عن قوانين صولون ، رداً على اسكليبياد (٢) بعبارة لرجل يدعى فيلوكلس (٣) خالف فيها جميع من كتبوا عن صولون ، زاعماً أن والده يدعى ايفوريون . والحقيقة المجتمع عليها هي انه ابن اجزستيد ، رجل متوسط الحال والثروة فى المدينة ولكنه من اعرق بيوتات اثينا واجزستيد من سلالة كور دوس . اما والدته فهي على ما قال هيراقليد اليوننى (٤) ابنة عم والده بيزستراتس . وكان الود متصلاً بين هذا وصولون لالما بينهما من قربى بل لما كان عليه بيزستراتس من خلق طيب وجمال ، حببافيه صولون . وكان هذا الود سبباً لعدم انقلاب الخلف السياسى الذى شجر بينهما الى بغض ، ولقد بقيت في نفوسهما حقوق الرابطة القديمة كما بقى بعد النار شر يأتلق .

لم يقو صولون على مقاومة الجمال . كان جباراً ولكنه ضعيف الخيلة أمام الحب وشعره ناطق بضغفه وكذلك شرائه التى حرم فيها على العبيد أن يدلوكوا اجسادهم دون أن يغتسلوا ويتحببوا للشبان . رفع بذلك هذه الرابطة الى مقام العواطف الشريفة الممدوحة وحرمها على من لا يستحقونها وكأنه دعا اليها اللاتقين

(١) نقاد من مدرسة اريستارك ، ولد فى الاسكندرية وعاش فى عهد الامبراطور اغسطس سن (٢) نحوى من مدرسة ابو اللونيوس من ميرفى ليتينيا وبلغ قهرته فى عهد بوليوس قيصر (٣) لاندرى عن ابن فيلوكلس يتكلم فلوطارخوس . وجد شاعران جديان وشاعر مجونى بهذا الاسم . وعاش الثلاثة فى عصر بريكس . وكان فيلوكلس فيلو بابيتيس ابن اخ اشيل .

(٤) فيلسوف يونانى فى القرن الرابع ق . م . ولد فى هيراكاه فى اليونان وتعلمد لافلاطون وسيزيب وارسطو . له مؤلف عن هوتيروس ويظهر انه غير ثابت له . وقطع من مؤلف عن انظمة الدول .

بها . ويقال أيضاً إن بيزسترات كان عشيق خالمر موس وأنه دشن تمثال الحب
المقام في الاكاديمية بالقرب من المكن الذي يوقد فيه المشعل المقدس في
السباق العمومي

قال هرميبوس إن صولون ورث ثروة ذهب احسان والده وكرمه بكثير
منها . ولم يكن بلا اصدقاء على استعداد تام أن يقدموا اليه المال ولكنه كان من
اسرة اعتادت أن تعطي لأن تأخذ ، لذلك كان يخجل ان يتقبل شيئاً . وإذا كان
شاباً أقدم على التجارة . ويقول البعض إن صولون لم يتنقل بين انحاء العالم
للكسب والاثراء بل للمعرفة والعلم . والواقع أنه كان يحترف صناعة المواein بالعلوم
وكان يكرر عند شيخوخته « انى ازداد كل يوم علماً كلما تقدمت في السن » .
لم يكن ممن تبرهم الثروات فمن قوله إنه لا فرق عنده بين ... صاحب الفضة
والذهب والحتول وافرة الحصاد والخيول والبغال وبين رجل لا يملك سوى معدة
سليمة وعضلات قوية وأقدام خفيفة . يضاف اليها أبناء وزوجة

بين الشباب وفي ربيع الحياة هذا هو الحظ الموفق وقال في مكان آخر

نعم انى أريد الثروة ولكنى لأريدها من الظلم
لأبأس على الرجل الطيب والوطنى الصادق أن يحتفظ بمقام وسط . لا يتعلق
بالكماليات ولا يحترق الضرورى وما يسد الحاجة

لم يكن في ذلك الوقت كما قال هز يود (١) ما من عمل يخجل ولا
تفرق الصناعات

بين اقدار الرجال وكانت التجارة محترمة تفيض على الأجانب خيراتها وتكسبهم
صداقة الملوك وتعود عليهم بالخبرة الواسعة . وقد عرفنا كثير من التجار أنشؤا
مدناً كبيرة . فقد أنشأ بروتوس مارسليا بعد ان استوثق من صداقة الغاليين
الذين يسكنون شواطئ الرون . ويقال إن تالس وهيبو قراط الرياضى (٢) اشتغلا

بالتجارة . وكان افلاطون يبيع الزيت في مصر ليسد نفقات رحلته . وامتقد ان اسراف صولون وحياته الناعمة الشهوانية واستهتاره في شعره واباحته في كلامه عن الشهوات بطريقة لا تليق بحكيم لم تكن سوى نتائج اشتغاله بالتجارة . فهي مهنة تعرض صاحبها لخطر جسيمة ولكنها تعوض عليه بما تعطيه من الملاذ والملاهي واليك عبارة من كلامه وضع فيها نفسه في جانب الفقراء لا الاغنياء

ما أكثر الاشمرار الاغنياء والصالحين الفقراء .

أما أنا فلا أقبل ان أبادل أولئك فضيلتي بثروتهم . ان الفضيلة تلازمنا ابدا . أما الثروة فلا تنقطع عن التنقل من يد لاخرى .

بدأ صالون صناعة الشعر قصد التلهي والتساية في أوقات فارغة لذلك لم يعن بالموضوعات الجديدة من ثم أخذ ينظم المبادئ الفلسفية وأدخل في شعره أكثر من نحة من ارادته السياسية للتاريخ ولا للذكرى بل ليعتدربها عن سلوكه . ولكي يحث الاثينيين ينصح لهم وينتقد اعمالهم . وقيل ايضا إنه نظم شرايعه شعرا بدأها بما يأتي

أبدأ بالتوسل الى الملك جوبتير بن ساتورن

ان يمنح هذه الشرائع التوفيق والمجد

جرى على عادة حكماء ذلك العصر بالعناية بذلك الجانب من الفلسفة الادبية الخاص بالسياسة . أما الفلسفة الطبيعية فلم يعد فيها المبادئ الاولية لا أكثر ، واليك ما يؤيد ذلك :

« يأتي الثلج والبرد من القمر

والصاعقة من البرق المتطاير شرراً

والرياح تثير عجاج البحر الذي لا تهيمجه نذخة

وهو أهذا العناصر »

والواقع انه لم يكن في ذلك العصر من يشتغل بالعلوم الطبيعية سوى تالس

فتفوق على جميع معاصريه أما الآخرون فلم يكتسبوا شهرتهم إلا من وراء علومهم السياسية

ويقال إن الحكماء السبعة اجتمعوا مرة في دلف وأخرى في كورنتوس حيث دعاهم باريان وأدب لهم وليمة . ولم تدع شهرتهم ومجدهم أكثر من إرسال كل منهم المتعد الذهبي الثلاثي القوائم إلى زميله بالتعاقب . وحكاية ذلك أن جماعة من قوس طرخوا شبكتهم في البحر فاشتري جماعة غرباء من أهالي ميلانافيا قبل أن يرى الصيادون ما احتوت عليه . وإذا بالشبكة مقعد ثلاثي القوائم من الذهب يقال إن هيلانة ألقته في البحر تنفيذاً لأمر الوحي عند عودتها من تروادة شجراً بسببه نزاع بين الصيادين والأجانب ثم امتد إلى أهالي المدينتين فجرد كل سلاحه في وجه الآخر حتى كادت الحرب تقع بين الفريقين . ولكن الكاهنة التي اتفق الفريقان على استشارتها قالت باعطاء ذلك المتعد إلى أوفر الحكماء حكمة فأرسلوه أولاً إلى ميلان برسم تالس . فقبل أهالي قوس اعطاء ما كادوا ينازعون الميلانيين جميعاً عليه بالسلاح إلى رجل واحد معين . ولكن تالس قال إن يياس أوفر منه حكمة وأرسله إليه . ورأى يياس ماراً زميله فرسله إلى آخر وهكذا السبعة . وبعد أن تداول الجميع ذلك المتعد عاد ثمانية إلى تالس . ثم نقل من ميلان إلى ظبية وكرس لابولون الاسفاني . ولكن تيوفراشت يزعم أنه أرسل أولاً إلى يياس وبعد أن طاف بجميع الحكماء عاد إليه . ثم نقل إلى دلف . هذه هي الرواية المشهورة ولكن البعض يزعم أنه لم يكن مقعداً بل كان إناء أرسله كراسوس ويزعم غيرهم أنه كان من ميراث باتكلس .

تعرف صولون بكل من أناخرسيس وتالس وله معهما أحاديث تروى عنهم جاء أناخرسيس إلى أثينا وذهب إلى بيت صولون وقرع بابه قائلاً أنه أجنبي يطلب صداقته وضيافته فأجابه صولون أولاً بك أن يكون لك أسدقاء في وطنك

لا في الخارج » فقال أنا خرسيس « بما أني في بيتك أجعلني صديقك وضيفك »
 أعجب صولون بسرعة خاطره فأكرم وفادته واستضافه زمنا وكان حينذاك مشتغلا
 بالأعمال العمومية بعد شرائعه وأطلع ضيفه على ما يعمل فسخر من المشروع ومما
 يحسبه صولون من كفاية القوانين المكتوبة لردع مواطنيه عن الظلم والفساد
 لا اعتقاده أن أمثال هذه الشرائع أشبه شيء بنسيج العنكبوت تأخذ الضعفاء
 الصغار فيقفون عند حدها أما الأقوياء والاغنياء فانهم يمزقونها ويتجاوزونها فقال
 صولون « ان الناس يحرصون على ما يثقون عليه اذا لم تكن هناك مصلحة لاحد
 في الاخلال به . وستكون شرائعي ملائمة لمصالح جميع المواطنين بحيث لا يجد أحد
 لنفسه خيرا في الاخلال بها أكثر من الطاعة لسفنها » . ولكن الحوادث أثبتت
 صحة نظر أنا خرسيس وباء صولون بالخيبة . وقال أنا خرسيس بعد حضوره جلسة
 عمومية « يدهشني من الاثينيين ان الحكماء ينصحون والحجائين يقررون »

وذهب صولون الى ميلالز زيارة تالس وأبدى له دهشته من امتناعه عن الزواج وحرمان
 نفسه من الاولاد . لم يجبه تالس لفوره ولكنه بعد ايام قدم اليه اجنيا قال له إنه آت
 من أثينا وإنه لم يبرحها الا منذ عشرة أيام . سأله صولون اذا كان لم ير شيئا جديدا
 في أثينا فاجابه الرجل وكان تالس قد لقنه ما يأتي . لا شيء جديدا الا وفاة شاب
 مشيت المدينة كلها في جنازته ، قيل إنه ابن رجل عظيم معروف بمحكمته وعدله
 وإن والده ليس في أثينا بل في رحلة من زمن بعيد . فقال صولون ما انعس ذلك
 الوالد . ثم سأل الاجنبي وما اسمه ؟ — سمعت باسمه ولكنني نسيت وأذكر فقط
 أنهم كانوا يلهجون بذكر عدله وحكمته وفضله . أخذت هذه الاجوبة ترزعج
 صولون حتى يتمالك ان سأل الاجنبي ألم يكن الميت ابن صولون ؟ فاجاب الاجنبي
 نعم . لطم صولون عند سماعه هذه الكلمة رأسه وأخذ ينتحب انتحاب من
 نرات به شر الويلات . حينئذ أخذ تالس بيده وقال له ضاحكا هذا يا صولون
 ما أبعدني عن الزواج والاولاد . خشيت الضرورة التي أوجعتك وأنت أثبت
 ١٣٢ - العظماء

الرجال . اطمئن ليس فيما سمعت شيء من الصديق . (١) . هذا مارو' هوميروس عن باتيكوس (١) الذي يدعى أنه ورث زوج ايزوب على أن الامتناع عن اجتياز الضرورى خشية ضياعه خطأ ضد العقل والقلب . ولو صح هذا لكان من الواجب أن لا نحب شيئاً من الثروة أو المجد أو الحكمة . ان الفضيلة ذاتها وهى أمن وأسمى الخيرات قد ينتزعها منا المرض والشراب . وتالس ذاته بامتناعه عن الزواج لم يكن فى مأمن من المخاوف الا اذا كان مقطوع الصلة بينه وبين أهله وأصدقائه ووطنه . ولكنهم لم يكن على شيء من ذلك اذ تبني ابن اخته سيپسنوس لان في نفس الانسان غريزة العطف يتنازعها الحب والاحساس والفكر والذكرى تستعيض أغراضها الطبيعية التى تعوزها بروابط خارجية تسعى لها وتكون أشبه شيء بمنزل أو أرض ليس لها وريث شرعى فتحب بالأجانب وأولاد الزنا يتدخلون فيها بالحيلة والتحبب ويستولون عليها ومتى استقرت بهم الحال ادخلوا الى النفوس بعلاقتهم هذه الرغبة فى الحرص عليهم والخوف من ضياعهم وما أكثر من نراهم اليوم يسخرون من الزواج والاولاد ثم نراهم اذا فجعوا بابنائهم من خادماهم أو محظياتهم أو رؤوسهم مرضى انخرطوا فى الحزن والام على مالا يليق بالقلوب الشريفة . ومنهم من اذا أصيب فى كلب أو حصان حزن له حزناً مخجلاً مميئاً . بينما نرى غيرهم اذا احتسبوا فى ابناء فضلاء يتأسون ويقضون بقية حياتهم فى اعتدال لا بأس به . من الضعف لا احب ، ان يسترسل الانسان فى الحزن والخوف الشديد وليس لنا من العقل عدة ضد الخط . اننا نعرف كيف نستمتع بالحاضر ، والمستقبل يروعنا بالآلام والضيقات لجرد التفكير فى ضياعه يوماً ما . فلا نسرع الى الفقر او عدم المبالاة او العزوبة خشية ضياع ثروتنا او أصدقائنا او أولادنا . يجب أن نستمد قوتنا من العقل . وكفى بهذا مناقشة فى هذا الموضوع .

مل الاثينيون هربو بهم الفقيمة ضد الميجارين لاسترداد جزيرة سلامين فأصدروا مرسوما يقضى بالموت على من يقترح شفوياً أو كتابة المطالبة بها . ساء صولون هذا الجبن ورأى الشبان أو أغابهم لا يطالبون سوى صحبة يتذرعون بها لمعاودة القتال . غير أنهم لم يجروا على التقدم خوفاً من ذلك القانون . فادعى الجنون وأذاع بواسطة أهل بيته انه فقد صوابه . وأعد في الخفاء قصيدة استظهرها على لوح قلبه وخرج فجأة من منزله وعلى رأسه قبة (١) وجرى الى الساحة العمومية وتبعه الشعب جماعات وهناك اعتلى صخر الخطابة وأنشد قصيدته التي مطلعها :

أتيت مناديا من سلامين الجميلة

وقد ألفت لكم هذه الاشعار بدلا من خطبته

ولقد أطلق على هذه القصيدة اسم سلامين وهي مؤلفة من مائة بيت غاية في الجمال .

ولما انتهى صولون من انشاده صفق له أصحابه ، وبلغ من تشجيع بيزستراس للاثينيين على الأخذ برأيه ان ألغى المرسوم وأعلنت الحرب وعين صولون قائداً للجيش .

أما الرواية الشائعة عن ذلك فهي أن صولون أبحر مع بيزستراس الى كولياذ حيث كانت الاثينيات يحتفلن بعيد الالهة سيريس . ومن هناك ارسل رجلا ممن يثق بهم الى سلامين مدعيا انه هارب واقترح على الميجارين انهم اذا شاءوا ان يستولوا على خير نساء اثينا فليسا فروا معه الى كولياذ . صدقه الميجاريون واسرعوا من فورهم الى سفينة ملئوها جنوداً . وإذا رأى صولون ان سفينتهم غادرت سلامين سحب النساء والبس المرد من الشباب ثيابهن وعصباتهن

١ هي غطاء رأس المرضى . والقبة من الوقيات الطيبة التي أوصى بها افلاطون في الجزء الثالث من كتابه الجمهورية .

وأخذيتهم فأخفى المرد خناجرهم تحت الثياب وذهبوا بناء على أمره يلعبون ويرقصون عند الشاطئ إلى أن نزل الجنود ولم يبق للسفينة سبيل للنجاة من أيديهم . خدع الميجاريون بهذا المشهد وتسابقوا لاختطاف أولئك النساء المزعومات ولكنهم قتلوا عن آخرهم ، ثم أبحر الاثنيون إلى الجزيرة واستولوا عليها . ويزعم البعض أن صولون سلك في ذلك طريقاً آخر . أوحى إليه دلف . أن يستعمل اليك بالهدايا الابطال من الاهالي وسادات البلاد

من يضمهم ازويوس في حضنه

ومن يجاون قبورهم نحو الغرب

فذهب صولون إلى سلامين ليلاً وذبح الضحايا للبطلين باريفاموس وسيشيره ثم قدم إليه الاثنيون ثلثمائة متطوع ضمن لهم حكومة الجزيرة برسوم اذاهم استولوا عليها أنزلهم صولون في قوارب صيد تحرسهم سفينة بثلاثين مقدافاً . وألقى المرسى تجاه أوبا . لم يعلم الميجاريون المقيمون هناك عن حملته سوى اشاعات مضطربة فمزعوا إلى سلاحهم في غير نظام وبعثوا بسفينة تستكشف الخبر . دنت السفينة من عمارة الاثنيين فانسرت . قتل صولون من كان بها من الميجاريين وأحل محلهم جماعة من أشجع جنوده وأرسلهم إلى سلامين وأوصاهم أن يتنكروا جهد المستطاع وسار ببقية جنده برا لمحاربة الميجاريين . وبينما هو مشتبك معهم في القتال فجأ رجال السفينة سلامين وأخذوها عنوة . تؤيد العادات المتبعة هذه الرواية . ففي كل سنة تذهب سفينة متنكرة من أثينا إلى سلامين ويسرع أهالي الجزيرة في هرج واضطراب لملاقمتها وحينئذ يقفز أثيني إلى البر شاهراً سيفه . ويصيح صيحات عالية في وجه القادمين . يحدث ذلك عند قمة سيرايوم . ويشاهد على مقربة من ذلك المكان هيكل مارس الذي أقامه صولون بعد انتصاره على الميجاريين . أما الذين نجوا من الموت فبقوا أحراراً بفضل معاهدة ولكن الميجاريين أصروا على استرداد سلامين . وبقى الشعبان ينزل كل منهما بالآخر مافي وسعه

من شر . ولكنهم قبلوا أخيراً أن يحكموا الاسبارطين في الامر وارتضوا حكمهم
ويقال ان صولون استشهد في خصوصته بهوميروس ودس عليه أشعارا في بيان
السفن وروى أمام القضاة .

قاد أجاكس من سلامين اثنتي عشرة سفينة وجعلها في مصاف جنود الاثينيين .
ولكن الاثينيين يهزءون بهذه الرواية ويؤكدون ان صولون أثبت للقضاة ان
فيلاوس واديزاسيس ابني اجاكس لما نالا حقوق مدينة أثينا نزلا عن الجزيرة
للأثينيين وأقاما في أتيكا . فأقام أحدهم في بروروم والآخري مالميتا وان فيلاوس
أعطى اسمه لقرية الفيلاين التي منها ينزستراس .

ولكي يجهز صولون على كل حجة للميجاريين استشهد بطريقة دفن الميجاريين
لموتاهم وهم في ذلك يشبهون الاثينيين ويختلفون عن الميجاريين . يوجه الميجاريون
موتاهم نحو الشرق اما الاثينيون فانهم يوجهونهم نحو الغرب . حقيقة ان هراياس
قرر انهم في ميجاريا يحولون وجوه الموتى الى الغرب وزاد على ذلك برهانا مقنعا
وهو انهم في أثينا يخصون كل ميت بنعش اما في ميجاريا فانهم يضعون في النعش
الواحد أربعة أو خمسة . ولكنهم يزعمون ان صولون أيد مطالبه بوحى الكاهنة
التي دعت سلامين « يونيين » وكان الحكم في هذه القضية خمسة من الاسبارطين
وهم كريستولايداس - امونفاريوس . هبشيداس - اناجزيلاس . كتيومين
عاد صولون من هذه الحملة متوجا باكاليل المجد . وقد زادت سمعته شهرة ولهجت
الناس باسمه والاعجاب به بعد الخطاب الذي ألقاه عن هيكمل دلف قائلا « يجب
ان ندافع عنه ولا نحتمل ما يفعله السير هيون تدنيس الوحي . وانه احتراماً للإله
يجب اسعاف دلف » قبل المجلس الاعلى الانفكتيون هذه الدعوة وأعلننا الحرب
على السرهيون . هذه حال يشهد بها كثير من الكتاب بينهم ارسطو في مؤلفه
بنيونيك - وقد ضاع هذا المؤلف - حيث يعزو هذا القرار الى صولون . على
ان صولون لم يعين قائدا في هذا الحرب بالرغم مما زعمه ايفانت الساموسى (وهو

كاتب غير معروف) الذي استشهد به هرميباس . ولم يقل اشين الخطيب شيئاً عن ذلك . ويؤخذ من سجلات دلف ان السيميون لاصولون هو الذي تولى قيادة الاثينيين في هذا الحرب

كان الرجس السيلوني يحدث في اثينا كثيراً من الاضطرابات وكان شركاء سيلون قد لجئوا الى هيكل منفرداً فتمكن ميجالس الحاكم من اقناعهم بان يتقدموا للمحاكمة فربطوا خيطاً بتمثال الآلهة وأمسكوا به ونزلوا به واذا صاروا على مقربة من هيكل الآلهة المحترمة (١) انقطع الخيط من تلقاء نفسه . فقبض عليهم ميجالس ورفاقه بحجة ان الآلهة أبت ان تحميمهم فأنزّلوا العقاب بمن كان خارج الهيكل أما الذين فروا فقد ذبحوا أمام « المذبح » ولم ينبج منهم الا الذين رموا بأنفسهم تحت أقدام نساء الحكام . ومن ذلك الحين دعى الحكام أرجاساً وصاروا موضع بغض الجمهور . عادت الثقة بعد ذلك الى من بقى من انصار سيلون واستمر وافي عدايتهم خلفاء ميجالس . بلغت الفتنة أشدها وانقسم الشعب بين الحزبين فتدخل صولون ، الذي كانت شهرته قد عظمت بين الجميع في المسألة وتمكن بمساعدة كبار الاثينيين بالتوسلات تارة والوم أخرى من حمل المدعويين أرجاساً الى قبول تحكيم ثلثائة من افضل الوطنيين . فحكم على الارجاس بناء على اتهام ميرون وفيلي . وحكم على الاحياء منهم بالنفى . فنبشوا قبور الموتى والقوا رفاتهم بعيداً عن اراضي اتيكا

انتهر الميجاريون فرصة هذا الاضطراب وهاجموا الاثينيين وطردهم من « فيزه » (٢) واستردوا اسلامين اجتمع مع هذه الولايات ما كان يملأ القلوب من مخاوف وهمية : ذلك ان اثينا امتلأت أرواحاً طائفة . وقال العرافون بعد شخص الضحايا بوجود رجس ودنس يجب التطهر منهما فاحضر ايمميند الغسقي من كريت وهو ارج الحكماء في نظر من لا يعد منهم بير ياندد . وكان معروفاً « عزيز الآلهة » .

(١) لقب ايمونيد وكان هيكل في كولون ٢ مدينة واقعة على خليج كورنت

وكان ضامياً في علوم الوحي والاسرار . وكان يدعى في حياته ابن العذراء « بالته » وكوريت الحديد وقد وصل اثينا صادق صولون وساعده في وضع شرائعه . ومهد له السبيل بتعويد الاثينيين الاقلال من النفقات في التقاليد الدينية والاعتدال في الحداد . ففرض تقدمات للجنازات بدلا من العادات الوحشية التي كانت تقوم بها بعض النساء الى ذلك الحين . والمهم ما اصابته من التطهيرات والتقدمات وانشاء المعابد طهر المدينة تطهيراً تاماً وابتعد عنها الرجز والظلم وجعل الاهالي أكثر استعداداً وقبولاً للاتحاد والسلام .

ويروي أيضاً أنه لما رى مونيثي وأنعم فيه النظر طويلاً قال لرفاقه « ان الرجل انعمى عن المستقبل لو استطاع الاثينيون ان يدركوا ما يجروه هذا المكان على مدينتهم من الويلات لهدموه »

ويقال أن تالس أحس أيضاً بمثل هذا الشعور وأمر أن يدفن في مكان صحراوي قاحل من ميلازيا . متنبئاً بأن هذا المكان سيصير يوماً ما ساحة ميلازيا العمومية .

أراد الاثينيون اعجابا بابيمنيذ أن يغمروه بالشكر بعات والهدايا ولكنه لم يطلب سوى غصن من شجرة الزيتون المقدسة فقدم اليه وعاد الى كريت . انتهت الفتنة السيملونية بانتقاء الارجاس ولكن اثينا عادت الى الاختلافات السياسية القديمة . ووجدت في المدينة أحزاب عداد ما في اتيكا من اراض مختلفة أراد أهالي الجبل حكومة شعبية . وفضل أهالي السهل حكومة اوليجارشية (حكومة جماعة) وبقى سكان الساحل وهم خليط من الحزبين يحولان بين انتصار أحدهما على الآخر . وهذا كان ما أحدثته تفاوت الثروة بين الفقراء والاعنياء من الشقاق على أشده وكان المدينة في هذا الموقف الحرج لم تجد من سبيل لاعادة الطمأنينة والنجاة من الخراب سوى الاستسلام لحاكم مستبد . كان الشعب كله وازخا تحت عبء ما كن عليه من الديون للاغنياء وكان المدين يشتغل لدائنه

ويعطيه سدس المحصول . وكان يدعى هؤلاء السدسيون او المستأجرة وكان غير هؤلاء يقتربون برهون على اشخاصهم ويحكم بهم لدائنهم فيبقون عبيدا في اثينا أو يباعون في الخارج وكان الكثيرون يضطرون لبيع آبائهم لا يحميهم قانون ، أو يهربون من المدينة نجاة من قسوة المرابين . اجتمع منهم عدد كبير من اولى العزيمة الصادقة واحتجوا على هذه الالهانة واعتزموا ان يعينوا على انفسهم رئيساً حقيقياً بثقتهم وان يذهبوا تحت قيادته لانقاذ المدينين الذين لم يستطيعوا الوفاء وإن يعيدوا تقسيم الاراضي ويغيروا هيئة الحكومة .

حول العقلاء من الاثينيين في هذه الازمة انظارهم إلى صولون لانه الرجل الوحيد الذي لم تقع عليه شبهة . لم يشترك في مظالم الاغنياء ولم يختار شخصياً حالة الفقراء . رجوا اليه ان يتولى الامر وان يضع حداً لهذا الخلاف . قال قانياس دى لسيوس (١) ان صولون انقاداً للمدينة خدع الحزبين معاً . وعد الفقراء خفية بتوزيع الاراضي والاغنياء بتثبيت ديونهم . مع انه يقول ان صولون تردد كثيراً في قبول هذه المهمة خشية بخل هؤلاء وقحة اولئك .

مهما يكن من الامر فقد انتخب صولون حاكماً بعد فيلوبروتوس وصار حكماً في الاتفاق ومصالحاً للشرائع وصادف هذا الانتخاب قبولاً من جميع الاحزاب الاغنياء لان صولون كان غنياً والفقراء لانهم يعرفونه رجل خير . وقد ذاع عنه قوله ان المساواة لا تحدث الحرب . كلمة طابت لها نفوس الاغنياء والفقراء . رأى فيها الاغنياء ان المساواة أساسها الجدارة والفضيلة . ورأى فيها الفقراء تسوية عادلة حسب الانفس . رأى الحزبان موضعاً لآمال كبيرة . عرض الرؤساء على صولون الحكم المطلق وألحوا عليه في إدارة حكومة مدينة يسيطر عليها . حتى أن الذين لم يعنهم أمر هذا الحزب أو ذاك ، أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون من الحكومة أو التشريع تغييراً صالحاً يحدث بلا خطر ولم يحجموا عن تقديم الساطة النامة الى

١ من تلاميذ أرسطو وتذكر له مؤلفات في التاريخ والطبيعة .

أعدل وأحكم رجل . و يقال إن صولون تلقى من بيتو الوحي الآتى :

اجلس ؛ ايها البحار ، وسط المركب

ودبر سيره . سيخلص لك أكثر من واحد في أثينا .

وقد عاب عليه كثير من أصدقائه خوفه من كامه (مملكة) كأن الحكومة المطلقة التي تكتسب بالفضيلة لا تصير ملكية مشروعة . ألم تر لذلك مثلاً في أوبا في شخص تيونوننداس ؟ ألم تقلد ميثياين ؛ بتاكوس الحكم المطلق ؟ ولكن كل هذه الأقوال لم تنل من صولون . فكان يجيب أصحابه بقوله ان المطلقة بلد جميلة ولكن لا منفذ لها . وقال في أشعاره مخاطباً فوكوس

... اذا كنت قد أقنعت وطني

(لان قسوة الاستبداد لم تدنس يدي)

اذا كنت لم أسود (أو أظلم) ولم أشن مدى .

فاني لأندم على ذلك . لانه يلوح لى انى بهذا تغلبت على جميع الرجال . . .

ويرى من هذا انه كان حتى قبل نشر شرائعه ممتعاً بالاحترام والاجلال

على انه يذكر في أشعاره الأقوال التي كانوا يسخرون بها منه لرفض

الحكومة المطلقة

لم يكن صولون حكماً ولا عاقلاً

رفض ما قدمته اليه الآلهة من خيرات .

ولما أخذت السمكة نظر اليها مبهوتا ولم يسحب الشبكة .

لقد ضاع صوابه وحار في أمره

على انه كان يريد لا متلاك هذه الكنوز ،

والحكم ولو يوماً واحداً على أثينا

ان يسأل جلد حياً وان يهلك جميع أبناء جنسه

يمثل هذا كان يعبر عما يقول فيه القوغاء والاشرار

لم يكن رفض الحكم المطلق ليدفعه الى اللين والموادة . لم ينزل عن شيء
للاقوياء ولم يمتلئ في قوانينه الذين انتخبوه . لم يضع الدواء على الاعضاء السليمة
ولم يرد ان يقطع من لحم الحى ، خشية انه اذا قلب المدينة رأسا على عقب لا يجد
من القوة ما يكفي لاعادة تنظيمها واصلاحها . لم يضع من القوانين الا ما رأى في
وسعه ان يجعله مقبولا بالاقتناع أو الثقة جامعاً بين القوة والعدل كما كان يقول .
وقد سئل مرة هل سن للاثينيين خير الشرائع فقال « نعم خير مايسن لهم »

كان الاثينيون على ما هو ملحوظ يلففون من فطاعة الاشياء باعطائها أسماء
شريفة طاهرة . مثال ذلك انهم كانوا يدعون المومسات صديقات ، والضيـائب ؛
اعانات ؛ وجنود الحامية حراساً ، والسجن بيتاً . ويكاد يكون من المؤكد ان
هذه من اختراعات صولون . وكان يدعو الغاء الديون ، تسديداً وهذا أول إصلاح
أحدثه في الدولة . فالمرسوم يقضى بالغاء الديون السابقة وتحرير رقبه المدينين من
التعهدات ومن كل اكراه بدنى . على ان البعض وبينهم ان روسيون (١) يقول
ان صولون لم يلغ الديون بل أنقص فوائدها وان الفقراء الذين خفت عليهم وظائفها
هم الذين دعوا تسديداً . ويقول ذلك البعض ان الذى أتم مفعول القانون هو اعلاء
قيمة المقدود : كان « المين » يساوى ثلاثة وستين درهماً فجعله مائة . بحيث
ان المدينين يسددون القيمة الاسمية ولكنها أقل قدراً وبذلك ربحوا كثيراً ولم
يخسر الدائنون شيئاً .

على ان المتفق عليه عموماً هو ان التسديد كان إلغاء حقيقياً لجميع الديون .
مما يؤكد ذلك قول صولون ذاته في قصائده مغايراً بأنه ألغى من اتيكا قوائم
الرهونات العقارية فالأراضى التى كانت مرتبطة أصبحت خالية وقد أعدت
الوطنيين الذين حكم بهم شخصياً لدائنيهم من البلاد الأجنبية حيث لم يكن لهم
مأوى ولم يتكلموا لغة اتيكا . وقد حررت رتبة الباقيين الذين كانوا يعيشون في

١ له مذكرات عن اتيكا . وقد ذكره بوزانياس . ولم يعرف زمن وجوده

وطنهم أرقاء أذلاء (١)

لحق صولون من عمله هذا اثر ما يبتلى به من الكدر . بينما كان يستغل بالغاء الديون ويبحث عن عبارات ملائمة يصوغ بها مرسومه ويضع لها مقدمة مناسبة اطلع ثلاثة من أصدقائه على مشروعه وهم « كونيون » و « كليمنياس » و « هيمبو فيكوس » موضع ثقته قائلاً لهم إنه لا يمس الاراضى وانه سيلغى الديون . اغتنم هؤلاء الثلاثة الفرصة وسبقوا صدور المرسوم فاقترضوا من الاغنياء مبالغ طائلة واشتروا أراضى . فلما صدر القانون احتفظوا باملاكهم ولم يسددوا شيئاً من ديونهم فأثار هذا انطبث شكوى مرة ضد صولون واتهموه لابان اصحابه خدعوه بل بانه كان شريكاً لهم في سوء فعلهم . زالت هذه التهمة الغريبة عن صولون اذ كان أول من عمل بقانونه فنزل عن خمسة طالانات مستحقة له . ويقول البعض ومنهم بوليزالوس الروديسي (٢) إنه نزل عن خمسة عشر لائحة فقط . على ان هذا لم يعف اصحابه من أن يطلق القوم عليهم لقب « حاذق الديون »

قد أساء أمر صولون الحزبين معا : أساء الاغنياء الذين ضاعت عليهم حقوقهم وأساء الفقراء الذين حرروا مما كانوا يطعمون اليه من تقسيم الاراضي بين الجميع سواء بسواء كفاعل ليكورجوس . ولكن ليكورجوس كان الحادى عشر من سلالة هرقل . واستمر ملكه على اسباط عدة سنوات وكان ينعم بشهرة وثقة واسعتين وكان له كثير من الاصدقاء ونفوذ عظيم وهذه امتيازات جليلة ساعدته على اجراء اصلاحه السياسى . ومع ذلك اضطر الى استخدام القوة أكثر من الاقتناع وقد كلفه خير نظمه ضياع عينه مع ان خير ماسنه لسعادة مدينته ورفاهيتها . وهو الغاء القتر والغنى . ولم يكن فى سع صولون ان يطمع الى هذا المقام . ولد من طبقة العامة وفى حالة وسط . على انه لم يقصر عما كان فى طاقته من حكمة وثقة . ولقد شهد هو نفسه بان شريعته أغضبت أغلب الاثنيين الذين كانوا ينتظرون شيئاً آخر

١ هذه الاشعار التى لحصها فلوطارخوس محفوظه فى خطاب ارشيد بارافتيجات ٢ لم يعرف عنه سوى انه كتب ذكريات عن جزيرة رودس

« لقد كانوا يعجبون بي والان كلهم ناظم على
كلهم ينظرون الى بعين العدو

ومع كل فلم يكن في وسع أى انسان غيرى صارله مالى من السلطة
أن يضع قانونا أو غاية لا يدفع هذا الشعب الى الفوضى وامتصاص آخر
مصصة من لبنائه »

لم يلبث الا ثمينيون ان عرفوا فائدة قانونه فعدلوا عن تدميرهم وقدموا
قربانا دعوه « قربان الاعفاء أو البتديد » وعهد الى صولون فى مهمتى الاصلاح
السياسى والتشريع وخولوه فى ذلك سلطة مطابقة فيسيطر بذلك على القضاء
الجمعية والمباحثات والاحكام . وكان ينظم مرتبات الضباط وعددهم
ومدة خدمتهم يلغى ويثبت ماشاء من العادات والانظمة فبدأ بالغاء جميع شرائع
« درا كون » لصرامتها وعدم تناسب العقاب ولم يستثن سوى عقوبة القتل .

لم تكن فى شرائع « درا كون » سوى عقاب واحد لجميع الاخطاء
وهو الموت : فمن ثبت عليه البطالة كان جزاؤه الموت . ومن سرق بطلا أو
فاكهة كان جزاؤه جزاء من ارتكب رجساً أو قتل انساناً . ولقد أصاب وأما فى
قوله إن « درا كون » كتب شرائعه بالدماء لابلداد . قيل « لدرا كون » لماذا
جعلت الموت عقاباً لكل خطأ فقال « لأنى وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم
أجد غيره للجرائم الكبرى »

أراد صولون بقاء الحكم فى أيدي الاغنياء وان يشترك الفقراء فى ادارة
الحكومة التى كانوا مبعدين عنها . فاحصى الثروات وجعل الطبقة الاولى من
الوطنيين الذين يبلغ ابرادهم خمسمائة مديم غلالاً أو سواقل ودعاها « بنتاكوزيو
مديم » وجعل الطبقة الثانية من يملكون قوت حصان أو ثلثماية مديم ودعا اصحابها
الفوارس « شغاليه » وألف الطبقة الثالثة من يملكون مائتى مديم ودعا اصحابها
« زوجيت » ودعا الذين يملكون اقل من مائتى مديم « ثات »

حرم صولون على الطبقة الاخيرة الاشتغال بالقضاء ولم يجعل نصيبهم في الحكم الا حق التصويت في الجلسات والاحكام . لم يبدوا هذا الحق على شيء من الخطورة إلا أنه صار فيما بعد عظيم الخطر . لان غالبية القضايا كانت تنتهي الى حكم الشعب . ولئن كان الاحكام أول من يبدأ بمعرفتها فانه كان من الممكن عرض احكام القضاة على الشعب . ويقال إن غرض شرائع صولون وما كانت تنطوي عليه معانيها من التناقض كانا سبباً لزيادة سلطة المحاكم . ولانه لم يكن من السهل الفصل في الخلاف ، لم تكن للشعب مندوحة عن الرجوع الى قضاة في تقرير القضايا وبذلك صار القضاة المتحكمين في القوانين . وقد ذكر صولون في قصائده هذا التوازن الذي اقامه بين الاغنياء والفقراء :

أعطيت الشعب سلطة كافية

لم أنقص من شرفه ولم أزد عليه (مالا فائدة منه)

أما الاغنياء المعجبون ببرواتهم

فلم أسمح لهم بارتكاب المظالم

لقد قلت كل حزب دروعا حصينة

فلا سبيل لهؤلاء ولا لاولئك إلى العدوان

وقد أباح وقاية الشعب لكل انسان أن يتقدم للدفاع عن أى وطنى أهين . فاذا جرح أحد أو ضرب أو أهين كان لكل انسان الحق لو اجتراً أو أراد أن يتقاضى الممتدى أمام القضاء . وهذه حكمة أراد بها المشرع تعويد الوطنيين ان يروا انفسهم أعضاء هيئة واحدة (جسم واحد) فيشعر ويشاطر كل منهم ويلات الآخرين . ويذكرون لصولون كلمة في بيان هذا القانون . سنل يوماً ما هي خير مدينة يسودها النظام ؟ فقال « تلك التى يعنى فيها الوطنيون برداى أذى كأنه أصاب كل فرد منهم »

فصولون هو الذى أنشأ مجلس شيوخ الحكم « الاريوباج » ألفه من الذين

تولوا منصب حاكم واذا كان هو حاكما كان عضوا في مجلس الشيوخ . ولكنه لاحظ ان الغاء الديون اوجد في الشعب روح الادعاء والكبرياء . فانشأ مجلسا ثانيا مؤلفا من اربعائة عضو ، مائة من كل القبائل الاربع . ينظر في المسائل قبل عرضها على الشعب . وحرم الجمعية العمومية النظر في مسألة لم يفحصها هذا المجلس . أما المجلس الاعلى فقد خصه صولون بالاشراف العام وصيانة القوانين كما ان السفينة لو ثبتت بمرسين صارت أقل عرضة للاضطرابات . ينسبون كما قلت الاريوخاج (مجلس الحكم) الى صولون (١) يؤيد ذلك ان دراكون لم يتكلم على أولئك الحكم (الاريوخاجين) وانه في قضايا الاجرام الكبرى كان يوجه الكلام الى (النواب ولكن القانون الثامن من اللوحة الثالثة عشرة من تشريع صولون يجري بما يأتى :

« جميع المتهمين من الوطنيين الذين ثبتت ادانتهم قبل حكومة صولون تعاد اليهم براءتهم الا الذين حكم عليهم مجلس الشيوخ ومجلس النواب أو المملوك في بريتانة في جرائم القتل أو السلب أو الطموح الى الاستبداد والاستعباد . أو الذين امتنعوا عن الحضور عند نشر هذا القانون » . وهذا دليل على ان مجلس الشيوخ كان موجودا قبل حكومة صولون ونشر قوانينه

هل يعقل ان يصدر مجلس الشيوخ حكما اذا كان صولون هو أول من منحه حق الحكم ؟ ووربما كان في هذا النص غموض أو نقص ، هل يفهم ان الذين حكم عليهم قبل نشر هذا القانون مجلس الشيوخ أو النواب أو المملوك البريتانيين يبقون في حكم المدانين وان تبرأ ساحة الباقين . هذا ما أراده المشرع .

وبين قوانين صولون قانون لم يسبق اليه وهو غريب في بابه . ذلك انه يعتد مهانا كل من يلزم الحيدة إبان الاضطراب لا ينتمى الى حزب من الاحزاب

١ ترجع الانباء المتواترة هذا النظام الى زمن البطولة ، ويقال ان أول قضية نظرها هذا المجلس فى قضية فوزى ضد اورست قاتل أبيه . امينيد تأليف اشيل

وكأنه أراد بذلك ألا يستخف أحد أو لا يتأثر بما يحل بالبلد من الولايات العامة .
مكتفيا بسلامة شخصه وأمواله ثم المفارقة بأنه لم يفقد شيئا ولم يصبه شيء من نكبات
الوطن . أراد أن يتقدم كل انسان منذ ابتداء الفتنة فينضم الى اوفر الجانبين
نصيبا من الحق . ويدل ان ينظر لمن يكون النصر يعضد الفضلاء
ويشاطرهم الخطر

ومن شرائع صولون قانون أراد سخيغا مزياداً ذلك الذي يبيح للزوجة اذا
كانت غنية ان تسلم نفسها لمن تشاء من أقارب زوجها متى كان عاجزا مع انه مالهها
الشرعى . ويقول البعض ان ذلك عقاب للعجزة في المسائل الزوجية ، الذين
يدفعهم الجشع الى زواج غنية متخذين ما يبيحه القانون للاعتداء على الناموس
الطبيعى . اذ يعلمون ان لنسائهم الحق فى الاستسلام الى من يرون أو أن يفسخن
الزواج أو لا يتزوجن منهم الا لالباسهم العار . فيكون ذلك جزاء وفقا لهم على
جشعهم وجريمتهم . لم يحدد القانون اختيار الزوجة عبثا من حيث حصده فى أقارب
الزوج . أراد المشرع بذلك ان يكون أبناؤها من دم الزوج وجنسه : لهذا
السبب أمر ان يحبس العروسان معا وان « يعضا سفرجلة واحدة » وأن يفى
الزوج لزوجته بواجبه الزوجى ثلاث مرات على الاقل فى الشهر : ولئن كان
لا يولدها فهو تشريف لفضيلة الزوجة . وأن فى هذا العطف ما يبدد أسباب الاستيلاء
الذى يحدث غالبا بين الزوجين ويتحول الى شجار علقى .

وفيما عدا ذلك ألغى صولون البائنة (الاوطة) وكلف المرأة ان تحضر ثلاثة
اثواب وبعض أثاثات قليلة الثمن . أراد بذلك الا يسكون الزواج تجارة وترقا .
بل يكون ائتلافا بين الزوجين استعدادا لاقامة النسل . وأن يكون رباط دعة
وحب . طلبت والدة دانيس من ابنها ان يزوجه من شاب سيراقرزى فأجابها
« كان فى وسعى ان اخترق قوانين المدينة وأتولى الحكم المطلق فيها ولكن
ليس فى وسعى أن أمتن قوانين الطبيعة بعقد زواج بعيد عن السن المناسبة »

ولذلك لا يجوز ان يسمح بمثل هذا الخلل في دولته ؛ او بإباحة زواج في غير تناسب
لا ينطوى على شيء من الهناء ولا يؤدي عمل الزواج ولا الغاية منه . قال احد علماء
الحكام لعجوز تزوج فتاة حديثة السن ما قيل لفيلوكتيت
تزوج أيها التعس ؟ ان حالك ناطقة !

واذا وجد شابا في غرفته عجوز غنية يسمن كما يسمن الحجل لدى أنثاء .
انترعه منها . وألقى به بين يدي عذراء فتيمة محتاجة الى زوج . ان في
هذا كفاية

ومما يثني عليه من شرائع صولون نهيته عن اساءة سمعة الموتى . والحقيقة أنه
من مقتضى الصلاح اعتبار الموتى مقدسين . ومن العدل احترام ذكرى من فازقوا
العالم . ومن السياسة ألا تكون البغضاء لانهاية لها . وقد نهى صولون عن ابداء
أى شخص في الهياكل والمحاكم والمجتمعات والملاعب . وجعل على من يقترب
ذلك غرامة قدرها خمسة دراهم . يدفع منها ثلاثة للمعتدى عليه واثنان للخزنة
العمومية . من علامات سوء التربية وفساد الخلق ان يتهدد الانسان في كل وقت
كما انه من الصعب ان يمتلك الانسان نفسه وقد يكون ذلك محالا على البعض
فواجب القانون أن يحرم السامع من الاخطاء اذا اراد أن يجعل بين عقاب
البعض مثالا صالحا للغير لا ان يكثر العقاب على غير جدوى

مما يثني عليه أيضا قانونه في الوصية . لم يكن حق الوصية معروفا قبل
صولون . كانت جميع أموال الميت تبقى في عائلته . ولكن صولون أباح لمن لم
يرزقوا أولادا ان يتصرفوا على ما يشاءون مفضلا الصداقة على القربى وحرية
الاختيار على الاكراه . و اراد بذلك أن يكون الانسان حراً حقيقة في املاكه
ولكنه جعل لذلك حدا . لم يبيح الهبات على الاطلاق بل اباح ما يوصى به منها
في حرية تامة لاتحت تأثير الامراض ولا المشروبات ولا سوء التصرف لا الاكراه
ولا تحت تأثير اغراء امرأة وكان رأيه وله الحق ان لا فرق بين مخالفة القانون

العنيفة وبين التفرير من مساويين الاحتيال والاغتصاب . وبين الالم والشهوة باعتبارها اسبابا تدفع الانسان عن جادة الصواب

وسن للنساء شرائع في رحلاتهن وحدادهن وما يقدمن من القرابين . عاب عليهم تبرجهن وفوضاهن وحرم عليهم الخروج من المدينة باكثر من ثلاثة أبواب وألا يحملن مؤونة بأكثر من « فلس » (١) وألا يكون لهن سلة أطول من ذراع وألا يسرن ليلا الا في عربات تنقلها المشاعل . والايشوهن وجوههن . والا ينشدن اشعاراً في الندب أو يصرخن وراء جنازة اذا لم يكن الميت من ذوى قرباهن . وألا يضحين ثوراً على القبر . والا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث بذلات . وألا يذهبن الى مدافن عائلات اخرى الا يوم الدفن . ونهاهن عن كل ما لا يزال منوباً عنه في شرائعنا . ويقال ايضا إن الذين يخالفون هذه القوانين يحكم عليهم الحكام المخصوصون لمراقبة النساء باعتبارهم رجالاً مخنثين يستسلمون في احزانهم لكل ما في المرأة من ضعف

كانت أئتنا تزداد بالسكان يوماً بعد يوم ، ممن ينحدرون اليها من الخارج منجذبين بما كانت تتمتع به أتيكا من الحرية . لكن قسماً كبيراً من الاراضى كان قاحلاً وعقياً . وتجار الواردات البحرية لا يقدمون عادة شيئاً لمن لا يعوضهم منها . فوجه صولون صناعة الوطنيين الى الفنون وأصدر قانوناً يعنى الابن من إقاة والده اذا لم يكن قد علمه صناعة . إن ليكورجوس الذى كان يسكن مدينة غير مزدهجة بالاجانب وكان تحت تصرفه مساحات كبيرة من الاراضى لا تكتفى لتكوين شعب كبير فقط بل تكتفى بزيادة ضعف عدده . كما قال أوديبديد: ليكورجوس الذى كان يحيط به جماعات من الهيلوت (الهيلوزين الرقيق) لم يسمح لهم بالبطالة بل كان يكرهم على العمل المستمر . كان على حق في تحريمه على الوطنيين تناول جميع الصناعات الحثيرة أو المستأجرة . وأن يبقوهم على الدوام تحت السلاح

١ الفلس سدس الدرهم وهو يساوى ١٥ سنتيماً

وَألا يدر بهم الا على صناعة الحرب . ولكن صولون الذي كان يطبق القانون على الحال لا الحال على القانون كان يرى أن البلاد فقيرة بطبيعتها وانها لا تسكاد تكفي لتغذية المزارعين ولم يكن في وسعه تغذية مدينة عاصمة لذلك عمد الى اعلاء قدر الصناعات وعهد الى مجلس الحكماء في البحث عن موارد كل وطني ومعالجة العاطلين .

وهناك شريعة أبلغ في الشدة وهي على ما قال هيراكليد البنطلي اعفاء أولاد المحظية من واجب اعادة والدهم . والحقيقة ان الذين لا يراعون واجب الزواج ويميلون الى غير زوجاتهم لا يقصدون إيجاد نسل بل ينفذون الى ذلك بعامل الشهوة فقط . فهم بذلك الحرمان يلاقون جزاءهم . وهم يحرمون كل حق في الساطة على أولاد من العار وجودهم

ويمكن القول بوجه عام إن ما شرعه صولون عن البغاء جاء متضاربا . مثال ذلك انه أباح قتل من يؤخذ متلبسا بجريمة الزنا أما الذي يختطف امرأة حرة ويفتصبها فلا يحكم عليه الا بغرامة مائة دراهمه وإذا ابتذلها الخاطف لا يدفع سوى عشرين دراهمة . هذا اذا لم تكن من اللاتي يعرضن علانية . أي محظيات (مؤسسات) وتسلمن أنفسهن بلا حياء الى أول من ينقدهن . ونهى صولون عن بيع الابنة والاخت اذا لم تؤخذ ابجيرة قبل الزواج . فمن التعسف ان تعاقب الجريمة الواحدة تارة باشد عقاب وأخرى بتساهل كبير أو جعلته لعبة لا عقاب عليها سوى غرامة طفيفة .

ومع كل فان قلة الاموال المقدية في اثننا وصعوبة الحصول عليها تجعل الغرامات المالية باهظة . فقد جعل صولون في تقديره نفقات الضحايا سعر الخروف والدراخمة والمدينين من القمح واحدا . ينال الفائز في الالعب البرزخية حسب شريعته مائة دراهمة والفائز في الالعب الاولمبية خمسمائة ويمنح من يحضر ذباً خمس دراهمات . واذا كانت ذببة دراهمة واحدة . ويقول ديمتريوس الفايرو أن ثمن

الطروف خمس دراختات . وقدرت اثمان الضحايا الفضلى فى اللوحة السادسة عشرة من قوانين صولون تقديرا غاليا ولكنها لا تذكر فى جانب ائمانها اليوم .

والاثينيون من قديم الزمن يطاردون الذئاب لان بلاد اتيكا صالحة لتربية القطعان أكثر منها لزراعة القمح . ويقول البعض ان قبائل اثينا لم تتخذ لنفسها أسماء من ابناء « ايون » بل اتخذتها من ضرور الحياة التى قدمت الالهالى الى طبقات . دعى رجال الحرب « هوربايت » ورجال الصناعة « ارجاد » ثم طبقنا الفلاحين « جيو بونت » والرعاة « اجيكور » وليس فى اتيكا أنهار لا تنضب بل قليل من البحيرات والينابيع ولا توجد المياه الا فى الآبار التى تحفر بالايدي فشرع صولون قانونا يبيح لمن لا يبعدون عن بشر عمومية سوى مسافة شوط جواد اى أربعة استاد ان يأخذوا منها ماءهم أما اذا كانوا بعيدين عنها بمسافة اطول وجب عليهم ان يجذوا الماء فى اراضيهم . واذا احتفروا الى عمق عشرة براس (١) ولم يجذوا ماء حق لهم ان يأخذوا ماءهم من البئر الاقرب اليهم يملئون منها كل يوم مرتين جرة تسع ستة كونجات (٢) رأى صولون من العدل أن يسد الحاجة دون ان يعين على الكسل

ثم حدد تحديد خبير المسافات التى تجب مراعاتها فى الزرع فجعل غرس الاشجار العادية على مسافة خمسة اقدام من الحقل المجاور . اما اشجار التين والزيتون فيجب ابعادها الى تسع اقدام لانها تنمو على مسافات بعيدة من جذوعها ولا يلائم جوارها كل غرس . فمنها ما تمتص غذاءها ومنها ما يضر بها . واذا اريد احتفار حفرة او حفيرة وجب حسب شريعته ان تكون المسافة بينها وبين الجار مساوية لعمق الحفرة . ولا يجوز وضع خلايا نحل الا على مدى ثلثمائة قدم من المكان الذى اودعت فيه سواها

ولم يبيح صولون بيع شئ من الحاصلات الاهلية للجانب سوى الزيت

١ مقياس طول قدر ١٦٢ و ١ متر ٢ الكونجوعا . يسم بالتر ٢٨٧ و ٣

وحرّم بيع ما عده وكلف الحاكم ان يعلن الخدم ضد كل من يخالف هذا القانون
والاجوزى هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دراهمة للخزانة العامة . ورد هذا
القانون فى اولى لوحات قوانينه . وعليه لا يكون بعيداً عن الصدق قولهم ان
تصدير النين كان محرماً وانه كان يطلق على من يستبيحون ذلك لقب
« سيكوفانتى » واش بالنين (١)

وقد عني بتحديد تعويض الخسائر والاضرار التى تحدثها الحيوانات فكل
كلب عض آخر وجب على صاحبه ان يسلمه الى العضوض وفى عنقه عصا طولها
اربعة اذرع وهذا احتياط حسن لمنع الاعتداء .

ولم اتبين حقيقة المعنى المراد بقانونه الخاص بحقوق المدينة . ان الذين
يستطيعون ان يعدو وطنيين هم المنفيون نفياً مؤبداً من بلادهم او الباقون للسكنى
فى اثينا مع عيالتهم يشتغلون بصناعة . واياك ما يقولونه فى تأويل هذا القانون
ان صولون لم يرد ابعاد الاجانب بل بالعكس اراد اجتذابهم الى اثينا باقناعهم
اقناعاً أكيدا انهم يصيرون وطنيين . فالذين دعاهم اولى الناس بالثقة البعض لانه
أكره على ترك وطنه بلا أمل فى العودة اليه . والبعض لانه ترك وطنه مختاراً
وما اختص به صولون فى تشريعه إنشاء ولائم على نفقة الجمهور ونهى ان يحضرها
الشخص مراراً ووضع غرامة على من يمتنع عن حضورها بدوره لان فى عمل
الاول شراهة وفى عمل الثانى مخالفة للعادات العامة .

وقد حدد صولون لبقاء شرائعه نافذة مائة سنة وقد كتبت على اضابير
(ملفات) من الخشب فى شكل محاور تدور فى براوير علفت بها ولايزال بعضها
محفوظاً فى « البريتانه »

١ « سيكوفانت » واش بالنين وقد تحولت هذه الكلمة فصارت مرادفة لقولهم
واش ونمام

وقد أقسم المجلس بمينا مشتركة على المحافظة على قوانين صولون وأقسم كل حاكم بالقرب صخرة الخطابة منه هذا أنه إذا خالف أحد نصوصها يقدم الى هيكل دلف تمثالا من الذهب يزن ثقله .

وقد لاحظ صولون عدم مساواة الشهور وان حركة القمر لا تتفق مع شروق الشمس ولا مع غروبها . وأنه غالبا يبلغ وتقدم الشمس في يوم واحد وأطلق على هذا اليوم « عشية القمر الجديد » وأضاف الى الشهر الممتد ، جزء اليوم الذي ينتهي قبل الاتحاق ودعا والجزء الذي يلي الشهر المبتدى . فصولون في عرفي هو أول من أدرك قول هوميروس عند ما ينتهي الشهر ، عند ما يبتدىء الشهر

« الاوديسة »

دعا اليوم الثاني « نيوماني » القمر الجديد . ولكنه كان يحسب الايام ابتداء من عشرين لا بالاضافة بل بالطرح متتبعا تطور القمر الى اليوم الثلاثين من الشهر وإذا تم نشر هذه الشرائع ازدحم الناس على صولون يثنون عليه وينتقدونه ويطلبون زيادة أو حذفاً على ما يشتهون وكثير عدد من يستفسرونه معانيها وكيف يفهمونها وكان من الغباوة أن يرفض طلبهم كما انه رأى في الاجابة عليها استشارة للعسد ، فاجتنابا لهذه الصعاب اراد أن ينجو بنفسه من هذه المشاق وهذه الشكوى لانه كما قال

« من الصعب في الاعمال العمومية ارضاء جميع الناس »

فطلب من الاثينيين إجازة عشر سنوات وأبحر بحجة الرغبة في الاتجار بحراً ؛ أملاً أن يكون هذا الوقت كف لا عتياد الناس شرائعه

ذهب أولاً الى مصر حيث أقام كما قال زمناطويلا على ناحية من النيل بالقرب من شواطئ « كانوب » وكان يكثر من الحادثات الفلسفية مع « تسانوفيس » (من عين شمس) و « سونيسن » (الصاوي) اكبر علماء الكهنة . ومنهم على

ماقال افلاطون سمع حكاية « اتلانتيدي » (١) التي أراد ان ينظمها شعراً ليطلع عليها اليونانيون

ومن هناك ذهب الى قبرص حيث صار صديق « فيلوسيديروس » أحد ملوك الجزيرة وكان يسكن مدينة أنشأها « داموفون » بن « نيزيوس » على مقربة من نهر كلاريوس . وكان المكان حصينا الا انه واقع فوق أرض قاحلة عقيم فأقنع صولون الملك ان ينقل المدينة الى سهل خصب وان يكبر من شأنها بتوفير أسباب الراحة فيها . وقد ساعد في بنائها وتجهيزها بكل ما يلزم لزيادة خصبها وطأنيتها فزاد عدد سكان المدينة حتى حسده الملوك المجاورون له . واعترفا بفضل صولون دعا المدينة « صولي » بعد ان كان يدعوها « ايبيا » . ذكر صولون هذا في قصائده فقال مخاطباً فيلوسيديروس :

بقى حكمك أنت وخلفائك في صولي سنوات عديدة مطمئنين سامين

أما أنا الذي سيبعدني مركبي السريع عن هذه الجزيرة السعيدة

ففي حبي سيريس ذات التاج البنفسجي

لتجزي الآلهة على بناء هذه « المدينة » شكراً وبشداً

وشهرة أعود بها الى وطني .

يرى البعض تناقضاً فيما روى عند مقابلته مع كرازوس ويزعمون انه خطأ ضد التاريخ أما رأيي انا فان حادثته شهيرة تؤيدها شهادات الكثيرين وهي اشبه باخلاق صولون حقيقة بما طبع عليه من نظام نفسية وحكمة مما لا يجوز رفضه بحجة عدم اتفاقها مع هذا الجدول التاريخي اوذاك . متى عرفنا ان الوفا من العلماء بدلو ولا يزالون يبدلون حتى اليوم هذه الجداول التاريخية ولم يصلوا بعد الى التوفيق بين متناقضاتها . أما الحادثة فهي : ذهب صولون الى « سارد » بناء على دعوة كرازوس فكان هناك أشبه بالرجل الذي رأى البحر لأول مرة؛ يحسب كل ما صادفه

١ اتلانتيدي ، جزيرة اوقرة ابتلعها المياه ولعابها غرقت في البحر الاطلانتيدي
دواية مشهورة في المصوّر القديم . هل هي أميركا او جزائر فورتيقي

من الانهار بحراً ؛ كذلك صولون عند مادخل أقسام القصر ورأى حاشية الملك
أكل في ثياب فخمة يحيط به الخدم والحرس فظن كلا منهم كرازيوس وأخيرا وصل
الى الملك وكان هذا قد تحلى في ذلك اليوم بأغلى وأفخر جواهره وأثن وأبهج ثيابه
مقلدا حلاه الذهبية متقنة الصنع ليظهر أمام صالون في أحلى وأبهى هندام . ولكن
صولون بالرغم مما كان يتوقعه الملك لم يبد عليه شيء من الدهشة ولا الاعجاب .
وقد أدرك عليه أصحاب النظر احتقاره هذه المنخفضة والصغار وحينئذ أمر كرازيوس
ان يطلعه على خزائنه وان يبسط أمامه جلال وفخامة ريشه ولكن صولون لم يكن
في حاجة لذلك ليجزم على كرازيوس . كفى أنه رآه . أعيد صولون الى حضرة
كرازيوس بعد ان شاهد كل شيء فسأله الملك هل يعرف أحدا أسعد منه حالا ؟
فأجابه صولون « نعم ذلك تالوس الاثيني تالوس الذى عاش رجل خير وترك أبناء
محترمين من الجميع وبعد ان قضى حياته لا يعوزه شيء مات مجيدا وهو يدافع عن
وطنه » . فلم يركرازيوس فيمن لا يقيس السعادة بالذهب والفضة ويفضل حياة
وموت رجل عامى على هذا الملك العظيم ، سوى رجل بليد جاف الطبع . على أنه
سأله ثانية هل تعرف رجلا بعد تالوس أوفر حظا منه فأجابه صولون « عرفت
كليوبيس وبيتون وهما أخوان شديدا الحب لبعضهما ولا يقل حبهما والوالدتهما عن
حبهما لانفسهما . وحدث ذات يوم ان تأخرت الشيران فعلق الولدان النيران عنقهما
وجرا عربة والديهما الى هيكل جينون فانشرح صدر الوالدة واقبل الناس يهنئونها
بان لها أولادا كهؤلاء ولكن الاخوين بعد التقدم والوليمة ذهب لينامافنا ماولكتهما
لم يستيقظا في القد اذ ماتا ميتة هادئة لا ألم فيها »

فرغ صبر كرازيوس وصاح ماذا ! ألا تحسبني بين السعداء ؟ فأجابه ولم يرد
ان يلقه ولا أن يزيد غضباً « يمالك اللذين ! لقد رزقنا الالهة نحن الاغريق
من كل شيء مقداراً وسطاً لاسيما حكمتنا فانها ثابتة ساذجة أى عامية ليس فيها
شيء ملكي وجليل ، وميزتها هي هذه الحالة الوسط وهذه الحكمة التى ترينا

حياة الانسان عرضة دائماً للقلق والاضطراب لا تسمح لنا أن نزهي بما نملك من عقار ولا أن نهجب في سو انا برفاهة يزيلها الدهر ، فما من رجل لا يرميه المستقبل بألوف من الحوادث لم تخطر له على بال . فمن جعات الالهة حياته كلها حتى النهاية متاع سعادة فهو حقيق في نظرنا بأن يعد سعيداً . اما الانسان الذي لا يزال على قيد الحياة عرضة لجميع مخاطرها فلا يمكن أن نضمن له سعادته لبعدها عن مقدور وإكليل النصر عن لا يزال في حلية السباق »

أحزنت هذه الكلمات كرازيوس ولكنها لم تصلح شيئاً من خلقه وأنسحب صولون .

كان « ايزوب » مؤلف القصص الخرافية حين ذاك في سارد حيث استقدمه كرازيوس وأكرمه . ساءه مالقى صولون من عدم الرعاية فقال له ناصحاً

« يا صولون اما أن لا تقرب من الملوك أو أن لا تقول لهم غير ما يرضى » فقال

« الاولى أن تقول لا تقربهم أو لا تقل لهم غير ما يفيد »

أما كرازيوس فانتعوى على احتقار بغيض لصولون ولكنه عندما قهره « سيروس » واستولى على سارد وأمر بحرقه حيا وحياً به موثق اليدين أمام النار في حضرة « سيروس » ورجال الفرس . رفع كرازيوس صوته وصاح بكل قواه ثلاثاً « صولون ! » دهش سيروس وأرسل يستعلم عن ذلك الانسان أو الاله المدعو صولون الذي استغاث به في أشد محنة . لم يخف كرازيوس الحقيقة فقال « انه احد حكماء اليونان استقدمته للاستماع اليه ولا لاتعلم منه ما كنت في حاجة الى تعلمه بل ليشهد تظمتي ويشيد بسعادتي في جميع أنحاء اليونان ، تلك السعادة التي اجتلب على ضياعها من الألم ما لم يستطع وجودها ان يذيقني من السرور . ولم أكن اتزوق حين ذاك سوى سعادة وهمية ولكن انقلاب القدر القى بي في مصائب محسوسة حقيقية لاشفاء منها . تفياً بذلك لما رأيته عليه ، مما اتألم منه الآن . وانذرتني بوجوب الاهتمام لنهاية عمري والا

استرسل مع هوى الكبرياء وألا أثق بهذه السعادة المزعومة ،

ولما نقل هذا الجواب الى سيروس وكان أوفر حكمة من كرازوس ورأى بعينه كمات صولون محقة لم يكتف باطلاق سراح كرازوس بل أحسن معاملته طول حياته فكان من فخر صولون ان انقذ حياة ملك ونصح آخر نصيحة حكيمة بعبارة واحدة

على أن غياب صولون أعاد اثينا الى ما كانت عليه من الفتن . اجتمع سكان السهل تحت قيادة ليكورجوس ، وسكان الساحل تحت قيادة ماجكاس بن الكيميون وسكان الجبل تحت قيادة بيزستراتس وانضم الى هؤلاء أخلاط المرتزقة أعداء الاغنياء . حقيقة إن المدينة كانت لاتزال سائرة على شرائع صولون ولكن الجميع كانوا يتوقعون ثروة ويتوقون الى حكومة جديدة وليس ذلك لان حزباً من هذه الاحزاب يريد إقامة العدل بل لان كلامها كان يأمل الاستفادة من التغيير والتمكن من السيادة وحده على الآخرين . هذه حالة اثينا عند عودة صولون اليها . استقبله الجميع باحترام واكرام . واذا كانت سنة لم تعد تسمح له بالعمل والخطابة بين الجمهور فكان يجتمع بالزعماء ويوفق ما بينهم ويصالح ذات بينهم لجهد المستطاع وكان بيزاسترس أدنى الى رضا صولون لما كان في كلامه مما يغرى ويعطف ، وكان عوناً للفقراء لطيفاً ومعتدلاً نحو أعدائه وكان يجيد تقليد ما حرمة الطبيعة من الخلال ، بحيث يظنها الناس اعلق بقلبه ممن فطروا عليها لذلك اشتهر بالحشمة والرياسة والغيرة على العدل والمساواة ، عدول كل من يريد تعديلاً أو تصبوا نفسه الى ثروة . وكان هذا المظهر المتكاف يكبر شأنه بين الشعب ولكن صولون عرف حقيقته وتبين أغراضه فلم يقطع صلته معه بل حاول تدمير اخلاقه وردة بنصائحه وكان يقول له وللاخرين « لو أمكن أن تنتزع من نفسه هذه المطامع الكبيرة وشفافه من شهوة الحكم المطلق لما كان في أثينا رجل أليق منه بالفضيلة ولا أوفى منه وطنية »

وفي ذلك الوقت «كان تيسبيس» قد غير نظام المآسى (الروايات) وكانت
جدة المشهد تجتذب الناس ؛ ولم تكن مسابقة الشعراء لاكتساب الجوائز قد
نظمت بعد . كان صولون وهو بطبيعة طالعة وقد مال في شيخوخته الى التلهي
واللعب والولائم الرسمية والموسيقى فذهب لسماع «تيسبيس» الذي كان يمثل
كشعراء ذلك الزمن رواياته بنفسه فدعاه بعد نهاية الرواية وسأله ألا يخرج
من حكاية أكاذيب جسيمة كهذه امام الجمهور فقال تيسبيس لا بأس ولا
ضرر من كلامه وعمله . يا أنها (الروايات) لعب . فقال صولون وهو يضرب
الأرض بعصاه «نعم ولكن اذا كنا نتالم ويحتمل اللعب أو نستصوبه فانا
نجد الحقيقة في اعمالنا الجديدة .

حدث بعد ذلك ان جرح بيزستراتس نفسه وأمر فحمل الى الساحة العمومية
حيث أثار الجمهور بابلاغه ان اعداءه هم الذين غدروا به عقابا له عما أداه من
الخدم للجمهورية . وبينما الشعب كان يعلن استيائه بصرخات متوالية دنا
صولون من بيزستراتس وقال له «يا ابن هيبوكرات ! انت لا تحسن تمثيل
عولس (في قصائد هوميروس) جرح نفسه ليخدع اعداءه وأنت تجرح نفسك
لتخدع مواطنيك»

وقد استعد الشعب للقتال تعظيماً لبيزيستراتس فعقد جلسة عمومية اقترح
فيها «اريستون» ان يعطى بيزيستراتس خمسون رجلاً لحماية شخصية ولكن
صولون عارض هذا الاقتراح بكل شدة ولا يزال شيء من خطبته هذه في قصائده
«انكم لا ترون سوى اسان وكلمات رجل محتمل

.....

يمشي كل منكم في مصالحه مشية الثعلب :

ولكنكم متى اجتمعتم صرتم قطيعاً غيباً .

واذا رأى الفقراء ينضمون الى بيزيستراتس في ثورة وهياج ورأى الأغنياء

يهربون وجلا انسحب هو أيضاً وهو يقول « أنى أعقل من الفقراء الذين لم يروا خديعة بيزيسترانس وأجراً من الاغنياء الذين رأوا الخديعة ولكنهم لم يجسروا على مقاومة الظالم »

ولما وافق الشعب على ذلك القرار لم يغن صولون بمضايقة بيزيسترانس في عدد رجال الحرس الذين يعطون له وتركه يأخذ منهم من شاء على ان يدافع أجراً وانتهى الامر بيزيسترانس ان استولى على القلعة .

انتهمز ميخاكس فرصة الاضطراب الذي أحدثه هذا المشروع فأسرع بالهرب هو والالكيمونيدون . أما صولون فبارغم من شيخوخته وبالرغم من عزلته فقد تقدم الى الساحة العمومية ووجه الاثينيين على سوء تصرفهم ونذالتهم وحثوا على ان لا يخونوا الحرية . وفي هذا الموقف قال كلمته المشهورة « كان من السهل قتل الاستبداد في مهده اما وقد استنفحل أمره فمن العظمة والمجد ان يقضى عليه »

ولما رأى أن الخوف استولى على الجميع وانه ليس من أحد يصنى اليه رجع الى بيته وأخذ أسلحته ووضعها في الطريق أمام بابه وهو يقول « لقد دافعت جهدى عن الوطن وشرائعهم وعاش من ذاك الحين مطمئناً . وقد نصيح له أصدقائه ان يهرب فلم يصغ لنصائحهم . ثم أخذ ينظم القصائد يعسد بها أخطاء الاثينيين

لئن عاينتم الشقاء لنذالتكم

فلا تلوموا الآلهة في مصائبكم

أنتم الذين أكبرتم شأن أولئك الرجال بما قدمتم لهم من عضد

وهذا سبب ما بالقانون من استعباد مخجل .

على ان الناس لم يكفوا عن تحذيره من أن الطاغية قد تتلته . وسئل يوماً

علام يعتمد في جرأته فاجابهم « على شيخوختى » . فكانوا مخطئين ذلك أنه

منذ صار بيزيسترانس السيد المطلق في أثينا لم يقصر في احترام ورعاية صولون وكثيراً ما كان يستدعيه اليه حتى صار مستشاره وكثيراً كان يستصوب بعض أعماله . والواقع ان بيزيسترانس كان يقيم جميع شرائع صولون يبدأ بتطبيقها على نفسه ويخضع لها وأصحابه طائعين أو غير طائعين . اتهم مرة بالقتل فقتل أمام مجلس القضاة وتقدم في تواضع مع انه الحاكم المطلق لتبرئة نفسه . ولكن المدعى استرد شكواه . وقد وضع من عندياته بعض الشرائع منها القانون الخاص بتغذية مقعدي الحرب على حساب الدولة . واسكن هيرا كليد يقول ان صولون أصدر مرسوماً كهذا بشأن تيرسييد عند ما جرح ولم يكن بيزيسترانس سوى مقلد له في ذلك . ويعزو تيوفراست قانون ضد العاطلين الى بيزيسترانس لا الى صولون . ذلك القانون الذي أعان على الاشتغال بالزراعة واسعاد حال أثينا

ثم شرع صول في نظم قصة الاطالانطيد التي رواها له حكماء سائس (صان الحجر) وكان الاغريق يهتمون بها . ولكنه عدل عن ذلك لا كما قال أفلاطون للاشتغال بغيرها بل لسكبر سنه لانه كان يميل للراحة كما قال عن نفسه « كبرت وأنا أستزيد من العلم » ثم قوله « ان ما أحبه الآن هو عطايا سيبريس وباخوس واهله الشعر »

هذه هي العطايا التي تجعل الانسان سعيداً »

وضع أفلاطون يده على موضوع الاطالانطيد كأنه أرض جيدة مهجورة آلت اليه بحق الارث (١) . ورأى من الشرف ان يتمه وان يجعله . فهدله بمقدمة فخمة ، وأحاطه بسياج فسيح لم يسبق ان عرف مثله في حكاية أوقصيدة . ولكن الموت عاجله فمات ولم ينجزها فعلى قدر ما يسر الانسان بمطالعة ما كتب منها يكون حزنه على ما لم يكتب . لم يبق غير كامل في أثينا سوى هيكل جوبتير الاولبي كذلك لم يبق دون السكمال من مؤلفات أفلاطون سوى قصة الاطالانطيد

قال هيراكليد ان صولون عاش طويلا بعد اغتصاب بينيستراتس الحكم
ولكن فانياس الايريزي يقول انه لم تمض عليه سنتان ، لان اعتداء بينيستراتس
على الحكم وقع في عهد الحاكم كومياس وقد توفي صولون حسب أقوال فانياس
في عهد الحاكم هييجسترات خلف كومياس . اما القول بان رماد جثة صولون ذرى
في مهب رياح جزيرة سالامين فمن أسخف وأكذب الاقوال ولوانه ورد في
مؤلفات بعض من يوثق بهم حتى الفيلسوف ارسطو .

بو بليكو لا

بلغ أوج مجده سنة ٥٠٩ ق . م .

لقد عرفت صولون وسنقابل بينه وبين بو بليكو لا (١) وقد منحه الشعب الروماني هذا القرب الشريف وكان اسمه قبلًا بوبايوس فلاريوس والمعروف أنه من سلالة فالاريوس الذي أصلح فيما مضى ذات البين بين الرومانيين والسايين وجعلهما شعباً واحداً . لأنه هو الذي حمل المملكين على الاجتماع وعقد الصلح . هذه أسيرة فالاريوس على مارواه الراون وقد امتاز في الزمن الذي كانت فيه روما تحت حكم الملوك بفصاحته وثروته استخدم الخلة الاولى بحق وصراحة للدفع عن العدالة واستخدم الثانية بسخاء وعطف لمساعدة المحتاجين لذلك رأى الناس من أول عهده أنه إذا كانت الحكومة قد صارت شعبية فلما لاريوس الفضل الاول في ذلك .

لم يصل تاركان (لاسويرب) (الفخم) الى الملكية بطريق شريف بل داس الشرائع السماوية والانسانية ولم يستعمل سلطته الملكية بما يليق بالملوك من الاعتدال بل استعمل العنف والاستبداد فاستغضبه الشعب ولم يبق له صبر على احتماله ثم جاءت حادثة موت لوكريس فكانت سبباً لثورة عامة . ذلك ان لوكريس لما رأت ان شرفها قد امتنق فقتلت نفسها بيدها . رأى لوسيوس بروتوس ان يغير شكل الحكومة وأفضى بذلك الى فالاريوس فوجد فيه عضداً قويا . وقد تمكن باتحاده معه من طرد الملوك . لازم فالاريوس الحيدة عند ما كن المظنون ان الرومانيين سيعينون بدلاً من الملك ، قائداً وحيداً ، اعتقاداً منه ان الحكم يرجع بمقتضى العدل الى بروتوس بوصفته أول من أوجد الحرية ولكن الشعب كان قد

كرد كلمة « ملك » ومال الى الرغبة في تقسيم الحكم وطلب تعيين اثنين فوهم
فالاريوس انه سيكون شريك بروتوس ولكنه خدع في وهمه . لان بروتوس
بالرغم من ارادته اضطر لقبول تاركان كوابلاتان زوج لوكريس بدلا من فالاريوس ؛
لان ذلك أكثر جدارة من هذا بل لان رؤساء المدينة خشوا حيل الملوك وما
يدبرون من وسائل لاستئالة الشعب فارادوا رئيساً يكون من الدأعباء الملوك
لا يثنيه شيء

استاء فالاريوس لان الشعب لم يعتقد انه قادر ان يعمل كل شيء لمصلحة
وطنه لانه لم يصب شخصاً بأذى من الملوك ، فامتنع من الذهاب الى مجلس
الشيوخ وعدل عن مهنة المحاماة وانسحب كلية من أعمال الحكومة . قلق الشعب
وخشى ان يحمله استياءه الى المؤامرة مع الملوك فيطلب الجمهورية التي لم تثبت
دعائها بعد . ولكن عند ما اقترح بروتوس الذي كان يخشى اناسا غير فالاريوس
على المجلس حلف اليمين على الضحايا وعين يوماً للحلف . نزل فالاريوس الى
الساحة العمومية بنفس راضية وكان أول من أقسم انه لن يصفح ولن يسلم الى
تاركان بل انه بالعكس من ذلك يضار به بكل ما في وسعه دفاعاً عن الحرية . بذلك
سر المجلس وشجع القناصل ثم جاءت أعماله بعد ذلك مؤيدة لذلك التسم . أرسل
تاركان الى روما رسلاً تحمل رسائل كلها تماق ومداهنة للشعب تعرض مطالب
متواضعة جداً مفرغة في أسلوب يجتذب الجماهير — قائلاً ان الملك قد تجرد من
كبريائه ولا يطلب سوى مطالب معتدلة وقد قبل القناصل ان يخاطب أولئك
الرسل الشعب . ولكن فالاريوس عارض ذلك قائلاً . لا يجب ان تعطى اناس
قراء يخشون الحرب أكثر مما يخشون الظلم فرصة وأسباب للانتفاض .

حدث بعد ذلك بقليل ان صرح رسل جدد من قبل تاركان بأنه عدل عن
الرغبة في الملكية وانقطع عن محاربة الرومانيين وانه لا يريد سوى ان ترد اليه
أمواله وأملاكه له ولأهله وصحبه ليتمكنوا من العيش في منغاهم . وكان أغلب

أعضاء مجلس الشيوخ ميالين الى منحة ما أراد . وقد عضد كولاتن طلبه بنوع خاص . ولكن بروتوس وهو رجل صلب العود لا يبقى غضبه على شيء أسرع الى الساحة العمومية ودعا زميله خائفا يريد ان يقدم لآل تاركان الوسائل التي تمكنهم من موالاة الحرب واقامة الظلم والاستبداد . أولئك الذين لا يستحقون ان يعطوا ما يحتاجون اليه للعيش في منفاهم . اجتمع الوطنيون ونهض من بينهم كايوس مينيسيوس وحث بروتوس والرومانيين على عمل ما من شأنه استخدام هذه الاموال لمحاربة المستبدين لا ان يستخدموها المستبدون لمحاربتهم هم (الرومانيين) ولكن الرومانيين قرروا مع ذلك ما يأتي : بما انهم ينعمون بالحرية التي شرعوا السيوف من أجلها فلا يجب ان نجعل الاموال عقبة في سبيل السلام بل ابعادها خارج روما هي المستبدين . على ان الاموال لم تكن غرض تاركان ولم يقصد بطلبه سوى سهرغور الشعب وتدبير مؤامرة ، والحقيقة ان المؤامرة هي الغاية التي كان يعمل لها رساله وما كانت أموال الملك سوى وسيلة يتذرعون بها لاطالة مدة اقامتهم في روما . يعملون متبهلين تارة في بيع هذا وأخرى في صيانة ذاك وتحويل غيره وبالايجاز كان لهم من الوقت ما يمكنهم من اغواء اثنتين من أسرى روما الكبرى ذات المقام الاول . الاولى أسرة اكيلايوس ومنها ثلاثة شيوخ والثانية أسرة فيتاليوس ولها في مجلس الشيوخ شيخان وكان لهؤلاء صلة قرابة مع بروتوس لانه زوج أختهم وله منها أولاد عدة .

كان لبروتوس ، ولدان في ريعان الصبا تمكن آل فيتاليوس وهم أقاربهم واصدقاؤه من استهواهم فانضما الى المؤامرة منجذبين اليها بان يكون لهما عهد مع آل تاركان وهي أسرة كبيرة يجددن معها ما يرضى رغباتهم ارضاء ملكيا ويتخلصون من سيطرة والدقلس بليد . وكانوا يدعون شدته على الاشرار قسوة وكانوا يدعون ما كان يتظاهر به من الاستكانة حرصاً على الطمانينة واتقاء شر المستبدين في بلاده ، على أنه لم يأت أن يطلق على نفسه هذا اللقب

(لأن كلمة بروتوس معناها في الحقيقة جامد بليد) ولما انضم هذان الشابان الى المتآمرين اتفقا مع آل اكيلويس . تعاهد المتآمرون فيما بينهم بقسم خطير . فقد شربوا دماء رجل ذبحوه واضعين أيديهم على الاحشاء وكان اجتماعهم في منزل اكيلويس وكان المنزل الذي جرت فيه هذه المناسبة يليق بها لابتعاده ، ولما كان يخيم عليه من ظلام ولم يلاحظوا أن عبداً يدعى فاندسيوس كان مخبئاً هناك . ولم يكن اختبائه عن رغبة في المراقبة ولا انه كان يتوقع حدوث شيء مما قصدوا له ، ولكنه كان في البيت صدفة ورأى المتآمرون يدخلون اليه دفعة واحدة فلم يجسر على الظهور فاخفى خلف خزانة كبيرة فشهد كل ما عملوا وسمع كل ما قلوا فقرر في الجلسة قتل القنصلين وكتبوا الى داركان رسائل تعلمه بجميع خططهم وساموها الى الرسل لان ذلك المنزل كان مسكنهم لانهم كانوا ضيوف اكيلويس وقد حضروا الاجتماع .

لما انتهت الامر وانصرف المتآمرون خرج « فاندسيوس » من المنزل خفية لا يدري ما يعمل بما اهدته الصدفة الى اكتشافه . ساورته الافكار واختلط عليه الامر . رأى في الافضاء الى بروتوس بخيانة أيبند والى كولان بخيانة اقاربه خطراً وأى خطر . ثم انه لم يرفى روماً رجلاً يمكن أن يعهد اليه هذا السر على أنه لم يستطع كتمان هذا الحادث . وأخيراً اشتد عليه وخز ضميره فاسرع الى فالاريوس حمله على ذلك ما يعرفه عنه من الدعة والانسانية وسهولة استقباله كل انسان حتى الضعاء اذ كان بيته مفتوحاً على الدوام لا يترفع عن الاهتمام بشئون الآخرين والعناية بحاجاتهم قابله فاندسيوس وروى له أمام زوجته وأخيه ماركوس فالاريوس كل ما شاهدته وسمعه . استوت الدهشة والرعب على فالاريوس فاعتقل العبد وحبسه في غرفة وترك حراسة باب البيت الى زوجته وعهد الى أخيه أن يحاصر قصر الملك بحيث يضبط الرسائل وأن تبقى الخدم تحت حراسة شديدة . اما هو فذهب في جماعة من عائلته

وأصحابه الذين لم يكونوا يفارقونه وأخذ معه خدمه العديدين وقصد الجميع منزل آل إكلييوس فلم يجدهم هناك واذ لم يكن أحد في انتظاره دخل المنزل بلا عائق ووجد الرسائل في مسكن رسل الملك ولكن آل إكلييوس أسروا اليه وهو لا يزال في المنزل ووقع بينهم شجار عند الباب حاولوا فيه استرداد الرسائل ولكن فالاريوس ورجاله قوومهم مقاومة عنيفة ولفوا ثيابهم حول أعناقهم واجتازو بهم الطرق دافعين مدافعين إلى أن وصلوا بشقة إلى الساحة العمومية ولم يكن ماركوس فالاريوس أقل توفيقاً في قصر الملك ، فقد استوفى على رسائل أخرى مرسله مع أشياء أخرى وساق إلى الساحة العمومية أيضا جميع رجال الملك الذين استطاعوا القبض عليهم .

ولما تمكن القناصل من تهدئة الحال استدعى فالاريوس من منزله فندسيوس وأخذ في التحقيق . تلقت رسائل المتآمرين فلم يجرأ أحدهم على البت بكلمة وكان الجميع خافض الابصار في صمت عميق وقد ارتأى البعض بمعاملة ابروتوس أن يكتب بالنفى وكانت دموع كولانان وصمت فالاريوس قد بعث إلى نفوس المتآمرين شيئاً من الامل ولكن بروتوس نادى ابنائه كل باسمه . انت يا تيتوس وانت يا فالاريوس لماذا لا تجميعا على هذا الاتهام ؟ ناداها ثلاثاً وهما صامتين . وحينئذ التففت بروتوس إلى الجلاد . الآن عليك ان تنفذ ما بقى . اخذ الجلاد الشابين ونزع عنهما ثيابهما وشد وثاق ايديهما إلى ظهرهما ومزق جلدهما بالسياط فلم يستطع احد أن يتجلد امام هذا المشهد الصارم . بروتوس وحده بقيت له شجاعته ويقال انه لم يحول نظره دقيقة ولم يكن للشقة اى اثر على الغضب والصرامة اللتين كانتا مرتسمتين على وجهه . شاهد بروتوس التنكيل بابنائيه بعين وحشية الى أنلقى على الارض وسقطت رأسها تحت ضربات المضربة وحينئذ ترك لزميله معاقبة الآخرين ونهض من كرسيه وانسحب

ان عمل بروتوس على ما هو لا يكفي فيه الاطراء ولا تكفى فيه المؤاخذة فهو اما عن فضيلة سامية ترفعه عن المؤثرات الانسانية أو عن شهوة متطرفة نزلت به الى عدم الشعور فكلاهما غريب جداً ليس من طبيعة الانسان الاول من طباع الآلهة والآخر من طباع الضواري على ان العدل يقتضى ان نعمتل في حكمنا على مجلد بروتوس لا أن نشك في فضيلته لما فينا من ضعف . ان الرومانيون يعتقدون اعتقاداً اكيداً أن رومولوس لم يلق في تأسيس روما من العناية ما لقيه بروتوس في نصرة الحرية وتوطيد دعائها

ولما انسحبوا الجلم الرعب والدهشة السنة الجماعة وكان الصمت رهيباً كثيراً ولكن تراخي وتواني كولاتان شجع آل اكياموس فطلبوا أن يفسح لهم في الوقت للدفاع عن انفسهم وان يسلم اليهم فندسيوس عبدهم ولا يبقى بين ايدي المتهمين (المدعين) مال كولاتان الى اجابة طلبهم واراد فض الجمعية ولكن فلاريوس أعلن انه لا يسلم فندسيوس الذي اختلط بين اتباعه وانه لا يحتمل ان ينصرف الشعب فينجوا الخائنون . ثم وضع هو بنفسه يده عليهم ودعى بروتوس لمعاوته وندد بسوء تصرف كولاتان في الوقت الذي اوجب فيه بروتوس على نفسه قتل ابنائه ، مال كولاتان ارضاء لنساء لافلات الخائنين واعداء الوطن من يد العقاب — مل القنصل هذه المقاومة فأمر الجلادين للقبض على فندسيوس ففرقوا الجمهور وقبضوا عليه وضربوا الذين حاولوا انزاعه من ايديهم ولكن أصحاب فلاريوس قاموا بالدفاع عن العبد وصاح الشعب طالباً بروتوس ، عاد بروتوس الى الساحة فاستولى على الجميع عند ظهوره سكون شامل فقال . لقد كنت بنفسى كافياً لحماكة ابنائى وتركتم المتهمين الآخرين لحكم الشعب فعليه أن يبدي رأيه فليتكلم كل انسان و يقترح ما يشاء . فعلت هذه الكلمات فعلها وأخذت الاصوات وكان الحكم بالاجماع قطع رؤوس المتهمين . اصبح كولاتان موضع شبهة لقرابة لاسرة الملوك واصبح اسمه بغيضاً لما احدثه

تاركان من الاستياء العام واذا رأى ما حدث وان الشعب يضمّر له البغضاء استقال من القنصلية وأبتعد عن روما — جرى الانتخاب العام وكان فالاريوس بالاجماع قنصلا جزاء حق لغيرته ونخوته فرأى من العدل ان يشرك معه في اختيار فندسيوس فاعتقه ومنحه بقرار من الشعب صفة الوطنى مع حق الانتخاب فى القبيلة التى يريد بها فكان أول معنوق تمتع بهذه المنحة وحدث بعد ذلك بزمن طويل ان ايبوس استجلا بالرضاء الجمهور منح جميع المعتقين حق الانتخاب ولا يزال التحرير التام يدعى حتى اليوم « فندكتا » كلمة مشتقة من فندسيوس نهبت وسلبت أموال واملاك الملوك وهدم قصرهم وكُن لآل تاركان احسن جانب من جوانب حقل مارس . خصص لذلك الاله . كان المحصول محصود والحرم ملقاة فى الساحة وكان المعتقد انه لايجوز دخن تلك الغلال ولا الاستفادة منها فاخذ الجمهور يلقى بها وبالشجار التى اقتلعها الى نهر التيبر ليترك للآله الارض عارية لازرع فيها . قذف التيار هذه المواد وكدسها على بعضها ولم يبعد بها بعيد رسيت القذيفة الاولى واحتجرت التالية فتماسكت وتصلبت بحيث صارت قطعة صلبة ثابتة . التسمت هذه الرقعة وازدادت متانة بما كان يحمله التيار من الطمي ولم تكن الامواج لتفرق بين اجزائها بل كانت بالعكس من ذلك تزيدها تماسكا واحكاما ورسوها يوما بعد يوم — اخذت هذه البقعة فى الاتساع والمتانة بما كانت تجترقة امواج نهر التيبر من الاجسام الغريبة ، وتعرف اليوم فى روما بالجزيرة المقدسة . انشئت عليها المعابد والمنزهات واطلق عليها اسم بين الجسرين . وجاء فى رواية اخرى ان هذه الجزيرة لم تنشأ حين تكريس حقل تاركان بل نشأت بعد ذلك بزمن بعيد عند ما كرس تاركنيا للاله مارس حقلًا ملاصقا لحقل فاركان . وتاركنيا هذه كانت كاهنة (فستال) اكسبها كرمها امتيازات مشرفة منها قبول شهادتها فى القضاء وهو حق لم تنله غيرها من النساء وايصح لها الزواج ولسكنها لم تستخدم هذا الحق . هذا ما يقال فى الرواية الاخيرة

يئس تاركان من استرداد الملك بالدسياسة والمؤامرة فاجأ الى الاترسكيين فتحمسوا له واهتموا بشأنه وساروا به الى روما في جيش عرمرم فزع القنصلان لملاقاته على رأس الرومانيين واصطف الجيوش للقتال في مكانين مقدسين . يعرف احدهما باسم « بو كيج » مأوى ارسيا والآخر مرج ازوفيان وما كاد يبدأ القتال حتى تلاقى ارونس بن تاركان والقنصل الروماني بروتوس ولم يكن تالقيهما صدفة بل كانا مدفوعين بعوامل الحقد والبغض — احدهما يطلب المستبد عدو الوطن والآخر يريد الانتقام لنفسه من النفي . دفع كل منهما جواده نحو الآخر في سورة غضب لاحذر معها ولم يفكر احد منهما في وقاية نفسه ولذلك سقط كلاهما في حومة الوعى . ولم تكن المعركة التي تلت هذه الفاتحة أقل فظاعة اذ كان القتلى في الجانبين ذريعا ولم يفرق بين الجيشين الاعاصنة هوجاء اضطرت الامر على فالاريوس ولم يدرك ان كان النصر . رأى جنده قد فقت الخسائر في عضوهم من جهة ولكنهم من جهة أخرى مطمئنين لما انزلوا بالعدو من الخسائر . وذلك الكثرة عدد القتلى وتساوى الخسائر في الجانبين واذ كان كل من الفريقين على يقين من خسائره ولا يعرف خسائر عنده الاتخمينا كان ادنى الى الاعتقاد بانه للمغلوب على امره من الى الاعتقاد انه الغالب — ارخى الليل سدوله لا يصعب على احدهما يتصور كيف قضوا ليلتهم بعد تلك المعركة الحزينة مال الجيوش الى الراحة ويقال انه حدث هزة في الغابة المقدسة وخرج منها صوت هائل يبان انه قتل الاترسكيين يزيدون واحدا عن قتلى الرومانيين وكان هذا صوت آله ولا شك لأن الرومانيين استعادوا شجاعته فجأة مالأوا المعسكر بصيحات الفرع أما الاترسكيون فقد استولى عليهم الفرع والاضطراب فتركوا مساحة القتال وتفرقوا هائبا وهناك ولم يبق منهم سوى خمسة الاف تقريبا يقاودون هجمات الرومانيين فأسروا جميعا وسلب معسكرهم . أحصى الرومانيون القتلى فكانت خسائر الاترسكيين ٣٠٠ ر ١١ وقتلى الرومانيين اقل من هذا العدد واحد

يقال إن هذه الواقعة حدثت عشية أول شهر مارس وكان النصر لفالاريوس
وأنه أول قنصل دخل روما على عربة تجرها أربعة من الجياد وكانت النظارة
تشهد هذه الالبهة وهذا الجلال بلا حسد ولا استياء بالرغم من قول بعض الكتاب
من أن هذا النصر لم يكن مدعاة للتنافس أو مثالا يحذى وأن السعادة لم تجر
بذلك عدة سنوات.

ولقد سر الناس مما قام به فالاريوس من تكريم زميله أثناء وبعد الجنازة
التي القاها والتي سر بها الشعب غية السرور وكانت ابتكارا جرى الناس عليه
فكان اذا مات عظيم قام احد رجال الخير يرثائه وتقدير حسنه . ويقال إن
هذه المروية سابقة السكل ماجرى من نوعها عند اليونانيين ولكن الفضل في
هذه العادة يرجع الى صولون الذي كان يقوم بتكريم الموتى على رواية
الخطيب أنا كزيمين

حدث بعد ذلك ان فالاريوس اصبح موضع استياء وريبة . ان بروتوس
الذى يعتبره الشعب ابا الحرية اشترك معه قنصلين مرتين « اما فالاريوس
فانه استأثر بالسلطة ، أنه ليس وريث قنصلية بروتوس وان ذلك ليس اشبه
به انما هذا اشبه بتارك ان يطرى بروتوس كلاما يقتدى بتارك ان
عمليا ؟ ؟ الا انه يمشى وحده يحيط به حملة مشاعل والمطارق اذا خرج من
بيته وهو بيت أكثر فخامة من قصر الملك الذى هدمه بيده ؟ » والحقيقة أنه
كان يمكن قصرأ فخما جدا قما على جبل يدعى « قاليا » يدل على الفوروم
« الساحة العمومية » ولا شئ يحجب النظر في ذلك الارتفاع الشاهق . على
ان الصعود اليه كان صعب المرقى وكان مالاريوس اذا نزل من قصره في حاشيته
مشى مشية جميلة تشعر بفخمة الملوك وكان يظهر انه من حسن حظ الرجال
الذين يتولون الشؤون العامة ان يفتحوا أذانهم لآلة الصراخ والحقيقة أكثر من
خطب الملمتين . علم من أصحابه استياء الشعب فبدل أن يجادل في

الامر أو يغضب دعا جماعة من العمال قبيل الصباح وهدم قصره حتى أساسه فلما طلع النهار ورأى الرومانيون هذا المشهد اعجبوا لعظمة نفس فالاريوس ولكنهم حزنوا لضياع القصر ، حزنوا لان الحسد أباد عظمة وجلالا . حزنوا لذلك حزنهم على انسان نفذ فيه حكم الاعداء ظلما . وقد خجلوا اذ رأوا القنصل يسكن كرجل بلا مدفء ولا مسكن فى منزل مستعار . ذلك أن اصحاب فالاريوس آووه الى منازلهم حتى صرح له الشعب بقطعة ارض بنى عليها منزلا أقل أهبة من الاول . وهو فى المسكن الذى يعرف الآن باسم « فيكابوتا » (١)

لم يقصد فالاريوس ان يحبب الى الناس شخصا فقط بل قصد أنه يحبب اليهم سلطة القنصلية التى كانت موضع ريب فى نظر الجميع فنزع من الشارات الفؤس وكان كلما ذهب الى الجمعية العمومية. خفض الشارات ذاتها وأحناها أمام الشعب وبذلك كان يعلن اعترافه واحترامه لسيادة الشعب ولا تزال هذه العادة جارية حتى اليوم . ولم ير الجمهور ان فالاريوس يضع بهذا الاعتدال من قدر نفسه بل اعتقد أنه أصبح بمنأى عن الحسد وانه يزيد من سلطته الشخصية بما يفقد فى الظاهر من امتيازات الحكم والواقع أن الشعب كان يخضع له راضيا مسرورا . ويقدم له الطاعة عن طيب خاطر فدعا الشعب « بوليكولا » أى محترم الشعب وصار هذا لقباً اشتهر به عن اسمه القديم وبهذا الاسم سندهوه فيما يلى من سيرة حياته . وأباح لكل انسان ان يتقدم لمقام القنصلية الخالى ولكن قبل انتخاب زميله الذى لا يدري من هو وقد يكون عن غيرة أو جهل حجر عثرة فى سبيل مشروعاته عمد الى استخدام السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها الى انجاز أجل وأفيد اغراضه بدأ بشكيلة مجلس الشيوخ الذى لم يبق من أعضائه الا قليل . فقد

ذهب الكثيرون ضحايا تاركين من قبل وسقط البعض في حومة القتال. ويقال إنه زاد على الموجود منهم مائة وأربعة وستين عضوا. ثم وضع جملة قوانين زادت في سلطة الشعب : منها القانون الذي ينقض بأن ترفع إلى الشعب الأحكام التي يصدرها القنصلان ثم قانون ينقض بالموافق على من يتولى شأنا من الشؤون العامة دون أن يعينه الشعب وجاء القانون الثالث خير عون للفقراء وهو الذي يعفي الوطنيين من كل ضريبة فتشيط ميل كل انسان إلى الفنون والصنائع ولم يكن ما سنه ضد الذين لا يطيعون القناصل أقل شهرة ولا محبة للرضا فانه جاء في مصلحة الفقراء أكثر منه لمصلحة الأغنياء . يغرم المخالف بخمسة ثيران وخروفين وثمان الخروف عشرة افلاس (جمع فلس) وثمان الثور مائة فلسا . لان النقود لم تكن كثيرة لدى الرومانيين في ذلك الوقت وكانت ثرواتهم قطعان الماشية كبيرها وصغيرها ولهذا اطلق على الثروة اسم بكيوليوم (الاموال بمعنى الماشية) أي النعاج . وان نقودهم مرسوم عليها الثور والنعجة أو الخنزير وانهم يسمون أبناءهم بهذه الاسماء .

كانت هذه القوانين مقبولة بالرضا وملاى بالاعتدال واسكنه تشدد في عقاب الجريمة شدة قاسية فقد سن قانونا يبيح قتل كل انسان ياتمر للظلم والاستبداد بدون اجراءات قانونية ويكفل عدم غياب المتهم بشرط أنه يقدم البراهين على الخيانة لانه كان يعتقد انه من المحال على من يدير امرا كهذا ان يخفى غرضه عن جميع الناس . وقد يحدث انه بالرغم من اكتشاف أمره قد يتمكن من اغتيال الحكم قبل محاكمته لذلك منح كل وطني يحول دون ذلك بقتل المجرم حكما لا يمكن اجراؤه اذا تمت المعجزة جريمته

وقد لقي قانونه عن محصل الاموال قبولا طيبا . كان الوطنيون مكافئين ان يدفعوا من أموالهم اعانات للحرب فلم يرد ان يس هو هذه الاموال أو يعهد بها إلى أصحابه ولم يرد ان يضع اموال الدولة في بيت خاص فجعل الخزانة في هيكل

ساتورن ولا يزال يستعمل بهذا الغرض وفرض الى الشعب اختيار محصلين من بين الشبان فاختار يوليوس قاتوريوس وفاركوس مينوسوس فحصل اموالا طائلة وبلغ التعداد حينذاك مائة ثلاثين الف وطفى عدا اليتامى والأرامل المعفين من الضرائب وبعد ان استوفي هذه الاجراءات اتخذ زميلا له في القنصالية ؛ لوكر يتيوس والد لكر يس . ونزل له عن المقام الأول رعاية لسنه وترك له الشارات احترام لا يزالون يقدمونه للشيخوخة . مات لوكر يتيوس فانتخب الشعب ماركوس هوراسيوس بدلا منه واستمر زميلا لبوليكولا بقية السنة

وبينما كان تاركان يعد في اتروريا حربا ثانية ضد الرومانيين حدثت على ما يقال معركة غريبة كان تاركان اثناء حكمه بنى هيكلًا لجوبيتر في الكابول ولما قارب الهيكل اتمامه رأى طاعة لوحى ألحظ ارداته ان يضع على القمة عربة من الطوب وعهد في صنعها الى فنانيين اتروسكيين من فايين . حدث بعد ذلك ان انقلبت الملكية ولما فرغ الاترسكيون من صب القوالب وضعوا الطوب في الفرن ولكن بدل انه يجف ويتجمع بما يتبخر عنه من البلولة . كما يحدث عادة تحت تأثير النار انكششت وصارت كتلة هائلة وبلغ من شدتها وصلابتها ان رفعت سقف الفرن وهدمت جدرانها ولم يتمكن الصانع من اخراجها الا بمشقة فظيعة وقال العرافون انه قال حسن وانه اشارة الى بقاء السيادة للشعب الذي بقيت له مهنة الطحن وابى الفاييون ان يسموا الى الرومانيين بناءً على طلبهم قائلين ان العربة ملك لتاركان لالذين طردوا تاركان . حدث بعد ذلك بايم انه جرى سباق عربات في فايين بما فيها من فخفة واجهة وبينما كان الفائز المتوج يسير بمركبته متمهلا يخرج من الضمار زعرت الخيل بغير سبب منظور وبقوة خفية (الهية) أو هي صدقة محضة وجهت تخطو بسرعة نحو روما تجر سائقها وعبثا حاول توقيفها بيده وسوطه فلم يسهه سوى تركها لاندفاعها فاحتملته الى أسفل الكابول فالقت به الخيل عند الباب الذي يدعوه الرومانيون اليوم (راتومين) زعر الفاييون حينذا الحادث واستولى عليهم

الرعب فسمحوا للصناع ان يسلموا عربة الطوب

نذر تاركان القديم بن دamarat في حرب مع السايين بناء هيكل لجوبيتر
الكابولي ووفى تاركان الفخيم ابنه أو حفيده ذلك النذر ولكنه لم يستطع القيام
بحفلة تكريس أو اهداء الهيكل لانه طرد قبل تمامه ولما تم البناء وهى بدوان
الجلال اظهر بوليولا غيرة شديدة للقيام بتكريسه فقام كثيرون من اعيان روما
فيما زعونه هذا الامتياز (٥) لقد احتملوا بلا حزن كبير ما اصاب بحق من المجد
لقدوانينه وانتصاراته ولم يروا له حقا في نيل هذا الشرف الجديد فاغروا هوراسيوس
ان يطالب بذلك

وقعت حرب اضطرت بوليولا الى الخروج من روما فعهد حساده إلى هو
راسيوس في القيام باهداء الهيكل واخذوه الى الكابولي لانهم يئسوا من حمله
على ذلك بحضور بوليولا ويقال ان القنصلين اقترعا فيما بينهما فاصاب بوليولا
قيادة الجيش واصاب هوراسيوس تدشين الهيكل ويمكن معرفة الحقيقة مما جرى
اثناء الحفلة • اجتمع الشعب في الكابولي في اعياد سبتيمبر التي تقع عند
استدارة قمر ماتاجيتينيون وكان الجمع في صمت عميق وبعد ان ادى هوراسيوس
الرسوم الاولى أمسك كالمعتاد باحد ابواب الهيكل وشرع يتلو الصلاة العلانية
للدشين وكان ماركوس شقيق بوليولا واقفا من زمن عند باب الهيكل ينتظر
الوقت المناسب فقال : ايها القنصل ان ابتك مات مريضاً في المعسكر : فحزن
الجميع لهذا النبأ ولكن هوراسيوس لم ينزعج له واكتفى بقوله « ارموا الجثة حيث
شئتم أما أنا فلا لبس الخداد » واستمر في صلاة التدشين وكان الخبر كذب
ابتدعه ماركوس ليمعد هوراسيوس ولكن هوراسيوس اظهر ثباتاً عجيماً قد يكون
لمعرفته خدعة ماركوس فالاريوس أو انه اعتقد الخبر صحيحاً ولكنه لم يعبأ له
وقد وقع هذا الحادث ذاته عند اهداء الهيكل الثاني ، بنى الهيكل الاول
تاركان كما تقدم القول وقام بتدشينه هوراسيوس ولكنه احرق اثناء الحرب

الالهية — أعاد سيلا بناءه ولكن كاتولوس هو الذى قام بتدشينه لان الموت حال سيلا وهذا الشرف . هدم هذا الهيكل اثناء الفتنة التى وقعت فى عهد فيثاليوس . واعاد فيسباسيوس بناءه ولم يخنه حظه أيضاً فى هذا العمل . فقد اتى ولم يشهد تخريبه فكان حظه اسعد من حظ سيلا الذى مات ولم يستطع ان يذفن الهيكل الذى بناه — مات فيسباسيوس ولم ير احتراق هيكله فى الحريق الذى اتهم الكابول كله بعد موته بقليل أما الهيكل الرابع القائم الآن فقد شيده دوميتيان ودشنه بنفسه

يقال ان تاركان انفق على تأسيس هيكله فقط أربعين الف رطل من الفضة اما الهيكل الحالى فجميع ثروة اغنى رجل فى روما لاتفى نفقات حليته فقط فقد بلغت اثني عشر الف ثالان وقد نحتت اعمدته فى محاجر بنتال وكانت عندما رأته فى اثينا اعمدة وقطار دأرتها على تناسق تام ولسكنى عندما شاهدتها فى روما وجدتهم قد اعادوا نحت الاعمدة وصقلها وبذلك اضاعوا من روعتها وتناسبها . واضاعوا من جمالها بما احدثوا فيها تزيين وما على من اراد ان يعجب بعظمة الكابول سوى أن يرى احدا رقة أو غرف قصد دوميتيان وحدها ان حماماته او مساكن محظياته تذكرنا كلمة ايشارم لذلك المسرف لست محسناً بل انت مريض والعطاء سرورك ، ويصح أيضاً أن نقول لدوميتيان : لست صالحاً ولا عظيماً . انت مصاب بمرض وهو حب البناء — تريد مثل ميداس الشهير ان كل شئ يتحول بين يديك الى ذهب ورخام » وكفى بهذا افاضة فى هذا الموضوع

أما تاركان فانه بعد الواقعة الكبرى التى هلك فيها ابنه ارونس فى قتاله مع بروتوس فقد لجأ الى كلوزيوم لدى لارس بورسينا اعظم ملوك ايطاليا ومشهور بصلاحه وكرمه فوعده المساعدة وطلب الى الرومانيين قبول تاركان واذا

رفضوا طلبه اعلن عليهم الحرب وعين اليوم الذي يهاجمهم فيه والاماكن التي سيهاجمها وسار اليهم في جيش عرمرم

عين بوبليكو لا قنصلا للمرة الثانية مع انه كان غائبا وعين معه تيتوس لوكريسيوس واستخفا فاجزأه لرد مسينا تركه يقدم اليه واشتغل ببناء سيليوريا وانفق عليها كثيرا وحصنها تحصينا منيعا وانزل فيها جالية من الرومانيين تبلغ سبعةماية رجل . اراد بذلك أن يظهر لبورسينا أنه لا يبالي بحربه وأنه يستخر منها . هاجم بورسينا سوارروما وحمل على طليعة الجيش حتى الجأها الى الفرار . اندفع الاعداء على المدينة واختلطوا بالهاربين ولكن بوبليكو لا تقدم الى الأبواب ودافع الاعداء الذين يفوقون قواته عددا وتثبت المعركة بالقرب من نهر التير واستبسل في القتال حتى سقط من جراحه الشريفة الباسلة فحملوه خارجا عن ساحة القتال . وقد جرح زميله لوكريسيوس مثله فخارت شجاعة الرومانيين ونجوا بأنفسهم مشتهين بين انحاء المدينة ، تعقبهم الاعداء الى كوبري (جسر) الخشب متأهبين لأكنتساح المدينة ولولم يقف لهم هوراسيوس كوكلس واثنان من اشراف المدينة وهما هيرماتيوس ولارتيوس فأوقفوهم عند رأس الجسر . دعى هوراسيوس ، وكوكلس لأنه فقد احدى عينيه في الحرب أولانه كان أفتس الانف بحيث لم يكن فارق بين عينيه وكان حاجباه متصلين مختلطين ببعضهما . اراد الشعب أن يدعو سيكاوب ولكن صعب عليه اللفظ فدعاه كوكلس وعرف بهذا اللقب . وقف كوكلس هذا للاعداء على رأس الجسر ودافعهم دفاع الابطال فاعق تقدمهم حتى تمكن رفاقه هدم الجسر من خلفهم ثم التقى بنفسه في نهر التير واجتازة عومامع أنه اصيب بسهم من الاترسكين في فخذه ووصل الى الشاطئ الآخر . أعجب بوبليكو لا بشهامته فطلب إلى الرومانيين ان يتبرع له كل رومانى بمبلغ يوازي نفقات قوته في يوم . وأن يقدموا له من الاراضي ما يستطيع تغليحه في يوم في دائرة يحيطها هو . ولم يكتفوا بهذا بل اقاموا

لسكركلس تمثالا من النحاس في هيكل فولسكان ، ار ادوا بهذا التكريم أن
يواسوه على بقاءه اعرج بسبب جرحه

استمر بورسينا على محاصرة المدينة وبدأ الرومانيون يشعرون بالجوع وفي
هذا الوقت كان جيش آخر من الاتريسيين يغير على الاراضى . عين بوليكولا
قنصلا للمرة الثالثة فاعتزم أن يقف من بورسينا موقف المدافع الحريص على
سلامة المدينة فلا يخاطر بالاقسام على معركة أما الاتريسيون الذين كانوا يعيشون
في القرى فقد انسل اليهم خفية وشقت ثملهم وقتل منهم خمسة آلاف رجل

لقد اختلفت الروايات عن موسيوس وسنوى أقربها الى العتل . كان رجلا
جم الفضائل مجربا في الحروب اعتزم قتل بورسينا واتخذ زى اتريسكى ونفذ الى
معسكر الاعداء وكان يعرف لغتهم . طاف بمجلس الملك ولكنه لم يكن يعرفه
بالذات وخشى أن يفتضح أمره اذا سأل عنه فاستل سيفه وقتل أحد أعوانه ظانا
أنه قتل الملك وفي الحال قبض عليه وحقق معه وكان بالقرب من المجلس نار
مشتعلة كان بورسينا ينوى تقديمها . مد موسيوس يده اليمنى الى النار فكان
لحمه يحترق وهو ينظر الى بورسينا ثابت الجأش ليهده بنظراته . أعجب بورسينا
بهذا الموقف ايما اعجاب فأطلق سراحه ومد اليه سيفه من أعلى بجاسه فتقبض
عليه موسيوس بيده اليسرى وكان هذا سبب تلقيبه بالايسر وقال مخاطباً بورسينا
أخذاً سيفه ، لقد اجتأت على تهديداتك ولكنك قهرتني برمك لذلك اعترف
لك على سبيل مقابلة الفضل بمنه بسر لم تكن الشدة لتنتزعه من صدرى . لقد
اعتزم ثلاث مائة روماني ما اعتزمته وهم الآن يجوسون خلال معسكرك يتحينون
الفرص وقد وقع الاختيار على أن أكون البادى وليس لى أن أسف لحظى أن
أخطأت رجل خير الى حرى به أن يكون صديق الرومانيين لاعدوهم . فلم يشك
بورسينا في صدق هذه الرواية وأظهر استعداداه للوفيق ورئى أن ذلك كان خوفا
منه من الثلابة المتآمرين ضده أكثر من اعجابه واحترامه لشهامة وبسالة

الرومانيين . والمعروف أن هذا البطل يدعى موسيوس شيفولا (الايسر) ولكن أتينو دور ، بن ساندون (١) قال في كتابه عن أوكتافيا أخت أغسطس أنه يدعى أيضاً أوسيجونوس (٢)

أيقن بوليكلولا أن لا خوف على روما من عداء بورسينا بمقدار ما يستفيد من صداقته ومعاهدته لذلك لم يأت بتحكيمه بين تاركان والرومانيين ولقد بسم له هذا الرأي أي أنه رأى فيه خيراً فدعا تاركان غير مرة للدفاع عن قضيته أمام بورسينا معلناً استعداد لاقناعه بأنه شر الرجال وأنه حقيق بأن يجرد من الملكية وأجاب تاركان بكبرياء أنه لا يقبل تحكيم أحد وعلى الاخص بورسينا ولو تخلى هذا عنه وحش بعده - أغضب هذا الرد بورسينا على تاركان وكان ابنه أرونس مخلصا للرومانيين قد ألح عليه في الرجاء فعرض الصلح على الرومانيين بشرط أن يعيدوا اليه الاسرى والاراضي التي أخذوها من أترييا مقابل رد الهاربين من الرومانيين . قبل هؤلاء الشرط وقدموا عشرة من أبناء العائلات الكبرى وعشرة فتيات بينهم فاليريا ابنة بوليكلولا

عقد الاتفاق وسرح بورسينا معظم جيشه ثقة بالمعاهدة وحدث ان الرومانيات بزان الى النهر للاستحمام في مكان انثنى فيه الشاطئ على شكل هلال حيث لا تيار ولا هواء يثير الامواج واذ رأى الفتيات أنهن بلا حراس ولا احد يمر بالشاطئ ولا مراكب في النهر اعترن عبوره سياحة بالرغم من عمقه وسرعة تياره ويقال أن واحدة منهن تدعى كلالي امتطت جواداً أثناء العبور وكانت تستنهض هم زميلاتها

وصلن الى الشاطئ الآخر سليبات وذهبن لملاقاة بوليكلولا ويدل أنه يعجب

١ أحد معلمى أغسطس ثم تير . وهو من طائفة الرواقيين وأنه أقل منه شهرة
٢ هذه ترجمة الكلمة اللاتينية بوسيمرس الى اليونانية وكان الواجب ان يشير فلوطار فوس الى ذلك لا ان يوهم القارىء ان الرومانيين كانوا في تلك العصور القديمة يدعون أبناءهم باسماء يونانية

من أو يبدى موافقة على عملهم أظهر استيلاء وخشى ان يتهم بأنه أقل أمانة في
الحرص على عهوده من بورسينا وان تعتبره جرأة هذه الفتيات خيانة من الرومانيين
فجمعهم واعادهم الى بورسينا .

علم تاركان يعودتهم فكمن لهم بجيش كبير العدد واذ كن تجترن النهر هاجم
الحراس ، استبسل الرومانيون في الدفاع عن أنفسهم ولكن فاليريا ابنة
يو بليوكولا دفعت جوادها بين المتقاتلين وتبعها ثلاث من الخدم ، ساروا في
رفقتها حتى معسكر بورسينا وبقي الآخرون ثابتين للقتال حتى كادوا
يتقهقرون ولكن أرونس علم بما هم فيه من خطر فطار اليهم وهزم الاعداء
وأخذ الرومانيين

ولما مثلت الفتيات أمام بورسينا استعلم عن التي بدأت وحرضت
زميلاتهما فذكر والده كلالى فنظر اليها باسما وأحضر أحد جياده الملكية مطهما
بافخر ما تقطعهم به الجياد واهداه اليها . هذا ما يزعمه الذى يدعون ان كلالى
هى وحدها التى اجتازت النهر على جواد ويقول البعض أن ملك أتريريا
أراد بذلك تكريم شجاعة الرجل ليس غير . وهناك تمثال لكلالى فى الشارع
المقدس المؤدى الى جبل بالاتان ولكنه فى نظر البعض تمثال فاليريا لا
تمثال كلالى .

ولما عقد الصالح ابدى بورسينا للرومانيين ألة ساطعة على كرمه وعظمة
نفسه . ذهب الى حد تجريمه على ضده ان لا يحملوا شيئاً سوى أسلحتهم وان
يتركوا للرومانيين جمع المؤنة والاموال التى كانت فى معسكره لذلك لا تزال
العادة حتى اليوم عند ما تباع الحكومة شيئاً يبدأ المنادى بقوله (أموال
بورسينا) وهذا شرف مقدس واعتراف خالد بكرم هذا الملك ، ولقد أقيم له غير
بعيد عن مجلس الشيوخ تمثالاً من النحاس وهو غير متقن الصنع ومن طراز قديم
حدث بعد ذلك ان السابين اغاروا مسلحين على أراضي روما وكان القنصلان

ماركوس فلاريوس شقيق بوليكلولا و بومبيوس تو بيرتوس واذ لم يكن يحدث شيء خطير هناك بدون رقابة ومشورة بوليكلولا.

احرز ماركوس انتصارين باهرين لم يفقد في الثاني احدا من رجاله وقتل ثلاث عشر الف من الاعداء . فلم يكتفوا في جزائه بمنحه شرف الانتصار بل بنوا له على حساب الخزانة العامة منزلا وفوق جبل بالاتان . ومما امتاز به هذا المنزل ان جعلت ابوابه تفتح الى الطريق لا الى الداخل كالمعتاد

اراد الشعب بهذا التميز الدلالة على رغبته في جعل المنزل اكثر سعة . ويقال ان جميع المنازل في اليونان كانت ابوابها على هذا النحو يستنتجون ذلك مما يحدث عند تمثيل الروايات حيث كان يتعين على من يريد الخروج من منزله ان يقرع الباب من الداخل وان يفتح حتى ينبه من كان خارجا فيسحب قبل ان يدفع الباب الى الطريق

عين بوليكلولا في السنة التالية قنصلا للمرة الرابعة اتحاد السابيون واللاتينيون وتوقعت روما حربا جديدة وكان قد استولى على المدينة فزع وهى ازعج الجميع ذلك ان النساء لم تكن تلد سوى اطفال مشوهين وقليل منهما من كانت تستوفى مواعدها الطبيعي . راجع بوليكلولا كتب الصوافين وقدم الضحايا تهدئة لغضب بلوتون واقام ملاعب قديمة كان قد امر بها ابولون فاعاد السرور الى روما باعادة الثقة بحماية الالهة ثم فرغ الى درء الخطر الذى يهدد الناس لان الاتحاد الذى دبر كان خفيئا وكان الاعداء يعدون له معدات جسيمة

كان بين السابينين و طنى واسع الثروة يدعى ايموس كلوديس له قوة خارجة للعادة . وهو اول رجال امته فصاحة وفضيلة لم ينج مما يصاب به العظماء فصار موضعا للحسد . اراد منع الحرب فاتخذ حشاده ذلك ذريعة لاتهامه . وادعوا انه يرسل زيادة قوة الرومانيين ليكون الحاكم المستبد في وطنه ويجعله ذليلا وكان الشعب يصغى الى هذه المفتريات فرأى ايموس انه صار موضع بغض اعداء السلام

ومحبي الحرب فخشى أنه يقدمه للمحكمة فجمع عددا كبيرا من اهله واصحابه وأثار فتنة فعطل بذلك الحرب وهدد السايين . وكان بوليكولا مطالعا على كل مايجرى بين الاعداء فكان يزيد لب الخلاف ويوقع التفرقة بينهم وارسل الى كلوزيوس من يقول له « ان بوليكولا يعرفك رجل خير واعدل من ان تضمر الانتقام من مواطنيك مهما تكن اخطاؤهم ثموك واذا اردت ان تنجو بحياتك وان تخلص من موقف الاعداء فاجعل مقامك بالقرب منه . ان روما والحكومة وكل وطني يستقبلك بما يليق بفضلك وبالعظمة الرومانية » عمل كلوزيوس الفكر في هذا الاقتراح ولم يروهو في موقفه الخرج خيرا له منه . كاشف اصحابه بالا مرفعه لواءهم ايضا على اكتساب الكثيرين غيرهم وهاجر تحت قيادة كلوزيوس خمسة الآف من رؤساء العائلات بنسائهم واولادهم وخدمهم . كل من كان بين السايين من الودعاء الراغبين في حياة السلم والعيش الهنيء ولما علم بوليكولا بمجيئهم أسرع لاستقبالهم بكل حفاوة وصورة ومنحهم جميعا حقوق الوطنين وخص كل منهم بفرسخين على طول شاطئ نهر الينو ومنح البيوس خمس وعشرين وجعله في عداد رجال مجلس الشيوخ وكان هذه أول منزلة سياسية احتلها وظهر بعد ذلك حكمة في ادارة الاعمال حتى قلدهم الاعمال واكتسب سلطة واسعة واليه ترجع اسرة كلوزيوس التي لا تنقل شيئا عن أبة اسرة في روما اسكنت هذه الهجرة ما كان بين السايين من الاضطراب ولكن دعاة التحريض لم يدعوهم هادئين فصاحوا بهم « من العار أن كلود بوس عدوكم الهارب ميال ما بيناه عليه حين كان بيننا ويمنعكم ان تثاروا لانفسكم من امانات روما . فسار الساييون من جيش كبير وعسكروا بالقرب من (فيدن) وكن منهم الغان في اما كن غائرة مكشوفة على مدى أذن من روما وانثوا ان يرسلوا صباح الغد الفوارس الى ابواب روما ومتى خرج اليهم الرومانيون تظاهروا بالتقهقر حتى يقع الاعداء في السكين . علم بوليكولا من الهاربين ما مضى وود فاستعد لكل طارئ وقسم جيشه .

أرسل بوسثوميوس صهراً في ثلاثة آلاف جندي واستولى مساءً على المرتفعات التي تطل السكّين وينظر هناك الفرصة المناسبة وانتضي لوكريسيوس زميله أبسل واشجع من في المدينة من الشبان يحمل بهم على الفرسان أما هو فيسير بباقي الجيش ليحيط بجيش السابيين

وفي مطلع فجر الغد كان الضباب مخمياً فحصى حر كان الرومانيون عن الانظار انصب بوسثوميوس في ضجة من أعلى المرتفعات على الجيش السكّين بينما كان لوكريسيوس يطارد الفرسان الرابكين في الخلال وبوبليكو لا يهاجم معسكر الأعداء . اخذ السابيون من كل جانب فتشتوا منهمزمين . لم يفكر جيش المعسكر في الدفاع عن نفسه بل ركن الى الضرار فعمل الراحة في اقضيتههم وما كان أشد خيبة آمال السابيين فيما كانوا يؤملونه من ان الدائرة لم تدر على غير ناحية من نواحيهم اذ لم يفكر جانب منهم في الثبات او القتال فكان يجري رجال المعسكر الى رجال السكّين وكان هؤلاء يجرّون الى رجال المعسكر فيبدل أن يجد كل ما جاء لم يجد الا الاقارب في حاجة مثابهم الى من يأخذ بيدهم ؛ كان من الحتم أن يهلك جميع السابيين لولا أن (فيدن) المدينة المجاورة . آوت البعض منهم لاسيا رجال المعسكر اللذين فروا منهم بعد أن استولى عليهم الرومانيون اما اللذين لم يبلغوا فيدن فقتلوا واسروا .

والرومانيون اللذين كان من عادتهم ان ينسبوا مجد النصر الى الآلهة نسبوا هذا النصر الى حكمة الصائدين وكانت أول عبارة فاد بها المقاتلون ان بوبليكو لا سلم اليهم الاعداء عرجاً عمياً مغلولي الايدي والاقدام ولم يكن عليهم سوى ذبحهم استعاض الشعب خسائره من اسلاب الاعداء وبيع الاسرى . قال بوبليكو لا اجد النصر وما كاد يسلم القنصاين المعينيين لاستلام الاعمال بعده حتى توفي بعد ان قضى حياة ملامى بما تمتع به حالتنا البشرية من جميع خيرات العالم واجاده وكان الشعب لم يقيم لبوبليكو لا في حياته بما يجب لفضله فقرّر أن تدفن جثته

انخزاة العامة واكتب كل وطنى ربع اس

وقررت النساء فيما بين قراراً شريفاً مجيداً هو أن يلبس الحداد على
بو بليكو لا سنة كاملة . وقرروا ايضاً ان يدفن في المدينة بالقرب من تل فاليا
وحفظ حق الدفن في هذا المكان لاعتقابه أبدي الدهر ولكنهم اليوم لا يدفنون
في هذا المكان احداً من امرته انما يكتبون بان يحمل اليه الجثة ويقوم احدهم
بشمع مضاء داخل القبر لحظة ثم يخرج في حفلة تشهد . بحق الميت ليبدل على
هذا الشرف وتحمل الجثة الى جهة اخرى

الموازنة

بين صولون وبوبليكولا

انه في الموازنة بين صولون وبوبليكولا اعتبار خاص لم يسبق له
 نظير فيما كتبت من الموازنات . ذلك ان احدهما كان مقادراً والاخر مشاهداً
 لمن أريد موازنته به . وأنى ملفتك الى أن معنى السعادة الذى ادلى به صولون امام
 كراسيوس . اليق بوبليكولا منها بتلوس . ان تلوس الذى وصفه صولون
 بانه اسعد رجل لانه مات ميمته مجيدة ولا أنه كان جم الفضائل ولانه ترك بعده ابناء محترمين لم
 يوصف بانه رجل خير حتى ولا في قصائد صولون . عاش ابناءه غير معروفين ولم يتول وهو
 في حياته منصبا من مناصب الحكم . اما بوبليكولا فانه بما احتاز من فضل وثقة
 صار أول الرومانيين شهرة ولا تزال في أيامنا ؟ ستائة سنة بعد وفاته أكبر اسر
 روما كآل بوبلي ولا وآل مسيلا وآل فاريوس يرجعون اليه بشرف محترم . مات
 تلوس بيد الاعداء شجاعاً ثابت القدم بين جماعة . اما بوبليكولا فقد مات بعد أن
 قضى على الاعداء شر قضاء ولا شك ان هذه اسعد حالا من السقوط تحت ضرباتهم
 مات بعد ان رأى نفسه قنصلاً ورأى وطنه منتصراً . مات بعد النصر موفور الكرامة
 والشرف . مات تلك الميمته التى كان يشتمها صولون وكان يحسبها اسنى درجات
 السعادة واليك ما ابداه صولون في جوابه الى ميمونوم (١) عن مدى الحياة « وأتمنى
 الا يكون موتى غير مجر للدموع . أتمنى ان يشيع اصحابى جنازتى بين
 الالم والحبيب . »

ان هذا التفتي هو سعادة بوبليكولا . لم يبيكه اهله واصحابه بل بكته المدينة كلها كان البكاء والاسى والحزن العميق شاملا للجميع وكأن كل امرأة من النساء الرومانيات قد فقدت ابنا أو اخا أو والدا
كان صولون يقول

« أريد الثراء ولكني لا أريده من الظلم »

لان العقاب لا بد آت . لم يغن بوبليكولا عن طريق الظلم بل كان من فضله أن أحسن استخدام امواله في مساعدة الفقراء . كان صولون أحكم الرجال وكان بوبليكولا اسعدهم . ان كل ما اشتهاه الاول كاجل وأعظم الخيرات احتازه بوبليكولا ونعم به حتى موته

محمد صولون بوبليكولا كما محمد بوبليكولا صولون بتقدمه كا كمل مثل يقتدى به مؤسس دولة شعبية

جرد السلطة الملكية من فخفتها القديمة وجعلها محسنة لطيفة للجميع . استعار كثيراً من شرائع صولون منها منح الشعب حق انتخاب الحكام ومنها حق المتهمين في رفع قضاياهم الى مجلس الشعب ، كما سن صولون شرعة الاستئناف الى بوبليكولا ولئن كان بوبليكولا لم يفتش مجلس شيوخ جديد كصولون فانه زاد القديم ما يقرب من نصف عدده وكان من شأن ما سنه لمراقبي الخزانة العمومية أن يفرغ الصالح من القناصل لئلا مال الهامة وان لا يجد الشرير في حوزته من التحكم في في الاعمال العامة والاموال العامة ما يعينه على عمل الشر

ان بغض الظالمين كان أملاك لنفس بوبليكولا . حقيقة أن صولون سن قانونا يقضى بمحاكمة من يطمح الى الاستئثار بالحكم ، ولكن بوبليكولا اباح قتله قبل المحاكمة . يفخر صولون بحق في رفضه حكومة ملكية قدمتها اليه الظروف وحمله اليها مواطنو راضين . وليس قليلا ان يتمكن بوبليكولا من أن يجلب الى الشعب ساطة تكاد تكون مستبدة ، والا يستخدم لذلك كل ماله من قوة؟ اعتدال عبر عنه صولون

بقوله عن الشعب «يطيع رؤساء بلا تدمير» - «إذا كبح جماحه دون أن يسحق تحت حمله»
ومن مفاخر صولون الخاصة الغاؤه الديون لأنه وطد حرية الوطنيين . من العبث
أن تسن شريعة المساواة إذا كانت الديون تحرم الفقراء الاستمتاع بها . ومن
العبث أن يكرهوا في الظاهر متممين بالحرية ماداموا في القضاء والوظائف العمومية
وحرية الكلام عبيدا للاغناء خاضعين لأوامر دائنيهم ولقد فعل صولون أكثر
من ذلك . من العلوم أن الغاء الديون يعقبه اضطراب وشتاق ولكن صولون
استخدم في تطبيق هذا القانون الحكمة التي تتضمنها تناول دواء خطر شديد
ويمكن من تهدئة الفتنة التي ثارت في أثينا بما لفضله من الهيبة كما يمكن من تهدئة
ما أحدثه القانون من الاعتراضات والتدمرات .

وإذا نظرنا إلى إرادتهم في جعلها وجدنا صولون أبهى مطالعا ، وأنه شق طريقة بنفسه
ولم يتقدمه أحد وأنجز بمفرده لا يعاونه أحد جميع مشروعاته حتى أكبرها . أما بوليكلولا
فكانت خاتمة أعماله أسعد شأنًا ، يمسد عليها . شهد صولون انقلاب الحكومة التي
أسسها أما ماشاده بوليكلولا فقد أقام النظام في روما إلى عهد الحرب الأهلية ذلك
أن صولون غادر أثينا بعد نشر قوانينه فتركها بلا مدافع عنها محفوظة في
اللوحات والتقوأم أما بوليكلولا فبقايمته في روما قابضا على أزمة الحكم ثبت
قوانينه وأكد بقاءها . صولون بعد جهد عظيم لزمه لتعطيل دسائس بير
يستر آس التي فضح أمرها ، انتهى إلى الرضوخ لحكومة مطلقة أما
بوليكلولا فقد تمكن من القضاء على ملكية قوية استمرت عدة قرون لم يكن
شجاعته أقل من رغبته ولا اعزازه الفضيلة ولم يخنه الحظ الذي يدعم الجمهور ولا
الهمة التي تنجز الأعمال

أما المعارك الحربية . فإذا صدقنا قول دايما كوس من بلاته (١) فإن صولون

١ مؤلف تاريخ الهند أشار إليه سترابون كمجموعة قصص خرافية كاذبة عن تلك البلاد
وهو كاتب غير معروف ولم يبق من كتاباته شيء

لم يكن قائد تلك الحملة ضد المجاريين التي روينها ولكن بوبليكولا أحرز على رأس الجيوش انتصارات باهرة وقد أودى في شخصيته . صولون بصفته رجل حكومة أشار على الاثنين ان يستردوا سلامين . لجأ في ذلك الى الحملة فادعى الجنون . اما بوبليكولا فقد جعل فاتحة أعماله مخاطرة عظيمة ، أعلن عداؤه لتاركان وفضح المؤامرة وحال دون نجاة الخائنين من العقاب ولم يكتف بطرد الظالمين من روما بل قضى على أمالهم ، ولئن كان قد واجه بهذا الحزم تلك الاعمال التي تتطلب الشجاعة والهمة ولم تكن لتستقر بدون قوة السلاح ، أظهر حكمة فائقة في الشؤون التي تقتضى اللوم السلمي والاقناع . فقد اكتسب بورسينا وهو قائد لم يقهر وعدو شديد الحظر وجعل منه صديقا للرومانيين وقد يعترض على هذا بان صولون افتتح سلامين التي أضاعها الاثينيون بينا بوبليكولا قد سلم أراضي كان الرومانيون يحتلونها ولكن يجب الحكم على حسب الظروف ، إن السيامي المحنك يعمل اعمالا متباينة في ظروف متباينة ، ويتناول الامور من حيث تكون ايسر قبولا . وكثيرا ما يضحى بالجزء لسلامة الكل ويعطى قليلا ليأخذ كثيرا . وعلى ذلك يكون بوبليكولا يتنازله عن اراضي اجنبية ضمن في ذلك اليوم صيانة جميع بلاده حين كانت اكبر سعادة في نظر الرومانيين ان يروا مدينتهم بعيدة عن الخطر ، وقد اجتلب اليهم ما عدا هذه السعادة جميع الاموال التي كانت في معسكر الحاضرين وباتخاذ عدوه حكما انتصر على خصمه وحصل مع النصر على كل ما كانت تطيب نفسه لبذله لتتم له الغلبة . لان بورسينا عقد الصلح وترك للرومانيين جميع زخائر الحرب بفضل ما أدخله الفصل على نفس بورسينا من الثقة بفضائله وعظمته نفوس الرومانيين جميعا .

تيميستوكل

وقعت أهم حوادث حياة تيميستوكل بين ٤٧٣ - ٤٦٣ ق م . كانت عائلة تيميستوكل أقل من أن يكون مدينا لها بمجده كان والد دنيوكس رجلا متوسط الحال اثينيا من مريار قرية قبيلة لنيوتيد . وكان من جهة والدته ابن زنا كما تشهد بذلك الأشعار الآتية :

أنا ابروتونوم امرأة من أمة التراقين . ولكني أنا التي ولدت ولي الفخر تيميستوكل العظيم للبلاد اليونانية (١) ولكن فانياس يقول أن والدة تيميستوكل لم تكن تراقية بل كانت كارية ويدعوها ايتروب لا ابرورنوم . ويزيد نياتيس على ذلك قوله أنها من هادليكارنس من كارية .

كان أولاد الزنا يجتمعون للرياضة البدنية في ملعب سينوزارج الواقع خارج المدينة مكرسا باسم هرقل والحقيقة أن هرقل لم يكن الها بل المعنى الصحيح إذ كانت تعلق به رغبة أبناء الزنا لانه ابن امرأة . تمكن تيميستوكل من اقناع بعض أبناء الاشراف أن يشتركوا معه في الالعاب وتمكن بهذه الحيلة الماهرة من الغاء الفارق بين أبناء الزنا والوطنيين الحقيقيين . ومن المحقق أنه يفتسب الى أسرة ليكوميد لانه لما هدم هيكل ليكوميد في « فيلي » بعد أن اضرم البرابرة فيه النار أعاد تيميستوكل بناءه وحلاه بالصور ، هذه رواية سيمونييد . يقول الكتاب أنه أظهر منذ طفوله طبيعة حادة وعقلا عادلا وميلا طبيعيا للأعمال العظيمة . واستعداد رجل حكومي (سياسي) لم ير في أوقات الراحة والفراغ التي تسمح له بها دروسه الاولى لاعبا ولا عاطلا شأن أمثاله من الاطفال كان يقضيها مفكرا أو منشئا خطبا للاتهام أو الدفاع عن رفاقه . قال له اعتاذم

١ هذه من أشعار امفيكرات عن مشاهير الرجال ذكرها اثنه ١٣ - صحيفة ٥

غير مرة : لن تكون يا بني رجلاً وسطاً ستكون متطرفاً إما في الخير أو في الشر !!

لم يكن يعنى بالعلوم التي تعرفنا آداب المعاشرة أو الفنون الجميلة أو رياضة الاجسام عناية كبيرة ولكنه كان يبذل جهداً فوق طاقته لتقوية ذوقه الطبيعي واستعداده للامعال العامة لانه كان يحسن ما انطوت عليه نفسه . وكان يجيب على سخرية الساخرين به من أولئك المتقدمين عنه في تلك الشؤون التي يدعوها حرة مستوحشين اخلاقه بكلمات ملؤها الانفة والاباء « حقيقة اني لأحسن الايقاع على المزهر (العود) ولا الالاعاب الجناستيكية ولكن أعطوني قرية صغيرة نكره وأنا أجعل منها مدينة شهيرة عظيمة »

ويؤكد سترنبروث (١) أن تيميستوكل تأدب على أناجزا كور وكان تلميذاً للعالم الطبيعي مالميسيوس . ولكن هذا خطأ تاريخي لأن مالميسيوس دافع عن ساموس ضد بريكليس وقد جاء هذا بعد ذلك بزمان طويل . وكان أناجزا كور صديقاً لبريكليس وعليه تكون الأولى هو الاخذ بقول القائلين كان أشد المنحمرين لمنزيفيل ومنزيفيل هذا لم يكن خطيباً ولا فيلسوفاً من يدعوهم علماء طبيعة (٢) ولكنه كان ممن يعلمون الحكمة وهي في عرفهم صناعة الحكم وتدبير الاعمال العامة وكان منزيفيل وريث شيعه فلسفيه ترجع الى عهد صولون وتشرع تعاليمه . اضيف الى هذه التعاليم فن الجدل ثم عدل الاساتذة عن الاعمال الى الخطب الكلامية وأطلق عليهم اسم السوقطائن أما تيميستوكل فكان عند التحاقه بمنزيفيل قد اشترك في ادارة أعمال الحكومة.

كان لأول عهد شبابه قلماً غير ثابت مستلهما لجماحه الطبيعي لا يرده

١ ولد في تاسوس ومعاصر بريكليس

٢ كانوا يطلقون هذا المصطلح على فلاسفة المدرسة اليونانية مثل تاسوس وأناجزا وأندرو ومالميسيوس

العقل ولا التريية يلقي نفسه في تطرفات متباينة وغالبا يختار شرها اعترف
بذلك فيما بعد بقوله « أن أشد مهر جماحا يصير خير جواد متى كبح جماحه
وروض » وقد بالغوا في ذلك اذ قالوا أن والده حرمه ميراثه وان والدته لما أعيها
الاله من حياة ابنها الخجلة انتحرت . ولكن هذا على ما أرى محض انتراء
ويؤكد البعض على العكس من ذلك أن والده أراد أن يحوله عن الاعمال
العامة فراه يوما على الشاطئ قوارب هشيمة مهمة ، وقال . « هذا ما يعمل
الشعب بالخطباء حتى صاروا عديمي النفع »

ومهما يكن من الامر فان تيمستوكل كان قد وضع يده على الاعمال العمومية
وعمل فيها بحمية تحدوه رغبة شديدة للمجد متطلعا الى المقام الأول متصديا كبار
رجال المدينة وثقاتها وكان اشد عنادا ومقاومة لار يستيد بن ليزيما كوس معارضة
الدائم المستمر ويزعمون ان البغضاء نشأت بينهما لاسباب حقيرة ولو صدق
الفيلسوف اريهتون (١) كان سبب العداء ان كلاهما احب ستاذيلاوس الجميل
(من تاوس) ومن هذه المنافسة بدأ خلافهما السياسي . ولكني اعتقد أن
سبب هذا الجفاء يرجع الى ما كان بينهما من تفاوت في الاخلاق والسلوك .
كان اريستيد دمث الاخلاق حميد السيرة لم يقصد من اعماله السياسية لارضى
الشعب ولا مجد نفسه بل ما اعتقده لأفضل والاكثر ملاءمة للطمأنينة والعدل
لذلك كان يرى نفسه مضطرا لمقاومة تيمستوكل ومعارضة في اعلاء شأن رجل
لايفتا يحرض الشعب ومشروعات جديدة وبدأ على تغيير كل شيء في
الحكومة . والحقيقة أنه بلغ من شغف تيمستوكل بالمجد وشهرته الشديدة
لسكل ما يكسبه الحمد انه بعد موقعة ماراتون التي انتصر فيها الانيون على البربر
وسماعه الناس يطرون حملات امتياد لزم الصمت والتفكير والعزلة ولم يغمض له

١ اريستون خيوس تميز بنوت الزاهد الرواق ولكنه تلميذ قليل الامانة قضى حياته مستمتعا
بالملاذ على نقبض خلفه

واجتنب الولائم العمومية العادية . ولما دهش الناس وسألوه في ذلك . قال ان
اكاليل ملتياد لا تسمح لي ان أنام . كان الاثينيون يحسبون هزيمة البربر في ماراتون
خاتمة الحرب ولكنهم لم تكن في نظر تيمستوكل سوى فاتحة لمعارك كبرى وأخذ
يستعد لهذه المعارك التي رآها عن بعد ، لحماية اليونانيين جميعاً وجهاز اثينا بكل
الوسائل . وكان أول ماسعى له انه اجترأ ان يقترح وحده على الاثينيين أن
يخصصوا موارد المناجم الفضة في لوردوم التي اعتادوا تقسيمها بينهم لبناء سفن
الحرب ايح . وكانت هذه حينذاك مشكلة يونان الكبرى . وكان الايجيون
يملاؤن البحر بسفنهم .

هذه هي الحجة التي تدرع بها تيمستوكل لتحقيق غرضه لا الخوف من
داريوس والفرس الذي كان بعيدا جدا وغير متوقع . ولقد عرف لاسالة الاثينيين
إلى هذا الاستعداد ان يثير فيهم عوامل الغيرة والبغض ضد الايجيين . فبنوا
بأموال المناجم مئة غينة قتلت كزرسيس ايضا وأخذ من ذلك الوقت يستهوى
اثينا للشؤون البحرية ويطبعهم على الميل اليها ومن اقواله « اننا على البر لا نستطيع
أن نقاوم حتى جيراننا ولكننا على البحر نستطيع أن نقهر البربر ونسيطر على
جميع اليونان » فحون بذلك كما قال أفلاطون جيشا بریا عظيما إلى بحارة وبنوتية
وكان عرضه للوم القائلين لقد انتزع من الاثينيين الرمح والدرع ليقعد بهم إلى
المقاعد والمجازيف وقال ستازيمروت أن تيمستوكل وصل الى هذه الغاية بالرغم
من ملتياد القبي لم يتمكن من تغلب المعارضه

هل أفسد التغيير او لم يفسد كمال حكومة اثينا وحلفائها . ! هذه فلسفة
أكبر من تعالج هنا ولكن المؤكد هو أن اليونان مدينة بسلامتها للبحر وأن
هذه السفن اعادت بناء اثينا التي كانت قد تهدمت . والبراهين على ذلك كثيرة
منها سلوك كزرسيس . بعد هزيمة عمارته وقبل أن يهزم جيشه اذولى الأدبار .
معلنا انه لا يقوى على القتال ولئن كان قد ترك ماردنيوس في اليونان فنالك على

ما اعتقد لي منع اليونانيين اقتناء اثره لايخضعهم

من الياس من يمثل تيمستوكل كرجل يطلب المال بجميع الوسائل ليسد نفقاته لانه كان مولعا بتقديم الضحايا وحسن ضيافة الغرباء وعليه تكون نفقاته جسيمة

من الناس من يعكس هذا القول فيتهمونه بالبخل والشح حتى انه ليميع ما يقدم اليه من الهدايا وانه طلب من فيليدس مروض الخيل مبراً ابان عليه فهدده بان يجعل من بيته . حصان خشب جديد (١) اراد لذلك أن يثير في منزل فيليدس الشجار العائلي والقضايا الاهلية

لم يبعد احد في مطعمه مثل تيمستوكل . تمكره وهو في أوائل حياته مجهولا بفضل الحاجة على ابيكاس الهرميوني العواد (الضارب على المزهر) الذي اغرم به الاثينيون أن يعطى دروسه في منزله ليكون مقصودا مزدحما . وحدث مرة انه اراد أن يتفوق في الالعب الاولمبية على سيمون بفخامة مائدته وخيامه وفخامة ثيابه وهندام حاشيته وكان المنظر أن يسمح بهذا لسيمون وهو شاب من أكبر أسرائينا ؛ أما أن يجراء تيمستوكل وهو رجل حديث العهد أن يتجاوز قدر نفسه فلا ؛ وقع ذلك في نظر اليونانيين موقع التبجح والسخرية . وحدث مرة أنه تعهد عند تمثيل أحد الروايات أن يقوم بنفقات فرقة الملحنين للشاعر المتفوق . وكان ذلك مثار التنافس والاهواء واثبت تيمستوكل هذا النصر بلوحة أودعها احدى الهياكل مكتوب عليها . « قام تيمستوكل الفرياري بنفقات فرقة الملحنين وكان فرينيكوس مدير التمثيل واديمانت الحاكم »

ولنقل أن تيمستوكل كان محبوبا من الجميع سواء كن ذلك لعنايته بتحية كل وطني باسمه مذ يراه أو كن ذلك لعدله في الحكم فيما يقدم اليه من التضايا عند توليه القضاء : طلب اليه يوما سيمو نيدس السيوسي طلبا غير عادل فقال له .

١ اشارة الى الحصان الخشب الذي كان سببا في خراب الطرواديين (الاياذه)

لا تكون شاعراً مجيداً إذا افسدت اغانيك القياس ، ولا اكون حكماً عدلاً إذا أبحت امراً ضد القوانين» وقال له يوماً مازحاً ، أنك مجنون لذك الكورنثيين الذين يسكنون مدينة عظيمة وأن تصور نفسك وانت شنيع الوجه «واخيراً عندما عظمت شوكرته ورسخت ثقته من نفوس الشعب انشأ حزبا ضد اريستيد ونفاه بالاقتراع السرى وعندما عرف خبر سير الفرس ضد اليونان اجتمع الاثينيون لانتخاب قائد امتنع جميع القواد الذين يستحقون القيادة فزعين من هول الخطر ولكن ابيسيد بن افيميدس وحده وهو خطيب بالبيع الا أنه ضعيف القلب غير طاهر اليد تقدم مزاحماً لتيميستوكل . وكان في وسعه أن يجمع الاصوات على انتخابه غير ان تيميستوكل الذي تبين طباع يونان إذا تولى قيادها رجل كهذا اشترى بالمال تمازل ابيسيد وقد امتد حوا ايضاً ملسكه مع مترجم السفراء الذي ارسله الملك ليطلب من اليونانيين الارض والماء . أمر فقبض عليه واستصدر من الشعب حكماً بقتله لجراته على استخدام اللغة اليونانية في التعبير عن أوامر بربرى ولم يكن استحسانهم لعمله هذا أكثر من استحسانهم لقسوته على ارثيموس لزبلى . وقد حكم على ارثيموس هذا بالخيانة هو وعائلته وجميع ذريته لانه حمل الى يونان ذهب الفرس ولكن خير اعمال تيميستوكل هو اطفاء نار الحرب الا-اخلية في يونان وتوفيقه بين المدن واقناعها بالعدول عن العدوات الخصوصية أمام العدو المشترك وهذا مشروع عاونه عليه خيلاوس الاركايدى بجميع قواه

ما تولى تيميستوكل القيادة حتى جهد لحل الاثنيين على ركوب السفن ومغادرة المدينة الى البحر والسير الى ابعـد ما يكون عن البلاد اليونانية ملاقة البربر . لقي هذا الرأي معارضة من الكثيرين فقاد تيميستوكل مع السبارطين جيشاً عرمرما الى وديان طيبة للدفاع عن تساليا التي لم يكونوا يعرفون بعد انها انحازت الى الفرس غادروا المسكان دون أن يقوموا بعمل ؛ ولما انضم التساليون الى الملك سلمت البلاد معهم للبربر وعندئذ أخذ الاثينيون بنصيحة تيميستوكل وفكر لحمله البحرية .

وارسلوا القائد باسطول الى اوتيوزيوم للدفع عن البوغاز

أراد اليونانيون الاخر أن يقدوا القيادة أريبياد والبارطين وأبي الاثينيون ذلك بحجة أن لهم وحدهم من السفن أكثر مما لجميع اليونانيين كلهم . ولكن تيميستوكل أحسن خطورة هذه الدعوى فتنازل من تلقاء نفسه عن القيادة لاريبياد واطف من حدة الاثينين بوعدهم اذا هم استبسلوا في هذه الحرب جعل اليونانيين كلهم تحت أمرتهم بهذا أصبحت اليونان كلها مدينة بسلامتها لتيميستوكل وأصبح الاثينيون أنفسهم مدينين له بمجدهم في الانتصار لبسالتهم والحلفاء بحسن سيرهم وأعمالهم وعندما القت أساطيل البربر مراسيها أمام « أفث » فزع أريبياد لكثرة عددها واعلمه أنها مائت سفينة أخرى تطوف حول جزيرة سياتوس أراد الاسراع بالعودة الى داخل البلاد اليونانية وان يلزم شواطئ بيلوبونيز حتى يكون جيش ابر قادرا أن يعاون جيش البحر موقنا أنه من المستحيل أن يقاوم قوات الملك البحرية خشى الاويبيون أن تتركهم اليونيون فارسلوا الى تيميستوكل خفية أحد عشر بالاجون يحمل اليه مبلغا جسيما من المال . قبله تيميستوكل وأعطاه لاريبياد ، لوصدق قول هيروروت . ولكن الاثينيين قاوموا تيميستوكل لان ارخيتالس ربان السفينة المقدس هو الذي لم يكن لديه من المال ما يدفعه للبحارة . أهاج تيميستوكل النوتية ضد ارخيتالس وكانوا مستائين منه فهجموا عليه واختطفوا عشاءه . أحفظت الالهانة ارخيتالس وطفق يشكو ، أرسل اليه تيميستوكل خبزا ولحما في سلة أودعها تالان من الفضة مع أمره بان يتعشى هادئا وأن يسترضى في الغد البحارة وإلا اتهم أمام الاثينين بأنه أخذ من العدو مالا هذه حكاية فانياس الابي

لم تكن المعارك التي نشبت عند البوغاز حاسمة ولم تعد على اليونانيين بفائدة كبيرة بل كانت مواقع امتحنوا فيها قواهم وتعلموا من القتال ذاته أن عدد السفن وأمتعتها ونظامها زيفتها وصيحات الازدراء والاناشيد البربرية لم تكن لتخيف رجالا أشداء مستبسلين وما عليهم سوى أن يحرقوا هذه المظاهر وأن يواجهوا العدو

وأن يحيطوا به وأن يشدوا عليه ليقعوا به . هذا ما فهمه بندار عند قوله عن موقعة ارتيميزيوم .

« إن أبناء أثينا وضعوا أساس الحرية أنفخهم » والحقيقة أن الجرأة طليعة النصر .

ارتيميزيوم لسان من جزيرة أوبه يمتد الى الشمال فوق استيلو أمامها اليزون في البلاد التي كان يحكمها فيلوكتيت . ويوجد على هذا اللسان هيكل باسم ديانة المشهورة « بالشرقية » محاط بالخشب ترين مدخله بوابة من حجر أبيض اذا دلك باليد تصاعدت منه وتكون بلونها . مكتوب على أحد أعمدته الاشعار الآتية .
ألف أمة أتت من ممالك آسيا : وأبناء أثينا ، على هذه البحار .
أفنا عماراتها ولما هلك جيش الفرس . أقاموا هذه الاكاليل للعدراء ديانة .
ولا يزال هناك مكان ممتزج فيه الرمال برمال أسود كأنه مر بالنار في دائرة فسيحة ؛ يعتقدون أن من بقايا السفن والجثث التي أحرقت هناك

ولما نمت من ارتيميزيوم أنباء الترومويل وعلم موت ليونيداس وأن كسيرسيس امتلك ناصية المداخل البرية ، عادوا الى داخلية يونان ، سد الاثينيون السبيل تملأ نفوسهم كبرياء النصر الذي أحرزوه وأخذتيميستوكل يحازي الشواطئ حيث كان يعتقد أن العدو لابد آت بسفنه يستعيد قواه كان يكتب بحروف كبيرة سواء على ما يجده من الاحجار أو ما يقيمه عمداً في الاماكن المطروقة التي تصلح للإيواء والرقابة حوجها كتابته الى اليونانيين « تعالوا لاستطعتم انضموا الى أبنائكم الذين يعرضون صدورهم للدفاع عن حريتهم وأن لم تستطيعوا فشدوا على الأقل أثناء القتال على جيوش البربر والقوا بينها الاضطراب » أراد بذلك أن يجتذب اليونانيين الى مناخرة اليونانيين أو يرهبهم ليجعلهم موضع ريبة في نظر البربر .

على أن كيرسيس نفذ من الدوريد العليا الى فوسيد وأخذ يحرق ويخرب مدن القوسيديين دون أن يتقدم اليونان لمساعدتهم . بالرغم من الحاح الاثينيين

في الرجاء اليهم أن يقاوموا العدو في بيوتيا ويحموا الاتيك كما فعلوا بحرا في
الارتيروز يوم بالدفاع المشترك . ولكن لم يسمع اليهم أحد : لم يفكر اليونانيون
الاخر الا في البلوتونيز أرادوا أن يجمعوا في البرزخ جميع قوى يونان وأن يسدوا
البرزخ من بحر لاخر أغضبت هذه الخيانة الاثينيين وادخلت الى نفوسهم الحزن
والخور ولم يكن في وسعهم أن يفكروا في أن يقوموا وحدهم بمحاربة آلاف من
الاعداء ولم يبق لهم سوى أن يغادروا أثينا ويركبوا السفن ولكن الشعب لم يقبل ذلك
معتقدين ان لا اقل في النصر ولا سبيل للسلامة اذا تركوا هياكل الآلهة وقيود
الاباء . ولكن تيمستوكل وقد يئس من اقناع الشعب بالمعقولات عمد الى
احداث المعجزات وانطلق الوحي كما يعمدون في التمثيل (الردائي) الى الآلات .
والمعجزات التي افترضها هي اختفاء تين مترقا ، الذي لم يرتك الايلم في بيت
المقدس . ووجد الكهنة التقدّمات اليوم سليمة فاذا عوا ، بناء على اشارة من
تيمستوكل ، ان الآلهة غادرت المدينة وارتمهم طريق البحر . واستشهد بالوحي
قائل ان الجدران الخشب التي تكلم عنها ليست سوى السفن ، لقد منح الآلهة
مدينة سلامين لقب . الآلهة ، لا التعبة ولا المشؤمة لانه سيجعلها احدي مواقع
اليونان الجليلة ،

واخيرا تغلب رأيه فاصدر أمرا ان يدع الاثينيون المدينة تحت حماية ميهم نرفا
حاميتهم وان ينزل كل رجل قادر على حمل السلاح الى السفن ، وان يعد كل
انسان مافي طاقته لحماية امراته واولاده وعبيده ، صودق على هذا الامر ، وارسل
اكثر الاثينيين أهلبهم ونساءهم الى ترازين حيث استقبلوا بالخفاوة والاكرام
وقرر الترازيون اطعامهم على حساب الخزانة العامة وعينوا لكل فرد فلسين
يومييا واباحوا للاطفال اقتطاف ماشاؤا من الانمار ، وقاموا بنفقات وكان
هذا القرار من حسنات نيكاجوراس . كانت خزانة اثينا فارغة ،
ويقول أرسطو ان المجلس الاعلى قرر لكل جندي ثمانى دراهمات وانه صاحب

الفضل في تمام اعداد السفن وتجهيزها بالسلاح، ولكن كليداموس يقول أن حيلة تيميستوكل هي التي أوجدت المال، ذلك أنه عند ما نزل الاثينيون الى بيره وجد ستار تمثال مينرفا ضائعاً فاخذ تيميستوكل يفتش كل مكان بحجة البحث عنه فمثر بمقادير وافرة من المال خبأه الاهالي بين أسراب القطعان. وضعت هذه الاموال تحت تصرف الحكومة فتمكن الجنود من الحصول على المؤونة اللازمة وأخيراً ظفت المدينة فوق الامواج. ملك هذا المشهد عل الاهالي مشاعرهم وأعجبوا بجرأة أولئك الرجال الذين بعثوا بأهلهم الى مدينة غريبة وساروا الى سلامين لم تأخذهم هزة حزن ولا ندت عيونهم لبكاء نسايتهم ووداعهن. ولكن الذي تثير عواطف الخنان أكثر من هذا هو منظر أولئك الشيوخ الذين لم تسمح لهم شيخوختهم بالسفر، يضاف الى هذا الشعور المؤلم، حنين الحيوانات اداجنة التي كانت تجري على الشاطئ هنا وهناك وهي تعوى عواء محزناً تستصرخ باصحابها. وما روى أن كلب كساتيب والد بريكليس أبى مفارقة سيده، رمى بنفسه في البحر، وسبح بالقرب من مركبه حتى سلامين حيث نفق من التعب ولا يزال حتى الآن هناك « قبر الكلب » الذي يقال أنه دفن فيه.

هذه أعمال تيميستوكل المجيد لم يقف بها عند هذا الحد؛ لحظ ان الوطنيين آسفون لابعاد اريستيد وانهم يخشون ان يدفعه الحقد للانضمام الى البربر ويفسد على اليونانيين أعمالهم. وكان حزب تيميستوكل قد نفاه بالاقتراع السرى قبل الحرب، فقد مشرعاً يبيح للمنفين العودة والاشترك قولاً وعملًا مع الوطنيين فيما يعود على البلاد بالفائدة والسلام.

كانت سبارطة لتفوقها على جميع مدن يونان؛ قد عينت اريبياد رئيساً أعظم للاسطول ولكنه كان رجلاً جبان القلب أمام الخطر. أراد ان يقلع ويسير باسطوله الى البرزخ حيث اجتمع جيش بوبوكنز البري. عارضه تيميستوكل، ولهذه المناسبة بقيت أجوبته محفوظة. قال اريبياد، باتيميستوكل، لانهم يصنعون

في الالعب الاولمبية ، من يرحلون قبل اعطاء الاشارة .) فاجاب تيميستوكل ؛
 (حقيقة ، واسكنهم يتوجون) . رفع اريبياد عصاه كمن يريد ان يضرب . فقال
 تيميستوكل « اضرب ولكن اسمع » اخذ اريبياد بهذا التواضع فدعا للكلام .
 اخذ تيميستوكل يجتذبه الى رايه . ولكن احدهم اعترضه بقوله . (لا يحق لرجل
 لامدينة له ان ينصح لاصحاب المدن ان يتركوها وان يخونوا وطنهم . فعاجله
 تيميستوكل بقوله « أيها الشقي ، لئن كنا قد تركنا منازلنا وجدرانها فلانا لم نرد
 ان نكون ارقاء حيا في اشياء لاحياة لها ، على اننا لانزال لنا أكبر مدن يونان
 وهي هذه المئتا سفينة ، المعدة اذا شئتم ، لمساعدتكم على النجاة . اما اذا سافرتم
 وختمتم عهدنا للمرة الثانية فدوف تسمعون يونان قائلة : ان الاثنين يملكون
 مدينة حرة . يملكون بلدا لاقتل جمالا عن التي فتدوها . » فرع اريبياد من
 العزلة التي يتركه فيها انسحاب الاثنين . اراد أحد الاثريين الكلام ضد
 تيميستوكل فعاجله هذا بقوله ! « ماذا اتسكلمون انتم الآخرون عن الحرب وانتم
 مثل « التيتيد » (١) . سيف ولا قلب

بينما كان تيميستوكل يلتقي عباراته هذه وهو واقف فوق مقدمة سفينة ظهرت
 « بومة » وطارت الى يمين العارة ووقفت على اعلى الصاري . اجمع هذا الضال
 اليونانيين على رأى تيميستوكل وقرروا الحرب بحرا . ولكن عندما ظهرت اساطيل
 العدو على سواحل اتيكا بالقرب من ميناء فلير . وملأت الشواطىء المجاورة ، ونزل
 الملك شخصا الى البحر ، ونشر جيشه على مرأى من الجماعة ، حينئذ احبت
 اقوال تيميستوكل من عقول اليونانيين وصول السبارطيون انظارهم ثانية نحو البرزخ .
 ولم يقبلوا سماع حديث في غير هذا المعنى . وتقرر الرحيل تلك الليلة واعطيت
 أوامر السفر للنوتية .

(١) التيتيد . نوع من السمك من فصيلة المواليسك . ولكن ما يقال عن تركيبه خطأ
 اذ له جميع أعضاء السمك . مع فوارق تجعل له طبائعه خاصة ؛

رأى تيميستوكل مع الالم الشديد ان اليونانيين بتفرقهم كل الى مدينته
يضعون الغائدة العظمى التي تمنعهم اياها طبيعة المسكان وهذا الممر الضيق .
نجاء الى الحيلة وكان سيسمينوس عدته في ذلك كان سيسمينوس هذا اسير حرب
فرسى الاصل ، وصديق تيميستوكل ومربي اطفاله . اوفده سراً الى ملك الفرس
وامره ان يخبر الملك ان تيميستوكل قائد الاثنيين مخلص لمصالح الملك ، وهو يخبره
ان اليونانيين اعزموه الفرار . وانه ينصح لك الا تدعهم يغفلون ، فينتهز فرصة
الاضطراب الذي اوقعهم فيه غياب جيوشهم البرية لمهاجرتهم والقضاء على قواتهم
البحرية . طاب كزرسيس فرحاً بهذا الخبر ولم يرفيه سوى دليل على اخلاص
تيميستوكل اسرع باصدار امره الى ضباط السفن الكبرى بالاقلاع والمهاجمة .
بينما تعبأ السفن الباقية على مهل . وان تقوم مائتي سفينة في الحال للاستيلاء
على الممرات ، ومحاصرة الجزر حتى لا يفلت احدهم من الاعداء .

كان اريستيد بن ليزيما كوس اول من لمح هذه الحركة فأنسرع الى خيمة
تيميستوكل ، لم يكن صديقه بل هو الذي نجاه كما تقدم الثول . خرج تيميستوكل للقاءه فقال
له : لقد حوضرنا . كان تيميستوكل يعرف اماتته وقد سر بعودته ، ففضى اليه بما
فعله بواسطة سيسمينوس ، ورجا اليه ان يستبقى اليونانيين وان يعمل من بماله
من المنزلة لديهم لحملهم على القتال في المضيق . اثني اريستيد على تيميستوكل
ثم قابل القواد ورجال السفن وحثهم على القتال واذ كانوا في ديب من وجود
منفذ ، انضمت مركب من تانادوس بقيادة باتاتيوس الى اليونانيين واكد لهم
اخطر اضطرتهم سورة الغضب والضرورة الى خوض غمار القتال .

كان كزرسيس في صباح الغد عند فجر النهار جالساً على مرتفع يرقب حركات
المركة يقول فانوديم (١) ان ذلك المرتفع هو قمة هيكل هرقل ، باقرب من اضيق مكان

(١) كان معاصراً لتيميستوكل ، مؤلف كتاب تاريخ اتيكا وهو غير معروف كثيراً

في القناة يفصل جزيرة سلامين من أتيكا . ولكن اسميستوتور (١) يزعم أن كان على حدود ميغاريد . على المرتفعات التي تعرف بالقرن . كان كزسيس جالسا على عرش ذهبي وإلى جانبه جماعة من الكتّاب يشنون حوادث القتال .

بينما كان تيممستوكل يقدم الضحية على سفينة القيادة جرى إليه بثلاثة فتيان كاجمل ما يكون في بزة فخمة زينهم حلّ ذهبية ؛ قيل أنهم أبناء أوتاركتوس وساندوسه اخت الملك ، فما رآهم العراف أوفرنديد حتى سطع من الضحايا لهب متلالي ورن صوت عطسة من جهة اليمين . أخذ العراف بيد تيممستوكل وطلب إليه أن يقدم الفتيان ضحية لباخوس أو مستيس ، يقدمهم ذبايح زاعما أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لسلامة اليونانيين وانتصارهم . جمد الدم في عروق تيممستوكل لطلب العراف لما فيه من قسوة وحشية . ولكن الجمهور جرى على عادته عند المخاطر يعتمد في سلامته على غرائب الاوهام أكثر من حقائق العقل . أخذ الجمهور يضرم لاله وقاد الاسرى الى المذبح ملحا في وجوب اجراء الضحية على ما أمر العراف . هذا ما رواه ثانياس اللسبوسى ، فيلسوف وعالم من علماء التاريخ القديم . أما عدد سفن البربر فقد قال عنها الشارع أشيل (٢) في رواية الفرس « بصفته شاهد عيان » معتمداً على معلومات وثيقة .

أنا الضمين بأن جملة ما كان لا كزسيس الف سفينة . عدا مراكبه الصغيرة التي تبلغ مائتي وسع مراكب . هذه هي الحقيقة . وكان للاتينيين مائة وثمانون سفينة على كل منها ثمانية عشر جنديا يقاتلون من أعلى جسرهما . منهم أربعة رماة نشاب والآخر من المشاة المدججين بالسلاح . ولم يكن تيممستوكل أقل مهارة في اختيار ساعة القتال منه في اختيار المكان . أبى أن يبدأ القتال الا بعد هبوب ريح قوية في البحر تثير الامواج في البوغاز ، ولم يكن هذا يعطل

١ لم يعرف عنه سوى أنه مؤلف مبرت في الشؤون الخرافية للمدن

٢ حضر أشيل موقعه سلامين

شيئا من نشاط السفن اليونانية التي كانت مسطحة وقليلة الارتفاع . أما سفن البربر التي كانت عالية المقدم مرتفعة الجسر ، ثقيلة الحركة تدور بجهد عظيم فكانت هدفا لسهام اليونانيين ؛

حمل هؤلاء على الاعداء حملة صادقة منفذين بدقة أوامر تيميستوكل والقواد يعلمون حق العلم ما يجب عمله .

ركب اريامين اميرال كزرسيس وهو جندي باسل وشجاع وهو اعدل اخوه الملك ، سفينة ارسل منها السهام وابلا . يرمى بها من فوق جدار مصوبة الى الجهة التي بقاتل فيها تيميستوكل . اندفع امينياس الدبيلي وسوزيكاس البيدي عليه بعنف حتى اصطدم مقدما السفينة النحاسيين وتلاصقا . قفز ارياحين الى السفينة الاثينية فتلقاء الجنديان وقتلاه بالاسفة ، وقدفا به البحر . بصر ارياميس بجثته طافية بين الاشياء فنقلها الى كزرسيس

قيل أنه بينما كان القتال على هذه الحال سطح نور باهر من جهة البريس وامتلا السهل من اريازى الى البحر باصوات مضطربة كأنها أصوات جماعات عديدة من الرجال تقود فرقة باكوس الخفية وخيل الى الاوهام رؤية سحب من الغبار تثيرها سير هذه الجماعات المائجة ترفع رويدا رويدا الى الهواء ثم تنحدر ساقطة على السفن . ويقول البعض أنهم رأوا صور رجال مسلحة تتراى تمدايديهم من جهة جزيرة « أجين » الى سفن اليونانيين . والمظنون أن هؤلاء هم « الاياسد » الذين استغاثوا بهم قبل القتال

كان ليكوميدي الاثيني وهو رئيس سفينة أول من استولى على سفينة من سفن الاعداء فجردها من اعلامها وجعلها مقدمة لابلون وافثفور . كانت سفن اليونانيين مساوية لسفن البربر في ساحة القتال نظرا لضيق البوغاز حيث كن هؤلاء مضطرين أن يقدموا سفنهم بالتوالي فيعطل بعضها بعضا . استمر القتال حاميا طول النهار حتى ارخى الليل سدوله فاضطر الفرس الهرب وتم النصر كقول سيمومند

في اجل واجحد معركة خاصتها اليونانيون والبربر بفضل شجاعة الجنود وحكمة ومهارة تيميستوكل .

اراد كزرسيس بعد هذه الموقعة أن يعاود الكرة بالرغم من هزيمته وقصد الى سيد البوغاز لنقل جيشه البرى الى سلامين ويهاجم اليونانيين فاقترح تيميستوكل قصدا اختبار اريستيد ان يذهبوا الى هاسيون ويقطعوا جسر السفن قائلا « ان هذه هي الطريقة الوحيدة لجعل اسيا في اوروبا » لم يرق هذا الاقتراح لارستيد وقال ! انا الى اليوم لم نقاوم سوى بربر انهمكهم الترف . ولكننا اذا احتدناهم في يونان وقضى الخوف والضرورة الى محاربة رجل يقود جيوشا عديدة فانه لا يتعد حينذاك على محضة ذهبية يشاهد القتال مطمئنا بل يجرأ على كل شيء ويحمل الخطر الى كل مكان فيسترد ما خسره عملا بنصائح أوفر حكمة . فقال تيميستوكل اذا علمنا بدل أن تقطع جسر السفن أن نقيم في وجههم جسراً آخر لنطرد العدو بأسرع ما يمكن من اوروبا . اذا كنت ترى هذا صوابا فلنسرع بتبادل الآراء معا ولندير خطة ننقذ بها يونان من وجود دباسع ما يمكن » اخذ بهذا الرأي ثم أوفد تيميستوكل خصي كزرسيس ، ارناس كان أسيراً ، الى الملك ، يحمل اليه الرسالة الآتية .

ان اليونانيين بعد انتصارهم في البحر يستعدون الرحيل الى هاسيون ليقطعوا جسر السفن الذي أقاموه وأن تيميستوكل قلق على سلامة الملك لينصح له بسرعة العودة الى البحار الخاضعة لسلطانه ويعود الى أسيا وأن تيميستوكل من جهته سيجد المعاذير ليهين الخلفاء ويؤخر مطاردتهم له . استولى الرعب على ملك البربر عند سماعه هذا الخبر واندهب بسرعة اثني ماردنيوس على حكمة تيميستوكل وأرست كان اليونانيون في خطر محقق في بلاتا على أنهم لم يحاربوا سوى جانب صغير من جيش كزرسيس

قال هيرودورت أن أجين تفوقت على جميع المدن في هذا اليوم العصيب

ولكن اليونانيين بالاجماع خصوا تيممستوكل بالمقام الاول بين الشجعان ولكن مع شيء من الاسف لانهم كانوا يمسدونه على مجده . والواقع أنه عند ما عاد الزعماء الى البرزخ وقدموا اليه امام المذبح واعلنوا اختيارهم ، نسب كل منهم المقام الاول لنفسه والثاني لتيممستوكل أما السبارطيون فاتهم قاروه الى سبارطة وقدموا الى ارييناد جائزة المجد والى تيممستوكل غصن زيتون جائزة الحكمة واهدوا اليه اجل مركبة في المدينة وعند سفره سار معه ثلاثمائة شاب اجالا للمقامة حتى الحدود . ويقال ايضا إنه في الايام الاولى للامبيادة التالية ظهر تيممستوكل في الساحة فسيت النظارة المتصارعين وحولوا انظارهم طول النهار محدقين به مشيرين للاجانب عليه هاتفين له هتاف الاعجاب مصفقين ملء ايديهم وقد اعترف تيممستوكل في هذه الحفاوة المنعشة لاحد أصحابه ، ان هذا جزاء وفاق لكل ما احتملته من الآلام في سبيل يونان

ان شغفه بالمجد كان بالغاً أقصى حد كما يتبين لنا من الاحاديث المروية عنه عند ما انتخبه الاثينيون قائداً للعبارة امتنع عن انجاز ما كان يرسل اليه من قضايا الناس والحكومة لوقتها يؤجلها الى يوم سفره حتى يرى الناس ما يفتخر به . قضايا عديدة مخاطبا صنفوا من الناس عديدة فيكبر شأنه في نظرهم ويعظم خطره بينهم وحدث مرة أنه كان يسير فوق الشاطئ فرأى جنثا طافية فوق البحر مما تحمله الامواج وفي معاصم وعنق أكثرها أساور وبخناق من الذهب فاستمر في سيره ولكنه قال لاحد أصحابه مشيراً الى هذه المصوغات « اذهب وخذها لك لانك لست تيممستوكل » كان انتيفاتس شاب جميل شبح بأنفه على تيممستوكل ولكنه مذراً قد بلغ من الشهرة ما بلغ أخذ يتقرب اليه بلا انقطاع ، فقال له تيممستوكل لقد صرنا يا صديقي عقلاء في آن واحد ولكن بعد فوات الفرصة « (متأخرين) وقال عن نفسه « إن الاثينيين لا يضمرون له احتراماً ولا اعجاباً واسكنهم يستخدمونه كما

يستخدمون شجرة وارثة الظلال يأوون اليها عند هبوب العاصفة ومتى انتقضت
 احدوا يقطعون أوراقها ويهصرون أغصانها . قال له « سيرفي » « لست صانع
 شهر تلك بل اصطنعها لك ووطنك » فقال تيميستوكل « اصببت ولكنى ما كنت
 لاعرف المجد لو أنى ولدت في سيريف ولا أنت لو أنك ولدت في ائينا » كان
 احد الزعماء بحسب نفسه ادى الى الجمهورية خدما جلييلة ويقارن اعماله باعمال
 تيميستوكل فاجابه « تخاصم يوم العيد مع أمه ، شكا هذا انه لايجد راحة وأنه
 ينقضى بين الشاغل على انهم لا يعملون يوم العيد شيئا تمتعا بما جمعوا في الايام
 الاخر . فاجابه يوم العيد لك الحق ولكن لولم أكن أنا لما كنت انت . » ثم
 قال تيميستوكل وأنا إذا لم أكن فأين كنتم تكونون الآن كان ابن تيميستوكل
 يسىء استخدام عطف والدته ويستعملها للتحكم في والده فقال تيميستوكل مازحا
 أن ابنه ، اقدر جميع اليونانيين « والحقيقة أن الاثينيين يتحكمون في جميع
 اليونانيين وأنا تحكم في اليونانيين ووالدته تتحكم في وهو يتحكم فيها » كان
 يصطنع الاغراب في جميع شونه عرض ارضا للبيع وقال في المناذاة عليها « سيكون
 للمشتري فوق هذه الصفقة جار طيب . » تقدم طالبان لخطوبة ابنه ففضل
 الرجل الصالح على الفنى قائلا « أريد صهرا يكون رجلا في حاجة الى ثروة لا ثروة
 في حاجة الى رجل » هذه كلمات تيميستوكل والمأثورة

بعد أن فرغ تيميستوكل من الاعمال الجلييلة التي اتينا على شرحها اسرع الى
 العناية باعادة بناء ائينا وتحصينها وقد تغلب على معارضة النواب بالمال . هذه
 رواية تيوبونب ولكن الخبر المأثور هو انه استعمل الحيلة . سافر الى سبارطة
 بصفة سفير ولما كان السبارطون يشكون من تحصين ائينا اعتمادا على شهادة بوليارك
 الذى أوفده الاجينيون خصيصا لاتهام الاثينيين . أنكر تيميستوكل الواقع وطلب
 ارسال أناس الى ائينا ليتجشوا الامر . لم يرد بذلك سوى كسب الوقت لنهاية
 بقاء الجدران واعطاء الاثينيين رهائن عن نفسه في شخص الموفدين . ثم افترض

بذلك وادرك السبارطيون الحقيقة فكظمو واغيظهم وتركوه يسافر دون أن
يمس بأذى »

ثم أخذ في تحصين بيرة ، لانه ادرك ميزة هذا البناء ، وبذلك استمال الشعب
الاثيني الى البحر . سار في ذلك على سياسة مناقضة لسياسة ملوك اثينا
الاقدمين . يقال ان هؤلاء أذاعوا لابعاد الوطنين عن التجارة البحرية والعدول
بهم عن الملامة الى الزراعة ، الخرافة القديمة المنطوية على نزاع قام بين نبتون
ومنيح عن السيادة اتيكا فقدمت منيرفا للقضاة الزيتون المقدس فكسبت القضية
لم يلحق تيممستوكل بيرة بالمدينة كما زعم اريستوفان المرحن بل الحق المدينة
ببيرة والارض بالبحر . وبهذا العمل قوى الشعب ضد الاشراف وملاءة ثقة
بنفسه بأن جعل السلطة بين ايدي البحارة والنوتية والمقذفين . ومن ذلك حول
الطفاه الثلاثون فيما بعد منبر بنكس الذي كان يطل على البحر الى جهة البر .
لفظهم أن القوة البحرية تولد الديموقراطية في حين أن حكومة « الجماعة » تجدد
مقاومة قليلة من الفلاحين .

فكر تيممستوكل لمصلحة البحرية في مشروع غريب . كان الاسطول اليوناني
بعد هزيمة كزرسيس راسيا في باجاز حيث يقضى الشتاء . قال للاثينيين في
جلسة عمومية أن لديه مشروع يعود عليهم بتنفيذه بالفائدة والسلامة ولكنه
لا يستطيع أن يقضى به الى الجمهور فامرهم الاثينيون أن يبلغه الى اريستيد فاذا
وافقه عليه قام بتنفيذه . قال تيممستوكل لارستيد أنه يفكر في احراق عمارة
اليونانيين . فعاد اريستيد الى الجمعية قائلاً إن المشروع الذي يفكر تيممستوكل في
تنفيذه من اجل المشاريع فائدة ولكنه في الوقت ذاته من اشدها ظالما . فامرهم
بالعدول عنه . اقترح السبارطيون على مجلس الانفكتيون (المجلس الدولي اليوناني)
اخراج المدن التي لم تشارك في التحالف ضد الفرس من الانفكتيون ولكن

تيممستوكل خشى أنه إذا ابعث التساليون الادجيون والطيبيون من المجلس علا نفوذ السبارطين وصاروا اصحاب الكلمة في الانتخابات واستأثروا بالامر فدافع عن هذه المدن واستحال الى رأيه قائلا «لم يشترك في الحرب سوى واحدة وثلاثين مدينة واكثرها بلا خطر . فمن البلاء إذا ابعثنا بقية المدن اليونانية وأن تستأثر مدينتان أو ثلاثة من المدن الكبرى بالسيادة في المجلس الدولي صار تيممستوكل من هذا الحين غرضا لاساءات السبارطين . رفعوا سيموره الى اعلى منصب ليعادل ساطة تيممستوكل في الحكومة .

وقد اجتلب تيممستوكل على نفسه بغض الخلفاء بسعيه في الجزر بجمع الضرائب وحدث لو صدق هيرودوت . عند ما طالب اهالي اندروس بالأموال مايتأتى ؛ قال تيممستوكل « حضرت و بين يدي الاهتان . الاقناع والقوه . فاجابوه ونحن ايضا لدينا الاهتان عظيمتان . وهما الفقر والحاجة يمنعاهم اعطائه شيئا وقد وجه الشاعر توكريون الروضى في إحدى قصائده الى تيممستوكل قذعا مؤثرا . يتهمة بانه استدعى المنفيين رغبة في المال . ومن اجل المال تركه هو وهو صديقه وضيفه » اطرى إذ شئت يوزانياس ؛ اطرى كرايت . اطرى ليوتيشيد . أما أنا فاني اطرى اريستيد افضل واكرم رجل انجبته ائينا المقدسة . اما تيممستوكل ، ذلك الكذاب ، ذلك الظالم ، ذلك الخائن . أن لا نوره يبغضه : وهو مضيعف تيموكر يون افسده المال الحقير ، واني أن يرد تيموكر يون الى لاليسوس وطنه .

نعم من أجل ثلاثه طالانات من الفضة نشر ذلك النذل القلوع ؛ لرد هؤلاء ظالما ونفى اولئك وقضى بالمولت على آخرين ، واخيرا شبع من المال وفي البرزخ قدم الموائد ولكن باس شيخ حقير . قدم لحوما بارده ؛ فسكان الناس يأكلون وهم يتمنون الا يرى تيممستوكل ربيعا آخر . استرسل تيموكر يون في عداائه لتيممستوكل ورماه بقوارص الهجاء ولم يبق عليه

في نشيد نظمه بعد نفيه جعل مطلعها مايتى : —

ياعدارى امنحى هذا الغناء الشهرة التى يستحقها من اليونانيين والتى تجب عليك له .

يقال ان تيموكر يون نفى لانضمامه الى الفرس وان تيميستوكل ايد الحكم ولذلك عند ما وقعت على تيميستوكل التهمة ذاتها قال فيه تيموكر يون الاشعار الآتية .
لم يكن تيموكر يون وحده هو الذى فاض الفرس :

يوجد خونة اخرون ! ولست الاعرج وحدى هناك ثعالب أخرى التى الوطنيون السمع لهذه الوشيات حسداً منهم لجره بحيث ان تيميستوكل التى نفسه مضطرا لاغضابهم اكثر فاكثر بتكراره فى المجتمعات العمومية ذكرى خدماته واعماله فاذا شعر بتذمرهم قال . فاذا ! املون قبول الحسنات ذاتها من الاشخاص ذاتهم ؟ » ولم يكن بناء هيكل لا للالهة ديانة اريستوييل اقل اغارا للصدور . اراد بهذه التسمية الاشارة بانه قدم الى اثينا خير النصايح . بنى هذا الهيكل بالقرب من منزله فى حي « ماليت » حيث ترى اليوم الجلادين يرمون جبال التعذيب واثاب المحنوقين والقتلى والحبال التى استخدمت فى تنفيذ القتل . وكان يوجد فى زمنى فى هيكل ديانة اريستوييل تمثال صغير لتيميستوكل . ويرى من هذه الصورة انه لم يكن لتيميستوكل نفس بطل فقط بل وكانت له ملاحه . واخيرا لجأ الاثينيون ليتماصوا من هذه السيطرة التى رأوها فوق الحد الى الحكم بنفيه بالاقتراع السرى وهو نوع من النفى القوه للقضاء على من يخشون سطوتهم ولا تدخل فى حدود المساواة الديمقراطية . لان الاقتراع السرى لم يكن عقابا بل ارضاء للحسد وتخفيفا من حدته ومن هذا الحسد ان يحط من قوله الذين تنقل عليهم رفعتهم ويرى فى اذلالهم سبيلا للترويح عن بغضهم

كان تيميستوكل يقيم فى ارجوس بعد نفيه من اثينا اذ ظهرت خيانه بوزنياس فاتخذته اعداؤه ذريعة لاتهامه . اتهمه ليوبوت بن الكيمون من قرية اجرول بالخيانة .

وعضد السبارطيون التهمة . واثن كان بوزنياس صديق تيميستوكل الا انه اخفى عنه في اول الامر سر الخيانة التي كان يدبرها . ولسكنه لما رآه قد جرد من سلطته وانه يتدبر من نفية اجترأ على افشاء سره اليه فلجأ عليه في الانضمام الى المشروع اطاعه على رسائل الملك واثار حقه ضد اليونانيين بتهمة باخث والظوم ونسكان الجليل . رفض تيميستوكل اقتراح بوزنياس واثي الاشتراك فيه بآية حال . ولكنه كتم سر المؤامرة ولم يفض به الى احدا مالا ان يعدل بوزنياس من نفسه عن هذا المشروع الجنوني الخطر الذي لأمل في نجاحه . أو انه يفشى الامر بطريقة أخرى . وبعد أن نفذ حكم الموت في بوزنياس كما هو معروف وجدت في منزله رسائل ومكاتبات توقع تهمة الاشتراك على تيميستوكل ، ثار السبارطيون ضده وأقام أعداؤه الاثينيون عليه دعوى الاتهام وهو غائب . وكان يدافع نفسه برسائل يبرئ نفسه من وشايات أعدائه وما كتبه « لقد كنت أسعى للسيادة دائما لاني لم أولد لا كون عبداً . ولم أود قط أن أكون عبداً فكيف يظن بي أني أسعى لالقي بنفس وبجميع يونان بين ايدي أعداء ، بين أيدي بربر ؟ ولكن الشعب الذي امتلكه المدعون أرفد أناسا الى أرجوين للقبض عليه ، ويحضروا به الى أثينا لحاكمته أمام مجلس من اليونانيين . أحس تيميستوكل هذه النتيجة فسار الى كورير وهي مدينة سبق له الاحسان اليها ، عين حكما في خلاف بين أهلها وبين الكورنتيين ففض الخلاف بالحكم على الكورنتيين بغرامة قدرها عشرون طالانا وجعل لو كاد ملكا مشتركا بين كورير وكورنت لانها مستعمرة المدينتين .

هرب من هناك الى بيره ولما كان السبارطيون والاثينيون يتعقبونه اعتزم عزما خطرا وهو الالتجاء الى « أدميت » ملك المولوس . وكان أدميت هذا فيما مضى طلب أمرا ما من الاثينيين وكان تيميستوكل صاحب الحكمة العليا نخذه شر خذلان . ولم يكن من ريب في انه ينتقم لنفسه منه متى سنحت الفرصة . غير أن تيميستوكل في منفاه كان أكثر خوفا من حقد مواطنيه الجديد ، منه خوفا

من غداء الملك القديم لذلك أثار أن يلقى بنفسه بين يدي أدمت تقدم الى الملك ضارعا متوسلا ولكن باسلوب غريب خاص بالبلاد . أخذ بين يديه ابن الملك وهو طفل وتراعى على أقدامه أمام الموقد وهذه هي الضراعة المقدسة في نظر المولوسين التي لايجوز رفضها . ويقول البعض أن التي أوحى اليه هذه الطريقة هي « فتيا » زوجة الملك وانما هي التي أوقفته بذاتها أمام الموقد وابنها بين يديه . ويقول البعض ان أدمت نفسه هو الذي فكر في هذه الضراعة ليجد لنفسه عذرا أمام واجب مقدس يمنعه ان يسلم تيميستوكل الى مضطهديه لاجئا الى هذه اللعبة المسرحية .

وقد بعث ايبكرات الاشرافى اليه بامراته وأولاده عند أدمت بعد أن أخرجهم خفية من أثينا . قدم سيمون من أجل ذلك ايبكرات الى المحاكمة وقضى عليه بالموت . هذا مارواه ستاذمبروت ولا ندرى كيف أنه نسي ما قاله . أو انساه تيميستوكل وهو القائل أن ايبكرات أبحر الى (صقلية) وهناك طلب من الطاغية هيارون ابنته زوجة ولأبى عليه هيارون ذلك أبحر الى آسيا . على أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، ان هيارون بشهادة تيوفرات في كتابه عن الملكية أرسل خيلا الى أولمبيا لتزاحم في كسب جائزة الجرى . وأقام لها مظلة كأفخم ما يكون فاقترح تيميستوكل على جمعية اليونانيين أن ينزعوا مظلة الطاغية وان يمنعوا خيله دخول ميدان السباق .

ويقول توسيديد ان تيميستوكل أبحر الى بيدنا ليصل الى البحر الاخر . ولم يكن في السفينة أحد يعرف انه تيميستوكل الى ان هبت عاصفة قذفت السفينة الى ناكسوس وكان الاثينيون يحاصرونها . فاضطره الخطر المحقق به الى اعلان نفسه للربان والنوتى وأخذها بالرحاء والتهديد ثم قال لهما انه يتهمهما أمام الاثينيين انهما قبلاه في سفينتهما لاعلى جبل منهما بل طمعا في المال . وانتهى الى أعفال أمره والاتجاه الى آسيا . أما أمواله فقد أرسل اليه أصحابه بجانب كبير منها مما

تمكنوا من اخفائه . وكل ما اكتشف منها نقل الى الخزانة العمومية ويقدره ثيوبونوب بمائة تالان أما ثيوفراست فانه يقدره بثمانين تالانا . على أن ما كان تملكه تيميستوكل عند تولية الاعمال العمومية لم يكن يزيد عن ثلاثة تالانات .

وعند ما وصل الى « سيبا » لمح على الشاطئ اناسا قد رصدوا للقبض عليه لاسيما ارجوتاليس وبيثودور : والحقيقة انه كان غنيمة عظيمة لمن يعتقدون أن كل الطارق صالحة للفناء وكان ملك الفرس أعان أن يعطى من يسلمه اليه مائتي تالان فهرب الى أجيس وهي مدينة صغيرة من أبولى لا يعرفها فيها أحد سوى مضيقة نيكوجين أكبر الالهالى ثروة وأعلاهم قدراً لدى عطاء الفرس . بقي مختفيا هناك أياما الا انه في ليلة هذا العشاء الذى تلته تقدمه . نهض البيوس مربى أولاد نيكوجين والتقى لحاجة بالهام وبلهجة وحى ، البيت التالى بصوت عال .

« أمنح الليل صوتاً ؛ أمنحه النصح والنصر »

ذهب تيميستوكل لينام فظهر له فى الحلم تنين التف حول بطنه وطوق عنقه . وما لمس التنين وجهه حتى انقلب نسياً نشر أجنحته فوق تيميستوكل ثم حمله مسافة طويلة والتقى به على مركب ذهبية ظهرت لحاجة فأحس تيميستوكل قسمة ثابتة ونفسه ناجية من خطر جسيم أرسله نيكوجين الى الملك واليك الطريقة التى لجأ اليها ليجعله فى مأمن . ان المرأة لدى جميع الامم الشرقية ولا سيما الفرس موضع غيرة وحشية قاسية . لا الزوجات فقط بل والرقيق المشتري والمحظيات . لذلك يحرصون علىهن كل الحرص بحيث لا يستطيع أجنبي ان يراهن . فى المنازل يغلق علىهن الابواب بالاقفال . وفى السفر يحمان فى مظال محكمة ، وفى احدى هذه المظال أرسل نيكوجين ، خيفة تيميستوكل . وكان الحراس يجيبون كل سائل ؛ انها امرأة يونانية ؛ احضروها من يونيا لكبير من أصحاب الملك .

يقول توسيديد وشادون ؛ ولا ميساك (١) أن تيميستوكل لم يصل الى الفرس إلا بعد وفاة كزرسيديس وانه قدم نفسه الى ابن كزرسيديس ، ولكن أفود (٢) ودينون (٣) وكتب تارك (٤) وهيراكليد وغيرهم يؤكدون أنه ظهر أمام كزرسيديس نفسه ، على أن رأى الاول أدبي مطابقة لجداول التاريخ وان كان قليل الدقة ولما رأى تيميستوكل نفسه في موقف حرج ، خاطب ارتابان رئيس الالف قائلاً أنه يوناني الجنس وانه يريد محادثة الملك في شأن على جانب كبير من الحظورة وان الملك نفسه يتشوق لرؤيته فاجابه ارتابان قائلاً أيها الاجنبي ان شرائع الناس ليست واحدة في كل مكان ، الجميل في غير جميل في نظر الآخرين فمن الحسن واللائق بكل انسان أن يحترم ويؤدى شرائع البلاد . يقال إنكم تحترمون الحرية والمساواة فوق كل شيء . أما نحن فان أجمل شريعة عندنا من بين شرايعنا الجميلة ، هي التي تأمرنا باحترام الملك ، وأن نعبد فيه صورة الاله الذي يحمي كل شيء . فاذا أردت أن تخضع لعاداتنا وتعبده فلك كالمنا أن تراه وتحادثه . وان لم تكن على استعداد لذلك فلن تستطيع مخاطبته الا بوسيط . لان العادة في بلاد الفرس ألا يقابل أحد الملك ما لم يقدم اليه واجب العادة . . أجاب تيميستوكل على ملاحظات ارتابان بقوله « لقد أتيت بأرتابان لأزيد في مجد وسيادة الملك . نعم اطيع شرائعكم بما أن هذه إرادة الاله الذي رفع العرش الى هذا المقام السامي ، على أن الملك سيزى بمساعدتي ازدياد عدد عبادته ؛ وعليه لا يكون هناك ما يمنع ما أريد من محادثته . » قال ارتابان ، بلأى اسم أقدمك ، لاني أرى عواطفك فوق

١ مؤرخ سابق لعهد هيرودوت . عرف بمؤلف التاريخ الفرس .

٢ من كوم في أليد . وضع تاريخ يونان . وهو بعد هيرودوت وتوسيديد ، من

كبار المؤرخين

٣ معاصر الاسكندر ، ومؤلف تاريخ الفرس لا يعرف الا قليلا

٤ ابن دينون وهو أيضا غير معروف

العادة . . فاجابه تيميستوكل . أما اسمي فلان يعرفه يارتابان ، أحد قبل الملك .
هذه رواية فانياس ، يضيف اليها اراتوستين في كتابه عن « الثروة » ان
امراة ارترية . محظية ارتابان هي التي أوصت تيميستوكل الى خليلها
ودبرت المقاتلة بينهما .

ولما أدخل إلى الملك سجده ووقف صامتا الى أن صدر الامر لترجم
أن يسأله من هو . سأل المترجم فاجاب تيميستوكل ، أنا أيها الملك تيميستوكل
الاثيني نفاني وأضطهذي اليونانيون فجئت أبحت عن ملجأ لديك لقد
أذيت الفرس ولكنني أحسنت اليهم أيضاً بمنع اليونان من تعقبهم واذ
نجت اليونان وأصبحت بلادى بعيدة عن الخطر صار في وسعي أن أقدم
اليك خدمة . ان عواطفى اليوم طبق حظى وقد جئت اما لقبول احسانك
إذا كان بغضك قد زال أو لتحويله اذا كان باقيا ، ان اعدائى يشهدون لديك
بالخدم التي قدمتها الى الفرس . لتكن نكبتى فرصة لاطهار فضلك أكثر منها
لاظهار تقمكت . تخير بين أن تنقذ حياة رجل جاء اليك متوسلا وبين أن
تقضى على عدو صريح لليونانيين » لم يقف تيميستوكل عن هذا الخطاب
بل ذكر الأوامر الالهية وروى حكاية الرؤيا التي شهدتها في منزل فيكوجين
ووحى جوبتير دورون فقد أمرنى الاله أن الجأ الى الامير الذي يعمل انما
كاسمه ولا يمكن أن يكون سواك لان جوبتير وأنت وجدكما اللذان تدعوان ملكين
لم يجب الملك تيميستوكل بشئ وبقي مأخوذا بعظمة نفسه وجراته ولكن
كان بين أصحابه بهنى نفسه بهذا الحادث كأنه أكبر نعمة يصل اليها
ورجا الى أريمان أن يبعث دائما بين أعدائه مثل هذه الافكار وبمحلمهم
على نفي الغلاء من بينهم ويقال انه قدم للالهة مقدمة وأقام وليمة وبلغ من
شدة فرحه سمع يصيح ثلاث مرات وهو قائم .

« عندى تيميستوكل الاثيني »

في الغد عند مطلع الفجر دعا أصحابه واحضر تيميستوكل ولم يكن هذا يتوقع خيراً منذ رأى رجال البلاط وعلم أنهم عرفوا اسمه فتجهروا له وقابلوه بالاهانة والزراية يضاف الى ذلك أن روكسان رئيس الف من الجنود جابهه وهو مار أمامه في حين كان الملك على عرشه والقوم في سكوت عميق جابهه بقوله همسا « ان حظ الملك هو الذي أتى بك الى هنا يا أفعى يونان الخبيثة » ولكنه عند ما ظهر أمام الملك وسجد له ثافية حياه الملك وقال له بلطف « أتى مدين لك بمئتي تالان بما أنك أنت الذي قدمت نفسك الى هنا فمن العدل أن تنال المكافأة التي وعدت بها من يحضر الى » ثم وعده باكثر من ذلك وطمئن خاطره ودعاه للاعتراف صراحة عن رأيه مهما يكن في شؤون يونان فاجاب تيميستوكل أن البيال كالبساط المنقوش لا بد من نشره لاطهار صورده اما اذا بقي مطويا اختفت نقوشه وضاع تناسبها . استحسّن الملك التشبيه وأذن له بما أراد من وقت . طلب تيميستوكل سنة اخذ في اثنائها بدراسة اللغة الفارسية ليتمكن من مخاطبة الملك مباشرة بدون حاجة إلى ترجمان .

توهم القوم ان تيميستوكل لا يكلمه ألا في شرن اليونان ولكن التغيرات التي احدثها الملك في حاشيته والسخط الذي انزله ببعضهم جعل تيميستوكل موضع بغض جمع الكبراء لاقناعهم انه اجتراً على التصريح للملك بما يعتقد فيهم والحقيقة ان كل ما كانوا يحبظون به الاجانب من التكريم لا يذكر بجانب ما ناله بتيميستوكل . كان يصحب الملك في جميع رحلاته للنقص وفي جميع مراحله الداخلية وقد قدمه الملك إلى الملكة والدته فقبلته في صداقتها ثم صدر أمر الملك بتعايمه علوم المجوس . وحدث أن الملك طلب من دامارات السبارطي أن يتمنى عليه . فطلب منه أن يأذن له بالتنزه على جواد في السارد وعلى رأسه عقال الملوك الفرس فقمض مسترويسينس بن عم الملك على يده وقال له « ان ذلك العقال يادامارات لا يجد في رأسك مخا يفطيه : لو قبضت بيدك على الصاعقة

لما صرت جونبير « غضب الملك لهذا الطلب وأغلظ لدامارات القول بحيث لم يكن هناك رجاء في تهدئة ثائرة . ولكن تيميستوكل توسط له فتمكن من مصالحتها . لذلك جرت عادة الفرس بعد ذلك كلما ارادوا استجلاب يوناني أن يعنده بأن سوف يلتقي مالم يلقه تيميستوكل من الاجلال والتعظيم ويقال انه وهو في نعيمه هذا هو موضع حفاوة الجميع قال يوما لأولاده وقد رأى المائدة امامه على افخهم ما يكون « يا ابناي كئنا ضعنا لولم نكن ضعنا » ويكاد جميع الكتاب يجمعون على أن الملك . حة ثلاث مدن « لخبزه وخمره ولحمه » : وهي ماينزيا ، ولا ميساك وميونت ولكن نياتيس السيزيكي (١) وفانياس يضيفان اليها مدينتين آخرين وهما بركوث بالسبسي تحصصان للرياشن والشباب .

واذ كان يوما ذلا الى سواحل الامبراطورية البحرية لشؤون يونانية كن له فارس يدعى ايمكيس كاهن فرجيا العليا وأرصد له أناسا يقتلونه ليلا حين يجتاز مدينة ليونتوسيفال (رأس الأسد) ولكن والدة الآلهة ظهرت له وهونام في قبولة الظهر وقالت له احذر يا تيميستوكل (رأس الاسد) لثلا تقع في مخالب الأسد وأريد منك جزاء هذا التحذير أن تهب ابنتك « منسيتولما لخدمتي » نهض تيميستوكل وقدم صلاته للالهة وعدل عن الطريق اجتنابا لذلك المكان المشؤم ولم يقف حتى اسدل الليل ستاره . بسقط احد الحيوانات التي كانت تحمل خيمته في النهر فنشر الخدم الأبسة لتجف فرأها الكامنون) فأسرعوا اليها مشهرا سيوفهم غير متينين على ضوء القمر واهمين انها أبسط انها خيمة تيميستوكل وظنوه نائما فيها . دنوا منها ورفعوا البساط ولكن رجال تيميستوكل الذين كانوا كامنين لهم انقضوا عليهم وقبضوا عليهم . واذا نجا تيميستوكل هذا الحظ اقام اعترافا بفضل الآلهة هيكللا في ماينزي باسم واندين وجعل ابنته منسيتولما كاهنة له وبينما هو يمر بالسارد استخدم فرصة فراغة لزيارة الهياكل وكلاها فخم جليل وفحص

التقدمات التي تقدم فيها . رأى في هيكل والدة الآلهة ، الفتاة المعروفة باسم
(هيدر وفور) وهذا اسم تمثال نحاسي يبلغ طوله زراعين وهو الذي اقامه ايام كان
وكيلا لهياه في اثينا ينفق عليه مما كان يجمع من الغرامات التي كان يحكم بها على
الذين يحولون مياه المجارى العامة إلى مجارى خصوصيه وكان قدسها في احد الهياكل
فلا تدري ماذا حال بنفسه هل نلّم لرؤية تقدمه في هذا الاسر أو اراد أن يرى
الاثينيين ما يتمتع به من ثقة في اراضى الملك لذلك خاطب ليديا في امر هذا
التمثال وطلب اليه الأذن بإرساله الى اثينا اغضب البربرى هذا الطلب وقال له
انه سيكتب للملك عنه . فزع تيممستوكل واستمال محظيات الحاكم فهدأ غضبه
ولكنه كان درساً لتيممستوكل تعلم منه التزام الخذر من غير البر بل ذلك لم يزر ممالك
آسيا الاخر بالرغم من أقوال تيوبونب وأقام في مانيزيا بجنى ثمار خيرات الملك
ويتمتع بما يتمتع به الكبراء من الأكرام فعاش هناك زمناً طويلاً ناعم البال
لان الملك لم يفكر في المسائل اليونان لاشتغاله بشؤون اقاليم المملكة العليا

ولكن ثورة مصر التي كان اليونان يقصدونها . وتقدم وفود العمارة اليونانية التي تقدمت
حتى بلغت قبرص وكليكييا وأخيراً تمكن سيمون من اخضاع لجميع جوانب البحر
لفتت نظره الى اليونان وعول على مقاومة اغراضهم ومنعهم من أن يقبوا ضده
سارت الجذود وأسهرت القواد كل الى معسكره وأسرع البريد الى مانيزيا
يحمل الى تيممستوكل باسم الملك الامر بان يتولى قيادة الحملة العامة ضد
اليونانيين برأ بوعده ولكن تيممستوكل لم يجد في قلبه أثراً كبيراً للحقد على
مواطنيه ولم يرفى الجحد والسيادة التي يقدمها اليه النصر ما يجعله على الحرب
وقد يكون ذلك لاعتقاده ان النصر محال لان يونان كانت حينذاك غنية
بالقواد العظام بينهم سيمون الذي كان التوفيق ملازماً له في جميع أعماله على
أن العامل الذي أوقفه هو خجله من أن يلحق الخزي والعار بما نال من جحد
وما كسب من أكاليل الفخر لذلك اعتزم ذلك العزم المجيد وهو أن يختم حياته

بنتهاية حقيقة به . قدم ضحية للالهة وجمع أصدقائه وودعهم الوداع الاخير .
 شرب على رواية البعض دماء ثورة وعلى رواية الآخرين زعاقومات في
 مانيزيا بالغاً من العمر خمسة وستين عاماً بعد حياة قضاها في ادارة الاعمال
 العمومية وقيادة الجيوش ويقال أن اعجاب الملك ازداد عند ما علم سبب وكيفية
 موته واستمر احسانه إلى أسرته وأصدقائه . خلف تيممستوكل ثلاثة
 أبناء من أرشيب بنت ليزاندر من قرية الويليس وهم : ارشيبتوليس ،
 بولمكت وكوفانت

وقد ذكر افلاطون الفيلسوف كايوفانت كان مروضاً ماهراً ولكنه لا يستحق
 الذكر ؛ ورزق قبل هؤلاء اثنان آخران فيوكاس . الذي مات وهو طفل من عضه
 حصان وديوكلس الذي تبناه جده ليزاندر ورزق أيضاً جملة بنات منسبتوليا من
 زوجة ثانية تزوجت من ارشيتوليس اختها من ام أخرى ، وايطاليا زوجة بانتيديم من شيو ،
 سيبارس زوجة نيكومد اثيني ؛ نيكوماشة التي بعد موت والدها زوجها أختها من
 قرازجلس ابن أخ تيممستوكل جاء من اثينا الى مانيزيا وعنده تربت صغرى
 الاخوات وهي ازيا ، اداسيا

ولا يزال يشاهد في مانيزيا في الطريق العام قبر تيممستوكل الفخم ولا يجب
 أن نصدق ما رواه اندوسيد (١) في خطبة لاصحابه حيث ادعى أن الاثنين
 نبشوا رفاتهما وذرهما في الهواء فما هو الا كذب اريد به اثارة الاشراف ضد الشعب
 وقد عمد فيلارك في تاريخه الى حيلة مسرحية تحريكاً للشفقة واثارة للقلوب فأوجد
 شخصين لا يعلم لهما وجود دعاها فيوكليس وديتوبوليس جعلها ابناء تيممستوكل
 وماها سوى ابني خياله كما يبدو ظاهراً للعيان
 ويرغم ديودور البريجيني في مؤلفه عن المقابر ظناً لا حقيقة أنه يوجد في البيرة

عند العودة من منعرج السيموس لسان أرض على شكل مرفق تراه في طول حول
هذه النقطة حيث البحر هادىء قاعدة فسيحة فوقها قبر تيممستوكل على شكل
هيكلي ويستشهد لذلك بقول افلاطون المهرج في أشعاره التالية

ان قبرك مشيد في مكان لا تقي

موضع احترام خالد في نظر جميع المسافرين

يطل على الخارجين من الميناء والداخلين اليها

ومتى اشتبكت السفن في القتال كان ذلك مشهده وملهاه ولا يزال ابناء تيممستوكل
ينعمون في مانيزيا بكرامة خاصة مما كان ينعم به تيممستوكل، الذي كان رفيقي
وصديقي في مدرسة امونيوس الفيلسوف

كامي

ان ادعى شيء للدهشة والغرابة في الحياة فوريوس كامي ان رجلا مثله قد الجيوش غير مرة واحرز انتصارات باهرة غير مرة وتولى الحكم الفردي خمس مرات ونال من اكليل النصر اربعا ودعى مؤسس روما الثاني لم يعين قنصلا ولا مرة . يرجع السبب في ذلك الى الظروف السياسية . كان ذلك عهد مناقشات بين مجلس الشيوخ والشعب . أبى الشعب انتخاب القناصل وعين بدلا منهم للقضاء رجلا من أنصاره المعروفين بخطباء الشعب يتولون السلطة القنصلية وكان حكمهم اقل فظاعة بسبب كثرة عددهم وكان العزاء لمن يفضون حكم الجماعة ان يروا على رأس الحكومة ستة بدلا من اثنين .

كان كامي في ايان مجده مشهوراً بأعماله الحربية . ولكنه لم يرد ان يكون قنصلا رغم ارادة الشعب مع حدوث انتخابات قنصلية في ذلك العهد . أما المناصب الاخرى فقد تولى الكثير منها . وقد سلك فيها جميعا مسلكا حسنا بحيث أنه حتى في حين انفراده بالامر كان يجعل السلطة شركة بينه وبين آخرين مع احتفاظه بالمجد لنفسه ولو كان له فيه شركاء . أفلح في ذلك لالتزامه الاعتدال . أراد أن يتولى الحكم دون اثارة الحسد لما كان عليه من الحكمة التي جعلت له مقاما ساميا وتوفيقا لا جدال فيها

لم تكن اسرة فوريوس نابهة الذكر ، فهو اول فوريوس جعل له ذكرا لغنت جذرائه الشخصية الانظار اليه في الموقعة الكبرى ضد الايكين والفولسكين كان يعمل تحت ديكتاتورية لوستوميوس توبرتوس . فهو الذي بدأ الهجوم ضاربا في الجانبين متقدما بين الصفوف ، جرح فخذة فلم يترك ساحة الوغى بل انتزع السهم من الجرح واشتد على اشجع الاعداء حتى ولوا الفرار ونال جزاء بسالته

عدة مناصب سامية منها منصب (المراقب) وكان في ذلك العهد جليل الشأن وما يذكر له بالثناء الحق في هذا المنصب انه تمكن بالاقناع والتهديد بالغرامات من الزام الاعزاب بالتزواج من الاعزبات التي زادت الحروب المتوالية عددهن ولم يقدم الا اضطرارا على فرض الضرائب على اليتامى ؛ وكانوا معفين من كل التزام . كانت الضرورة قاضية بتحصيل ما تقتضيه الحروب المستمرة من النفقات .

وشد ما لزم ذلك في حصار مدينة الغايين الذين يدعوهم البعض الغاناثاينين .

كانت مدينة فايين مفتاح اتروريا ، ولا تقل عن روما ذخيرة ولا جندا . عظم شأنها بما لها من ثروة وبذخ وجلال وملاذ فرأى فيها الرومانيون منافسة في المجد والسيادة وكثيرا احسوا بقدرتها . ولكنها لليوم ضعفت بما اصابها من خسائر في جملة مواقع . فعدلت عن مطعمها . اطمان الغانيون لما اقاموا من اسوار وجمعوا من سيوف وسهام ومؤونة وجميع ما يلزم فصبروا للحصار آمنين . استمر الحصار زمنا طويلا لا يقل اياما للمحاصرين عن المحاصرين . والحقيقة ان الرومانيين كان من عادتهم ان لا يحاربوا الا صيفا في مواقع قصيرة الاجل . وان يقضوا الشتاء في منازلهم ولكنهم اضطروا لاول مرة اجابة لاوامر الحكام ان يفتشوا القلاع وان يقيموا في معسكراتهم وان يقضوا الصيف والشتاء في بلاد العدو . كانت السنة السابعة للحرب فاستاء الشعب من قواده واتهمهم بالتراخي في الحصار فانزع منهم القيادة وانتخب اخرين لادارة القتال وكان كامي بين المنتخبين وهي المرة الثانية لانتخابه بين محامي الشعب وخطبائه ؛ لم يكف اول الامر بالعمل في الحصا بل عهد اليه في محاربة الفولسكين والكابنيتيين الذين انتهزوا فرصة اشتغال الرومانيين بغيرهم فدخلوا ارضهم واقلقوا بالهم اثناء حرب اتروريا . هزمهم كامي واعمل فيهم السيف واكرهم على الفرار الى داخل اسوارهم .

كانت الحرب على اشدها عندما بدأ في بحيرة الباحا حدث من اغرب ما رأوا فزع له الجميع لانهم لم يعرفوا له اسبابا عادية ولا علة طبيعية وكان ذلك في الخريف ولم

يحدث في الصيف حيث لا امطار غزيرة ولا رياح جنوبية شديدة وكانت البحيرات والسواقي والينابيع الموجودة بكثرة في ايطاليا اما ناضبة او قليلة المياه وكانت الانهر المنخفضة المياه صيفا ناضبة . . ولكن بحيرة البالتا التي منبعها فيها وليس لها مصرف محصورة من جميع جهاتها بجبال خصبة امتلأت فجأة وزادت زيادة محسوسة بلا سبب ، ان لم تكن ارادة الالهة ثم بلغت الجبال بلا اضطراب ولا دوى وصلت الى قممها . لم ير رعاة الغنم ولا رعاة الخنازير وهم اول من شهدوا الحادثة سوى حالة مدهشة . ولكنهم راوا الخاجر الذي كان يمنع الفيضان من اغراق الاراضي المترعة قد انفتح وان سيلا جارفا من المياه ينحدر الى البحر من خلال Guerets استولى الذعر على الرومانيين وجميع سكان ايطاليا واورأوا في هذه المعجزة اشارة الى حوادث خارقه . ولم يكن للجند المحاصر حديث غير هذا حتى بلغت الاشاعة المحاصرين انفسهم

من المألوف في الحصار الطويل ان تجرى بين المتحاربين مقابلات ومحادثات . وحدث ان رومانيا صادق احد الغايين وهو رجل عليم بالآثار معروف بمهارة في فن العرافة حادثه الروماني في مسألة طفيان البحيرة ولحظ ان هذا الخبر أفرحه فرحا عظيما . وانه يتهمك على الحصار . فقال له ليست هذه المعجزة الوحيدة التي شهدتها الرومانيون في هذا الزمن فقد حدث ما هو أعجب منها وانه يريد ان يطلعه عليها ليعرف اذا كان هناك سبيل في هذه النكبة العامة ليأمن على نفسه . اجابه الغاي طوعا والقي السمع الى حديث الروماني يتحدث وهو سائر والغاي يتبعه ولما سار على مقربة من المدينة انتهز الروماني فرصة تفوقه البدني وقبض على صديقه يعاونه بعض الجند ، أتوا اليه مسرعين واحتملوا الرجل الى القواد . لما رأى الغاي نفسه في هذا المأدق وأيقن انه ليس للانسان نجاة مما قدر له أفشى أسرار الوحي التي فهم وطنه قائلا انه لن تؤخذ الا اذا غير العدو مجرى المياه الفائضة من بحيرة البتا واعاده الى مجراه الاصلى أو على الاقل منبع المياه ان تصب في البحر .

ولما علم مجلس الشيوخ النبأ أوفد لتعذر الوسائل لديه يستشير وحى ولف وكان الوفد مؤلفاً من كوسوس لينايوس ، وفلاريوس بوتيتيوس ، وفابيوس أموستوس ثلاثة من أعيان وكبار روما. وكانت رحلتهم موفقة وتلقوا عدا الجواب عما أوفدوا من أجله اجابات أخرى تشير الى اهمال وقع في حفلات (الارواح اللاتينية) خلافا للعادات المتبعة . وكان جواب الوحى عن مسألة مياه بحيرة ألبا ان يحاولوا اجراء مياه البحر الى مجراها القديم واذا تعذر ذلك يحفرون اقنية وينشئون خنادق تتحول اليها المنصرف بين الاراضى فعمد الكهنة بناء على هذه المشورة الى اجراء ما اغفلوه في التقدّمات وشرع الشعب فى العمل وصول مياه البحيرة

وفى السنة الثانية للحرب الغى مجلس الشيوخ مناصب القضاة وولى كامي الحكم ، فاختر كورنيليوس سيبيون قائداً عاماً لفرقة الخيالة ومذولى الحكم منفرداً تعهد علينا انه اذا انتهت الحرب على خير ، يقيم الالاعاب الكبرى ويكرس هيكلًا للآلهة التى يدعوها الرومانيون الام ماتوتا (١) ويؤخذ مما يجرى فيه من المراسيم ويقدم فيه من التقدّمات انه هو عيد (ليكوتية) يدخلون عبدة الى بيت المقدس يصنعونها كنوفاً ثم يطردونها خارجاً . ويحمل كل بين ذراعيه لابناء بل أبناء اخوته ثم يطاف ببعكوس بين ايدي مرضعاته وايضا تضطهدها عشيقه زوجها وبعد ان فرغ كامي من نذره دخل متقلد سلاحه أرض الفايين وهزمهم فى موقعة فاصلة هم وحلفاءهم السكابتين ومن ثم ساروا الى حصار فاي وسرعان ما أدرك صعوبة ومخاطر الهجوم ؛ واذا كانت الاراضى المجاورة صالحة لان تحفر حفراً عميقاً بحيث يخفى العمل عن العدو فتج خنادق خفية . نجح عمله . وبينما كان كامي يهاجم المدينة من الخارج ليجتذب الفايين الى الاسوار تمكنت فرقة أخرى من السير فى الخنادق فى خفية والوصول الى القلعة حيث هيكل (جينون) أكبر هياكل المدينة وأسمها شرفا وكان قائد الاترويين يقدم ضحية وصاح العراف بعد

(١) يقع هذا العيد حسب النتائج الرومانية القديمة فى ١١ يولية ويدعى اماتريا .

فخص احشاء الضحية قائلا « ان الآلهة تعد النصر لمن يتمم هذه التقدمة »
 سمع الرومانيون الذين في القبور هذه الكلمات فشقوا الارض وبرزوا في جلبة
 وضوضاء يقععون بالسلاح . استولى الرعب على الفايين ولازوا بالفرار ، حمل
 الرومانيون احشاء الضحية الى كامي . على ان هذه الرواية يظهر فيها الاختلاف
 ومهما يكن من الامر فقد أخذت فاي عنوة واذ كان كامي يشهد من أعلى
 القلعة ما يحدث من نهب وسلب لتلك الثروات الهائلة لم يتمالك نفسه فاذرف الدمع .
 واذ كان من حوله يهنئونه بهذا النصر رفع يديه الى السماء ونطق بالصلاة التالية
 يا جوبيتر العظيم وانت أيتها الآلهة التي تشهدن أعمال الناس خيرها وشرها تعلمون
 ان الرومانيين لم يقتلوا السلاح ظلما بل حملتهم على ذلك ضرورة الدفاع العادل .
 تقلدوه ضد أعداء ألداء عابثين بكل قانون ونظام فأتين قدرت علينا قبالة هذه
 السعادة ويلا وشقاء فاني أضرع اليك ان تقري روما والجيش الروماني تلك النكبات
 وان توجهي ضربانك الى انا ، على ان لا تسحقيني .

ولما فرغ من صلاته حول وجهه الى انين كعادة الرومانيين فسقط أثناء
 التفاتته . فزع الرومانيون لهذه السقطة ولكن كامي نهض قائما وهو يقول « هذا
 هو الاذى القليل الذي طلبته من الآلهة قبالة ما أحرزناه من سعادة عظيمة . »
 وبعد ان فرغ نهب المدينة عمل على اتمام نذره بنقل تمثال جيمنون الى
 روما . جمع العمال لهذه الغاية وقدم للالهة ضحية ورجا اليها ان تتقبل تحيات
 الرومانيين الحارة وان ترخي المقام مع الالهة حاميات روما
 ويقال ان التمثال اجاب انه راض وان هذا الاقتراح يسره .

قال ثبت ليف ان كامي ادى صلاته للاله (١) ويده على التمثال وانه عندما
 دعا الآلهة للسير معه اجابه الحضور « انها راضية عن ذلك كل الرضى وان اقتراحه

(١) لم يتكلم تيت ليف عن كامي بل عن الشبان الذين جمعهم كامي لنقل التمثال ولا
 ندري لماذا دعاهم بلونار خوس عمالا .

يسر قلبها . « ويدال انصار المعجزة (صواحب التمثال) على صحة زعمهم بما اصابته روما من حظ موفق سعيد . هل يمكن ان تخرج مدينة عن أصل ضعيف حقير وتبلغ اسمى قمم المجد والقوة اذا لم تكن بعض الالهة قد خصها بحماية دائمة باهرة وانهم لينذكرون معجزات اخرى من هذا النوع . قائلين ألم نشاهد التماثيل تنصب عرقاً وتنهد وتشير بعينيها . معجزات دونها الكثيرون من المؤرخين القدماء ؟ وفي وسعي اني أيضاً بناء على شهادات الكثيرين من معاصري ان أثبت كثيراً من هذه الحوادث الحقيقية بالاعجاب مما لا يمكن اطراحه بلا تردد . على أنه في مثل هذه الحوادث يتساوى خطر تصديعها وعدم تصديقها . لان ضعف الانسانية لا يعرف حداً ولا يعرف أن يسن نفسه قانوناً فما أن ينحدر الى الاخذ بالباطيل والترهات والكبرياء أو يسف الى الاهمال واحتقار الشؤون المقدسة وعليه يكون من الحكمة التزام الحرص والاعتدال

ان عظمة هذه الحملة والاستيلاء على هذه المدينة التي كانت تناظر روما ودوام حصارها عشر سنوات حركت الالسنه بالثناء على المنتصر ثناء انتفخ له قلب كامي واثار فيه مطامح كبيرة لحاكم الجمهورية التي يجب عليه احترام عاداتها : زاد في ابهة موكب النصر زيادة كبرى فدخل روما على عربة يجرها أربع جياذ بيض . لم يحدث هذا قبله ولا بعده . لان الرومانيين يعتبرون هذه العربة خاصة بملك ووالد الالهة . فكان هذا أول سبب لاستياء الوطنيين الذين لم يعتادوا مشاهدة هذه الفخخة المهيمنة . جاء بعد ذلك السبب الثاني وهو معارضة كامي لقانون تقسيم السكان . اقترح خطباء الشعب تقسيم الالهالي والشيوخ الى قسمين متساويين يبق النصف في روما والآخر حسب الاقتراح يذهب فيسكن المدينة الجديدة .

يرون في ذلك زيادة سعادة الجميع إذ يصيرون أصحاب مدينتين عظيمتين جيلتين فيتمكنون من الدفاع عن بلادهم ومصالحهم . استقبل الشعب الذي

صار كثير العدد هذا الاقتراع بفرح عظيم والتف حول المنبر وطلب بصيحات عالية الاقتراع . ولكن الشيوخ وكبار الاعيان لم يروا في اقتراح الخطباء تجربة روماً فقط بل خرابها التام ولشدة استيائهم لجأوا الى كامي . خشي عقبي هذا الانقسام فأخذ يماطل الشعب ويقيم في سبيله الصعب فيؤجل القانون من يوم ليوم فكان هذا سبب ما انطوا عليه من الضعف له .

على أن غضب الشعب ضده انفجر عند اثارة مسألة عشر الاسلاب ولا بد هنا من الاعتراف بأنه اذا لم يكن هذا السبب عادلاً كل العدل فلا يخلو من أثر . عندما سافر كامي الى فاي انذر انه اذا استولى على المدينة ان يخص ابولون بعشر الغنيمة وعندما أخذت المدينة أطلق الجند أيديهم بالنهب والسلب ترك لهم كل الغنيمة ، قد يكون ذلك عن خوف من أغضبهم او ان الاضطراب الذي غشاه حين ذلك انساها نذره ولم يفض بذلك لمجلس الشيوخ إلا بعد الحادثة بزمان طويل . وبعد أن غادر منصبه أعلن العرافون في ذلك الحين أن الضحايا تنبئ بغضب الآلهة ولا بد لتهدئة غضبها من كفارة وضحايا

رأى الشيوخ من المحال أن يعودوا الى تقسيم الغنائم فتركوها لمن استولوا عليها . فاكتفوا بأن أمروا ان يرد كل عشر ما أخذ مع القسم بان يخل بالوفاء العادل . وعليه أخطروا لتنفيذ هذا الامر الى وسائل محزنة . وان يستعملوا القسوة ضد جنود فقراء احتملوا كثيراً من الآلام في تلك الحروب يطالبونهم بقسم كبير من أموال انفقوها . اضطرب كامي لما وجهه اليه من اللوم واذا لم يكن لديه عذر قيم لجأ الى أسخف الأعذار : اعترف علناً أنه نسي نذره فبلغ الغضب أشده قال الشعب ان الديكتاتور نذر ذلك اليوم أن يقدم عشر أسلاب الإعداء وها هو يأخذ اليوم من أفلاك الوطنيين ! . وانتهى الامر بان قدم كل انسان ما طلب اليه تقديمه . ومن ثم تقرر أن يصنع

من المتحصل فوهة ذهب ترسل الى دلف، ولم يكن الذهب شائعاً في روما وبينما كان الحكماء يبحثون لايجاده اجتمعت النساء وقررت فيما بينهن تقديم جميع حلاهن لاجل هذه التقدمة . وقد بلغ مجموعها ثمانى تالانات فقرر الشيوخ مسكافأتهن مكافأة تليق بهن وبشرف قدرهن فأمر أن ترثى النساء بعد موتهن كما يرثى الرجال ولم يكن من العادة ان ترثى النساء عند جنازتهن

ندبوا لنقل التقدمة ثلاثة من اعيان الوطنيين تقاهم مركب طويل يسيرها نخبة من الجدافين ومحلاة بالزينة اللايقة بالحفلات العامة وقد عانى الوفد الشدائد فى العاصفة والهدوء — يلاقون من الهدوء ما يكاد يكون الموت حتى اذا نجوا من الخطر كانت نجاتهم على غير أمل . خافتهم الرياح بالقرب من جزائر الابولين فظننتهم مراكب اللبيادين ، كورتين فهاجمتهم واذا رؤهم يمدون اليهم الأيدى ويرفعون اليهم الرجا لم يقسوا عليهم وسحبوا مركبهم إلى مينائهم وهناك أعلنوا أن ركابها من القرصان وشرعوا فى بيعهم هم وكل مالههم ولم يقبلوا اخلاء سبيلهم إلا بعد غناء . والفضل فى ذلك لقائدهم تماشيه . وزاد هذا القائد أن ارسل بعض مراكبه تصحب الوفد حتى رلف واشترك معه فى تقديس التقدمة لذلك خصه الرومانيون باكرام لايق لخدمته

قدم الخطباء قانون تقسيم أهالى روما ولكن حرب الغالكيين التى جاءت فى الوقت المناسب جعلت الاشراف سادة الاقتراح واقتضت الحال الالتجاء إلى قائد يجمع الى المهاراة العملية السلطة والسمعة الطيبة فعرض كامين مندوبا حرييا مع خمسة آخر . ووافق الشعب على الاقتراح وتغلب كامين قيادة الجيش واسرع بالاغارة على أرض الغالكيين وحاصر فالير وهى مدينة حصينة . لم يهمل أهلها أمراً من أمور الدفاع . رأى كلمى أن ليس من السهل اغتصابها وان الحصار سيطول امده ورأى من الحسن أن يبتى الرومانيون خارج المدينة لمنعهم الثورات التى

يأجأون إليها عادة إمام السلم تحت تأثير خطبائهم . ذلك هو الدواء الذى يلجأ إليه الشيوخ كما يفعل النطاسيون من الاطباء لتطهير ألهة السياسة من المفاسد التى تفسد عليها احوالها الاقتصادية .

كان الفالسيكون واثقين من متانة حصونهم هازئين بالحصار وكان الناس ماعدا حراس الاسوار يمحون فى المدينة بقبائهم العادية وكان الاولاد يذهبون الى مدرستهم ويخرجون بقيادة معلمهم الى التمره حول الاسوار ويقومون بتمارينهم الرياضية والحقيقة أن الفالسيكين كاليونانيين يجعلون لتعليم ابنائهم معلماً واحداً ليعتادوا من الصغر الغذاء والحياة معا اضم هذا المعلم ان يسلم الفالسيكين الى الرومانيين بتاسيم ابنائهم فبدأ يأخذ الاولاد كل يوم الى سفح الاسوار ليستدرجهم خارج المدينة ثم يعود بهم بعد ثلثي يوم ومن ثم صار يبعد بهم شيئاً فشيئاً حتى يبعد عنهم كل مظان الخوف والخطر واخيراً اذ كان جميع الاولاد معه بلغ بهم عمداً محلة الحرس الرومانى وسلمهم الاولاد وطلب مقابلة كامي . فبداليه واذا صار بمقربة منه قال له « انى معلم مدرسة فاليرى . وقد فضلت على واجبى أن أقدم لك خدمة وقد جئت اسلم اليك تلاميذى وبذلك اجعلك تملك المدينة » غضب كامي لهذه الخيانة السوداء وقال لمن حوله « ان الحرب من الاعمال المشؤمة ولا تجروراءها من المظالم والفظائع ولكن كبار النفوس يعرفون لها قوانين لا يريدون النصر عن طريق الجرأمة والدنایا . أن القائد الكبير يقيم الحرب معتمداً على قوته الشخصية لا على خبث وخيانة وحقارة الآخرين » ثم امر الجلال ان يمزق ثياب ذلك الرجل وان يوثق يديه الى ظهره وأن يعطى الاولاد قضباناً ومذبان ليقصصوا من الخائن وهم يرجعون به الى المدينة .

شعر الفالسيكون بخيانة المعلم ولا غرابة ان عم المدينة الحزن والكدر وقد رفعت النكبة كبار المدينة رجالاً ونساء الى الاسوار والابواب واذا بهم يرون الاطفال عائدين يقودون المعلم عارياً موثق اليدين يضر بونه بالامسى ويدعون كامي

الهمهم ومنقذهم ووالدهم تأثر الاهالى جميعاً لا الآباء فقط من هذا المشهد وتملكهم
اعجاب شديد بكلمى وشملتهم الرغبة فى الاستلام الى عدله فاجتمعوا لفورهم
وارسلوا اليه مندوبين طالبين ان يسلموا أنفسهم وأموالهم لامره . أرسل كلمى
المندوبين إلى روما ولما أدخلوا الى مجلس الشيوخ قالوا ان الرومانيين باثارتهم
العدل على النصر علمونا ان نؤثر الهزيمة على الحرية وهم يعلنون ان قد انتصرت
عليهم فضائل الرومانيين ولو انهم ليسوا أقل منهم قدرة . اعدام مجلس الشيوخ
الى كلمى يرى فيهم رأيه . فاكفى بان طلب منهم تعويضاً حريياً ثم عادوا الى
روما بعد ان عقد مخالفة حربية مع جميع الشعوب الفالسكية ولكن الجنود الذين
كانوا يؤملوا الغنم الكبير من اسلاب قاليرى عادوا فارغى الايدى . ما وصلوا روما
حتى أخذوا يشنعون على كلمى يتهمونه بانه عدو الشعب وانه حرم الفقراء وسبيكة
مشروعة للثروة .

عاد خطباء الشعب الى تقديم قانون تقسيم أهالى روما واعد الشعب لاعطاء
صوته . اقتحم كلمى غضب الشعب وعارض القانون بشدة وصراحة حتى رفض .
تبدل الشعب على غير رضى وبلغ من حقه على كلمى ان شتمت لذكبته
بفقد احد ولديه ، ولم يهدأ غضبه عليه . اما كلمى فكان طيب القلب رقيق
الاحساس فقد اشتد به الحزن من هول هذه النكبة حتى انه دعى للمحاكمة
فلم يحضر وبقى رهن بيته مع النساء

كان المدعى على كلمى رجل يدعى لوسيوس الوليوس يتهمه باختلاس جانب
من غنائم أترووريا . ليستشهد لذلك بابواب نحاسية كانت بينها وشوهدت فى منزل
كلمى . كان الشعب ثائراً ضده والحكم عليه منتظر لاقبل حجة . دعا كلمى
أصدقاءه واخوانه تحت السلاح وزملاءه الاقدمين وهم عدد غير قليل وتوسل اليهم
ان لا يبخلوا عليه بالدفاع أمام هذه التهم الكاذبة وان ينقذوه من حكم ظالم ومن
سخرية أعدائه . فاجابوه بعد المداولة والمناقشة انهم لا يستطيعون منع الحكم

ولكنهم اذا حكم عليه بغرامة يدفعونها عنه . ساء كامي ضعفهم ولم يصغ الصوت غضبه فاعتزم مغادرة المدينة وان ينفي نفسه برضاه فعاث زوجته وابنه وخرج من البيت ومشى صامتاً حتى أبواب المدينة وهناك وقف وتحول ثم بسط يديه نحو الكاينبول ورفع الى الآلهة الصلاة التالية « اذا كنت بريئاً وكان ظلم وحسد الشعب هو الذي أكرهني على الخروج ذليلاً من وطني فلتكن ارادتك ان يشعر الرومانيون ويعلم العالم حاجتهم الى وتأخذهم الحسرة لغياب كامي » وبعد ان صب على مواطنيه اللعنات كما فعل أشيل أبعد عن روما . حكم عليه غيائياً بغرامة قدرها خمسة عشر الف (اس) توازي بالفضة الف وخمسمائة درخمة لان الاس عمله صغيرة كل عشرة منه تساوي فلساً

لم يبق روماني لا يعتقد ان العدل الالهي تقبل صلاة كامي لوقتها وان الولايات صبت على روما جزاء ظلمها الذي ذهب ضحيته ، انتقام رثى له كامي ذاته ولكنه شريف وعظيم لان غضب الالهة انهم قوى روما واجتمع عليها الفزع والخطر والعار وسواء كان العقاب من عمل الصدفة ا. ارادة إله لا يسمح لنكران الجليل بامتهان الفضيلة بالعقاب .

و اول نسكة نزلت بروما هي موت الرقيب يوليوس والحقيقة ان منصب الرقابة مقام محترم جدا في نظر الرومانيين حتى انهم يقدسونه اما النسكة الثانية فكانت سابقة لنفي كامي . ذلك أن رجلا لاهو من الاشراف ولا من الشيوخ اسكنه رجل محترم لفضله يدعه ماركوس سيديتيوس ابلغ الزعماء الحريين واقعة حسبها حقيقة بان تنقل اليهم وتستحق عنايتهم ابلاغهم انه بينما كان يجتاز الليلة الماضية السكة الجديدة سمع صوتا يناديه ، التفت فلم ير احدا ! ولكن صوتا اقوى من صوت رجل قال له يا ماركوس سيديتيوس اذهب غدا عند مطلع النهار وبلغ الزعماء الحريين ان يتوقعوا رؤية الغالين قريبا ضحك الزعماء من هذا الانذار وسخروا به ثم اخذت بعد ذلك نفي كامي .

والغاليون انه سلتية اكثر عددها وغادرت بلادها التي لم تعد تسكن مؤنثها
 وذهبت تبحث عن ارض تصلح لسكنائها . وهذه الامة كثيرة الشبان البواسل
 تجر وراءها عددا كبيرا من النساء والاطفال اخترق بعضها جبال ريفه ، وانتشروا
 حول الاوقيانوس الشمالى واستقروا على حدود اوروبا واقام البعض بين البيرلينا
 والالب على مقربة من الينونين والساتورين واقاموا زمنا طويلا وحدث أن ذاقوا
 لأول مرة النبيذ محمولا اليهم من ايطاليا فاستطابوا طعم هذا الشراب ولذ لهم
 ما ادخله عليهم من السرور فحملوا اسلحتهم واصطحبوا اهلهم وانحدروا من
 جهة الالب يطلبون الارض التي تنبت ثمرأ شهييا كهذا ، يرون كل ارض دونها
 قحلاء موحشة .

اما الذى علمهم النبيذ وحرك فى نفوسهم شهوة الذهاب الى ايطاليا فهو
 على ما يقال رجل يدعى ارون من اتروريا معروف فى بلده لم يكن شريرا بالطبع
 بل إرد الانقام لنفسه من عار لحقه . كان مرييا مفتي يقيم يدعى لوكومون . اجمل
 واغنى مواظنيه تربى الفتى من نعمة اظفاره تحت اشراف ارونى ، ولما بلغ
 سن الشباب لزم المنزل بدعوى حبه لمريه على انه كان على اتصال بامرأته يحبها
 وتحبه صلة النية

بقيت هذه الصلة طي الخفاء زمنا طويلا ولكن الهوى المتبادل اشتد بهما
 حتى لم يعد فى امكانهما التغلب عليه او اختفاه

اختطف الفتى زوجة ارون وابقاها فى منزله علانية ؛ رفع الزوج عليه
 قضية ولكنه لم يستطع التغلب على لوكومون لكثرة عدد اصدقائه ورفعة قدره
 ووفرة ثروته فخذل وخسر قضيةه وحينئذ غادر وطنه وسار الى الغاليين الذين
 عرفهم بما شاع عنهم وتولى قيادتهم الى ايطاليا

افتتح المغيرون فى وقت قصير جميع المملكة بين الالب والبحرين وهى
 التى كان يملكها الاترسكيوت من زمن بعيد كما يتضح ذلك من اسماء الاماكن
 م ١٩ العظماء

فالبحر الشمالى الذى يدعى الادريانى نسبة الى ادريا وهى مدينة من مدن
آرسكيا وكذلك يدعون البحر الجنوبى بحر آروريا وكانت هذه البلاد وافرة
الفرس خصبة المرعى تروىها انهار كثيرة وكان بها ثمانى عشرة مدينة جميلة عظيمة
غنية فى تجارتها تعيش فى سعة وبذخ . طرد الغالييون منها الارسكيين واقاموا
بها . حدثت هذه الغارة قبل نفى كالمى بزمن طويل (١) ولكن ابان هذا النفى
جاء الغالييون جاءوا لمحاصرة كلوزيوم وهى احدى مدن آروريا .

استصرخ أهل كلوزيوم الرومانيين يستنجدونهم طالبين اليهم ان يرسلوا الى
هؤلاء البربر الوفود وان يخاطبوه فى الامر . أوفد الرومانيون ثلاثا من عائلة
فايوس وهم من كبار القوم اصحاب السمعة المحترمة فى روما . اكرم الغالييون
وفادتهم احتراماً لاسم روما واقفوا مهاجمة الاسوار واخذوا فى مفاوضة المندوبين
اى ذنب جناه الارسيكون ضدكم حتى جئتم محاصرون مدينتهم اضحك برونوس
ملك الغاليين من هذا السؤال ثم قال « ان ذنبهم فى نظرنا انهم يريدون ان
يمتلكوا وحدهم اراض واسعة وهم لا يستطيعون سوى استغلال جانب صغير منها
وانهم يأبون اقتسامها معنا ونحن غرباء كثير والعديد فقراء . وذنبهم ايها الارمانيون
هو الذنب الذى جناه ضدكم بالامس لاليون والغدايون والارويون وهو ما ارتكبه
ضدكم الفيون والكابتيون اخيرا واغلب الفايسكيين والنويسكيين . وكل شعب يابى
عليكم مشاركتة فى خيراته تسرون اليه بسلاحكم تستعبدون رجاله وتسلبون
امواله وتهدمون مدنه . لم تأتوا فى ذلك شيئا شاذا ولا ظلما بل سرتم على اقدم
الشرائع التى تبيح للاقوياء اموال الضعفاء وهذه شرعة تبدأ بالله ذاته وتنتهى
الى الضوارى . لانها تعرف ايضا ان القوى يزعم دائما ان نصيبه لا بد من ان
يكون أوفر من نصيب الضعيف . فاقبلوا عن العطف على السكاوزيين المحاصرين
اذا كنتم لاتريدون ان يعطف الغاليون على الشعوب التى استذلها الرومانيون »

رأى الوفد الروماني من هذا الجواب الأسيل الى التفاهم مع بروتوس :
دخلوا كلوزيوم وانهمضوا شجاعة المحاصرين ودفعوهم الى المهاجمة على أن يحاربوا
معهم . اما رغبة في معرفة مقدار شجاعة البربر واما لاظهار كفاءتهم . عمل الكلوزيون
بنصيحتهم . حدث اثناء المعركة التي وقعت تحت اسوار المدينة ان كنتوس
اموستوس احد الغاليوين الثالث دفع جواده ضد غاليبي طويل القامة فخّم الهيئة
طاف حوله واندفع بعيدا عن الموقعة لم يعرف لاول امره لان الملمحة كانت
شديدة وكانت الاعين مأخوذة ببريق السيوف ولكنه بعد ان انتصر على خصمه
وقتل عرفه بروتوس وهو يجرد الجثة استشهد الآلهة على هذا العمل الخالف للشرائع
الدولية والقوانين المقدسة « قاذلا جاء فاييوس رسولا فاجترأ ان يعمل عمل عدو .
فلوقف القتال وترك الكلوزيين وسار بجيشه الى روما على انه لم يرد ان يظهر
بمظهر من اتخذ هذا الاعتداء زريعة للمهاجمة الرومانيين فطلب من روما ان تسلم
اليه الجاني لمعاقبته ولم تتقدم الامتهملا

اجتمع مجلس الشيوخ في روما وأوقع الثورم على فاييوس وقم الكهنة
المعروفون باسم فاسيوؤ بدون التهمة قائلين ان هذا الاعتداء بهم الالهة انفسهم
وأنا بتضحيتنا بشخص واحد كفارة عن الجريمة نحول عن الشعب كله الانتقام
الساوي . وطفحة الكهنة هذه من اوضاع نو ما بومبليوس ارق واعدل الملوك ،
ليكونوا حرا اساء للسلام وحكما عدلا في الاسباب التي تدعوا الى حمل السلاح
احال مجلس الشيوخ المسئلة على الشعب وجدد الكهنة تأييدهم التهمة ضد
فايوس ولكن الشعب اكثر من السخرية والاحتقار لقوانين الدين المقدسة
وعين فاييوس زعيما حرييا مع اخوته

ولما علم الغاليون هذا النبأ اشتد غيظهم وساروا بلا مهل يسرعون الحظ
وكانت كثرة عندهم وقعة سلاحهم وقوتهم وسورتهم ترسل الرعب حينما سارت
وكان أهالي المزارع يتوقعون تلف مزارعهم على شرأنواع التاف واهالي

المدن يتوقعون خراب مدنها ولكن شيئاً من الفظائع لم يرتكب فلم يسلبوا شيئاً من المزارع ، وكانوا كلما مروا بمدينة صاحوا بأعلى صوتهم « انما نسير ضد روما ليس لنا أعداء سوى الرومانيين أما جميع الشعوب الاخر فهم اصدقاؤنا

بينما كان البربر يتدافعون في تقدمهم الى الامام غادر الزعماء الحربيون روما وساروا ملاقاتهم ولم يكن جيشهم اقل عدداً من جيش الغاليين اذ كان عدد مشاته أربعون الفا ولكن أغلبهم حديث العهد بالحروب لم تسبق له بها خبرة ولم يقبض على السيف الا لاول مرة وقد قصر القواد في التأكد من مساعدة الالهة فلم يقدموا الضحايا ولم يستطلعوا رأى العرافين فيما تجب معرفته في هذه الظروف الحرجة قبل مباشرة الحرب وكان لكثرة عدد القواد أثرها السيئ في اضطراب الاعمال الحربية فقد كان الرومانيون في اقل الحروب خطراً يعينون حكماً وحيداً يدعونه ديكتاتور يعرفون له قدرة في المواقف الخطرة فيعمل الجميع بروح واحدة ليتولى الامر رئيس واحد بيده السلطة العليا وله حق القضاء ولا مرد لحكمه على ان نكبة الرومانيين الكبرى هي معاملة كامي تلك المعاملة الخفيفة فخرموا بابعاده قائداً جرىء على مقاومة نزعات الشعب واهدائه .

تقدم الرومانيون على مدى تسعين ستار (١) من المدينة وعسكروا على شواطئ نهر اليا عند ملتقى نهر التبر . ومالبث البربر ان ظهر واوكلن الرومانيين جنبوا في القتال ووقع الاضطراب في الجيش فكانت هزيمته تامة . اتى الغاليون في هجمتهم الاولى الجناح الايسر في النهر وخشى الجناح الايمن صدمة البربر فاعتصم بالمرتفعات فكانت نكبة اقل ويلا . وتمكن بعض هؤلاء من الالتجاء الى روما ولما مل الغاليون القتل تمكنوا بقاء الجناح الايسر من الحرب إلى قى ليلا موقنين ضياع روما وهلاك اهلها وقعت هذه المعركة حول الانقلاب الصيفي تقريباً

(١) تزيد قليلا عن اربع فراسخ الستارة عبارة عن ١٥٠٠ ر ٨٠ متر

حيث كان البدر فى تمامه . فى اليوم الذى هلك فيه ثلاثماية رومانى من عائلة
فاليوس بعد الاترسكىس ولكن الهزيمة الاخيرة التى تعرف بذلك اليوم (١)
لا يزالون يدعونها يوم « اليا » اسم المهر الذى وقعت بجواره

ولقد دقت البحث فيما اذا كانت هناك حقيقة ايام نحس او أن
هيراكليت كان مصيباً فى لومه هزى بود لا عتباره وجود ايام خير وايام نحس .
كانه يجهل أن جميع الايام سواء وقد لا يكون من الخروج عن الموضوع
أن أذكر بعض حوادث تتعلق بهذا الشأن . مثال ذلك أن البيوتيين
يعدون من ايام اخير الخامس من شهر هيبيود روميون الذى يدعوه
الاينيون هيكتينيون (يونيه - يوليه) فقد اكتسبوا فى ذلك اليوم النصر
مرتين انتصارات باهرة أيدت حرية يونان . أحدهما انتصار ليكتور والثانى
قبل ذلك بمائتى سنة انتصار جرات حيث قهروا التلاميذ والتاليين
وبالعكس من ذلك انهزم الفرس فى موقعة مراتوت يوم ستمة من بويديوميون
(أغسطس سبتمبر) وهزموا فى بلاته وميكال يوم ٣ وهزموا فى ابريل
يوم ٢٥ منه وكان انتصار اليونانيين بقيادة شابوياس فى موقعة باكوس
البحرية فى تمام بدر هذا الشهر وفى العشرين منه غنموا موقعة سلامين
كما قلت فى كتاب عن الايام (٢) وقد نزلت بالبرير فى شهر
تارجليوت (ابريل - مايو) نكبات عديدة وفى هذا الشهر انتصر امكندر
على قواد الفرس بالقرب من جرانيك . وفى الرابع والعشرين من هذا الشهر
اخذت تراوده على رواية كالستين (٣) وداماست (٤) وفيلارك وفى هذا اليوم
هزم تيموليون القرطاجيين فى صقلية اما شهر تارجينيون (سبتمبر اكتوبر)

(١) ورد بالنتائج الرومانية ٨ يوليه باسم موقعة الياسنة ٣٦١ لروما و ٢٩٠ قبل المسيح .
أما مذبحه ألبويوس فقد وقعت قبل ذلك بمائتين سنة

(٢) لم يبق لهذا المبحث أثر (٣) الذى قتله اسكندر بشعبة المؤامرة (٤) وورخ
معاصر لودوت . وطبقات الإبطال فى حرب تراوده

الذى يدعو البيوتيون بانسيموس فلم يكن خيراً على اليونانيين فى السابع منه هزمهم انتيباتر فى فرانون فى موقعة نظامية وشتت شملهم وكانوا من قبل قد هزمهم فيليب فى موقعة شارونه وفى اليوم ذاته من هذا الشهر فى السنة ذاتها تمكن البربر من قتل وتشتت شمل الجيوش اليونانية التى سار بها ارخيداوس الى ايطاليا ويخشى القرطاجين يوم ٢٢ من هذا الشهر لانه يأتيمهم دائماً بويلات فادحة .
والسكى لأعلم اذا كانه كمندر ضرب مدينة طيبة فى وقت الاحتفاء بالاسرار المقدسة . وان فى العشرين من شهر بدر وميون يوم الاحتفاء باسرار الآله باخوس تلقى اللاتينيون حامية سبارطة وكان الرومانيين ايضاً أيام خير وشتر معاً . مثال ذلك اليوم الذى هزم فيه السنيريون جيشهم الذى كان يقوده سيميون ، حتى معسكره وهذا الذى حدث فيه أنهم تمكنوا بقيادة لوكاوس من الفوز على الارمنين وتجراند

وقد توفى الملك اتالوس وبونيه فى يوم مولدها ومن السهل ذكر عدة أيام كانت هناء وشفاءاً لاصحابها ولكن الرومانيين يعدون يوم هزيمة ألبا من كل شهر يوماً مشؤوماً ويعدون هذا اليوم ويومين آخرين بسية ، لان النكبة كماهى العادة تزيد الرعب والالهام ولقد عاجلت هذا الموضوع فى بحثى المعروف باسم (المسائل الرومانية)

لو ان الغاليين بعد الموقعة اقتفوا اثر الفارين لما كان لروما نجاة من الخراب التام ولا أهلها من مذبح عامة . ذلك أن الهاربين فى تقهقرهم المروع ملأوا الاذهان رعباً ونشروا الفزع والاضطراب فى جميع انحاء المدينة ولكن البربر لم يدركوا فى ذلك الوقت ان انتصارهم كان تاماً عدا أنهم لفرحهم بالفوز لم يفكروا الا فى اغتنام اسلاب المعسكر الرومانى ، فمكنوا الهاربين من الاهالى من الانسحاب ومكنوا الباقين من استعادة قواهم وتحصين الدفاع . على أن هؤلاء لم يعنوا باقتاد المدينة فاكثفوا بان جمعوا فى الكايتول كل أنواع

السلاح واقامة المعادل والحصون حوله وكان ازل همهم نقل الاشياء المقدسة اليه
 اخذت عذارى فستا وهن هاربات نار فستا والاشياء المقدسة التى عهدت
 اليهن صيانتها ؛ ويزعم البعض انه لم يكن عليهن سوى تعهد النار الدائمة . انشأ
 نوما هذه العبادة لانه كان يعتبر النار جوهر كل شىء وهى بطبيعتها اشد العناصر
 حركة ، وكل تجدد حركة أو يصدر عن حركة وان جميع المواد الطبيعية تفتنى
 متى فقدت حرارتها الى حالة جمود لا تختلف كثيراً عن الموت وحاجتها الى
 عمل النار القوى كحاجتها الى الروح او الحياة ، ومتى عملت فيها عاون الى العمل ،
 لكنها تحتمل ما يصيبها من احداث المخلوقات الاخرى . هذا مادعا نوما ؛ ذلك
 الرجل العظيم الذى بلغ من حكمه أن قيل عنه أنه كان يحدث الالهة ، الى
 تقدس النار وامر أن يحتفظ بها موقدة على الدوام رمزاً لتلك القوة الخالدة التى
 تدبر الكون . ويزعم البعض أن الرومانيين كاليونانيين يبقون النار دائماً أمام
 الاشياء المقدسة إشارة الى طهارتها وانه يوجد بالهيكل اشياء أخرى مقدسة لا يراها
 سوى عيون العذارى اللاتى تدعى (فستال) ومن الاشاعات المستفيضة ان يوجد
 فى هذا الهيكل البيلاديوم الذى احضره انياس من ترواده الى ايطاليا ويزعم
 البعض أنها آلهة سامو طرس قائلين أن درواتوس مؤسس تروادة نقلها الى مدينة حيث اسس
 حفالاتها وعبادتها وأنه عند سقوط تروادة قام انياس فانزعه اسرا ونقلها الى ايطاليا
 ويقول البعض مما يدعون المعرفة انه يوجد بالهيكل برميلان (زنبلان) متوسط
 الحجم احدهما مكشوف وفارغ والاخر مغلى وملآن . وللعذارى دون سواهن الحرية
 فى مشاهدتها . ويكذب البعض هذه الرواية قائلين ان العذارى اخفت فى الزمبيلين
 اكثر الاشياء المقدسة ودفنتها تحت هيكل كيرينيس فى المكان الذى يعرف
 حتى اليوم باسم دوليولانم احتملت اكثر الاشياء الدينية قداسة واحتراما وهربت
 بها عن طريق التتر . وحدث فى ذلك الوقت ان احد العامة لوسيوس ابيدوس
 كان مغادرا روما مع الهاربين وقد حمل على عربته اولاده الصغار وامراته وادواته

الضرورية . ولما رأى العذارى تحمل فوق أزعرهن الأشياء المقدسة سائرات
وحدهن بلا معين وقد اخذ منهن التعب والعياء كل مأخذ انزل زوجته وابناه
واخلى العربة من الاواني واجلس فوقها العذارى ليمكن من الوصول الى احدى
المدن اليونانية وقد رأت ان تقوى البيئوس واكرامه الآلهة في ظرف كهذا
حقيقة كان يبقى ذكرها بين الناس .

ولكن كهنة الآلهة الاخرى والشيوخ الذين كانوا قناصل أو اكتسبوا كليل
النصر ابوا مغادرة روما فارتدى كل منهم ثيابه المقدسة الفاخرة وقدموا انفسهم
ضحية لوطنهم في صلاة أعادوا فيها ما كان يقوله الخبير الاعظم فاييوس ومن ثم
جلسوا في ساحة الغوروم على مقاعدهم العاجية منتظرين ما قضت به الآلهة

وصل يرنوس بعد الموقعة بثلاثة ايام بجيشه الى روما ولما رأى الابواب والاسوار
بلا حراس داخله الشك وخشى أن يكون هناك كمين . ولم يخطر بباله ان
الرومانيين بلغ بهم اليأس ان غادروا مدينتهم . ومن ثم تأكد ذلك فدفع جواده
ودخل من باب كولين واخذ روما بعد تأسيسها بثلاثمائة وستين سنة . هذا اذا
كان من الممكن التثبت من تاريخ قديم كهذا مع ما نعرفه من الاضطراب في
تواريخ الحوادث الحديثة ، وكان اشاعة صامته جرت بين اليونانيين عن نكبات
الرومانيين واغتصاب مدينتهم . قال هيراكليد البونتي الذي وجد بعد هذه
الحوادث بزمان يسير في (مبحثه عن الشمس) ان قد جاءت انباء من الغرب ان
جيشا آت من بلاد القاصية غزا مدينة يونانية تدعى روما وواقعة في الممالك
الغربية غير بعيدة عن البحر الاعظم . ولست استغرب من هيراكليد هذا
الكاتب الخرافي الكذاب ان يتخيل فيزين حادثة اخذ روما الحقيقية بكلماتي
القاصية والبحر الاعظم . اما ارسطو الفيلسوف فقد أوضح المسألة بعبارة جلية
وقد سمع باغتصاب السلطين (الغالين) مدينة روما ولكنه قال ان الذي
اتخذها يدعى لوسيوس مع انه كالمى مركوس لالوسيوس ولم يذكر اليونانيون هذا

الموضوع الارحما بالغيب

لما تمكن برنوس من روما حاصر السكايتول بثلة من جنده وعاد الى الفوروم . اخذه الاعجاب بهؤلاء الشيوخ في ملابسهم الفخمة جالسين في صمت عميق ثابتين في اماكنهم عند اقتراب العدو لم يبد عليهم تغير ، لا في وجوههم ولا ألوانهم ولم يبد عليهم شيء من الرعب ! ينظرون الى بعض في هدوء متكئين على عصيهم ، أثر هذا المنظر المهييب في نفوس الغاليين فبقوا زمنا طويلا لا يجسرون على الدنوم منهم ولا مسهم بحسبونهم ذواتا مقدسة . واخيرا اجتأ أحدهم على الدنوم من مانيوس بانيريوس ومد يده بلطف تحت ذقنه ومسك بلحيته الطويلة . ضرب مانيوس ذلك البربري بعصاه على رأسه فخرجه . استل البربري سيفه وقتل بانيريوس وحينئذ انهال الغاليون على أولئك الشيوخ فدبحوهم جميعا وأخذوا كل ما وصلت اليه أيديهم وقضوا أياما يسلبون وينهبون ويحرقون المدينة وأخيرا أحرقوا النار فيها وقلبوها رأسا على عقب نائرين ضد حامية السكايتول التي أبت التسليم . والحقيقة أن رجال الحامية دافعت ببسالة وحمى معانقها بشجاعة وقتلت نفرا من الاعداء غير قليل لذلك خرب الغاليون المدينة وأطلقوا يدهم بقتل كل من وقع بين أيديهم لافرق عندهم بين الجنسين ولا عبرة للسن .

طال الحصار وأعوزت الغاليين المؤونة فقسموا جيشهم جماعة تقوم بحامرة السكايتول وأخرى تعبت في المزارع ونهب القرى المجاورة ولم يسر هؤلاء جماعة بل فرقا وعصابات لما استقر في نفوسهم من كبرياء الفوز موقنين أنهم في مأمن وقد قصد أكثر هذه الفرق عددا وأكثرها مرانا على القتال الى مدينة (اردة) التي لجأ اليها كامي . حيث كان يعيش في عزلة عن المسائل العامة عيشة خاصة ولكن في ذلك الوقت دبر مشروعا عظيما لم ير من المحال تحقيقه . لم يكن همه حماية شخصه

ولم يرد قط أن ينجو بنفسه من الاعداء ولكنه كان يفكر في أخذهم على غرة وطردهم . رأى أن الاردن اقوياء بمددهم ولكنهم في فشل لعدم خبرة ونزالة قوادهم فبدأ بمخاطبة السبيبة قائلاً « لا تعزوا هزيمة الرومانيين الى بسالة الغاليين . ان الذين لم يعملوا لنيل النصر لا يستطيعون المفاخرة بنكبات جرمتها النصايح والارشادات السيئة ، ان القدر وحده هو الذى أحدث كل شيء . أى مجد تتألمون لو تفحصتم الخطر وطردتم البربر وأنقذتم أنفسكم من عدو لا غرض له من النصر سوى أن يشعل النار فتلتهم كل ما تصل اليه . هيا اذا كنتم شجعانا وأردتم أن تبدلوا جهداً . انى أهى لكم فرصة للفوز بلا خطر »

وقع هذا الخطاب من الشبان أحسن وقع . قابل كلهم حكام اردة وشيوخها فوافقوه الى ما أراد حينئذ سلاح كل من يستطيع حمل السلاح وأبقى الجميع داخل المدينة خشية ايقاظ الريبة في نفوس الاعداء الذين كانوا على مقربة منه . أما الغاليون فبعد أن عاثوا في البلاد فسادا عادوا بالغنائم الى الحقل وعسكروا في السهل بلا حذر وبغير نظام واطلقوا لشهواتهم الغنان فشربوا بلا وعى ، أرخى الليل سدوله وخيم على المعسكر سكوت عميق ولما علم كلهم ذلك من المستكشفين خرج في مقدمة الاردنيين واجتاز بلا ضجة المسافة التى بينه وبين الغاليين فوصل الى معاقلم عند منتصف الليل . أمر الجند ان يرسل صيحات عالية من كل جانب وان يدقوا الطبول ليلقى الرعب في نفوس البربر فلم يكن من هذه الضجة العالية سوى أن اخرجهم بعض الشيء من سباتهم وغفوة سكرهم ولم يتمكن من النهوض سوى قليل ؛ وثب مسرعا الى سلاحه وبرزوا لكاهي فهاكوا وهر يقاتلون . أما الباقون الذين استغرقهم غفوة النوم والسكر فقد ذهبوا جميعاً . وكذلك الذين هربوا تحت جناح الظلام وتفرقوا في الخلاء فقد

أخذتهم الخيالة في صباح الغد وأعلنت فيهم السيف .

سرعان ما انتشر خبر هذا النشر في جميع المدن المجاورة فرأى كامي الناس يسرعون اليه ذرافات ووحدا لا يطلبون سوى القتال تحت امرته . جاء اليه الرومانيون الذين كانوا في قايي التي لجأوا اليها بعد هزيمة « أليا » وهم يتحدثون أنفسهم في اسف قائلين ، « أي قائد انتزع القدر من روما . لقد اذاع كامي بانتصاراته سمعة (ارده) اما المدينة التي انجبت وغدت ذلك القائد العظيم فقد ضاعت ولا معين لها . ونحن الذين لم نجد قائدا يقودنا بقينا بين اسوار اجنبية بلا عمل نخون عهد ايطاليا . لماذا لانطب الى الارديين قائدنا ؟ او لماذا لانتقلد السلاح ونسرع للحاق به ؟ لم يعد كامي متفيا ولا نحن وطنيين اذ لم يعد لنا وطن واذا اصبحت روما في قبضة الاعداء ، ،

وقف بهم التفكير عند هذا الحد ، فوافدوا الى كامي يرجون اليه تولى القيادة فاجابهم كامي انه لا يقبل اختيارهم هذا اذا لم يصادق عليه طبقا للشرائع الوطنيون المحاصرون في السكايتول وانه يرى فيهم ما بقىوا « الوطن » وانه مستعد لتنفيذ امرهم ولكنه لا يعمل ضد ارادتهم ، ، اعجبوا بوداعة واخلاص كامي ولكن المشكلة هي ايجاد شخص يحمل هذا الخبر الى السكايتول وراؤا من الحال ان ينقذ احد الى القلعة والاعداء في المدينة .

كان بين الشبان رجل يدعى بونتيوس وطني متوسط الحال ولكنه شديد الشوق الى المجد . تقدم لحمل هذه المهمة الخطرة . لم يحمل الى الرومانيين المقيمين في السكايتول رسائل خشية ان يعلم الاعداء اغراض كامي اذا اخذ . سافر مرتدبا ثيابا حقيرة يخفي تحتها قشورا من الالياف سافر طول نهاره بلا عائق وصل بالقرب من روما عند مدخل الليل ولم يستطع اختيار جسر التبر لان البربر كانوا يحرسونه فلف ثيابه على رأسه لم تكن ثقيلة ولا معطلة والتي بنفسه في النهر يقطعه سباحة بفضل مالف حول جسمه من الالياف . اجتاز نهر التبر حتى سفح الاسوار

واجتنب الاماكن التى ثقبته النيران والضجيج بيقظة حراسها ، وسار حتى بلغ باب كارمنتال حيث كان السكون مخميا . وفي هذا المكان كان جبل الكايتول مرتفعا عموديا يراه الناظر صخرة ضخمة صعبة المرقى ، تسلقه فى خفية عن الانظار وتمكن بصعوده السريع الذى عانى فيه الصعاب من الوصول الى طلائع الحراس حيائهم وذكر اسمه استقبلوه وساروا به الى الحكماء . اجتمع الشيوخ لوقتهم اعلن بونتيوس اليهم خبر انتصار كامى الذى لم يعملوا عنه شيئا واطلعهم على ماقر عليه رأى الجنود وحشهم على تأييد انتخاب كامى بما انه القائد الوحيد الذى يريد الرومانيون الذين فى الخارج طاعة اوامره . قرر مجلس الشيوخ بعد المداولة تعيين كامى حاكما عاما (ديكتاتور) وارسلوا اليه بونتيوس من حيث اتى . لقي من التوفيق فى عودته مالقى فى رحلته ونقل الى الرومانيين قرار مجلس الشيوخ . تولى كامى القيادة برضى الجميع . كان تحت امرته عشرون الفا من الجنود وحشد عددا كبيرا من المحالفين وتميها للسير ضد البربر هكذا صار كامى ديكتاتورا للمرة الثانية وسار الى فايى حيث تولى قيادة الرومانيين وجيشا اكثر منهم عددا من المحالفين واستعدلمهاجمة الاعداء

حدث فى روما ان بعض رجال البربر اجتازوا الطريق الذى سلكه بونتيوس الى الكايتول ولاحظوا فى جملة اماكن اثار الاقدام والايدى لان بونتيوس كان وهو يتسلق الجبل يمسك بكل ما اتصل اليده يده واثار ذلك ظاهرة فى الاعشاب النابتة على جدار الجبل وقد انحدرت بضعة من احجارها بلغوا ذلك الى الملك . ذهب اليها بنفسه وتعرف حقيقتها ولم يقل شيئا حينذاك ولكنه عند المساء جمع انشط رجاله ممن يحسنون تسلق الجبال ، وخطبهم قائلا

« ان الاعداء ارونا بانفسهم الطريق المؤدى اليهم ، ولم نسكن نعرفه . وارونا انه ليس صعبا ولا عسير المسلك . ويا عارنا اذا كنا بعد ان فزنا بالبداية نضعف

قبل الوصول الى النهاية ! او تركنا المسكن كانه مما لا يؤخذ بعد أن ارشدنا الاعداء
أنه مما يؤخذ !

حيث سار رجل بمفرده لا يعز على الكثيرين السير اليه جملة الواحد بعد الآخر
مساعدين متعاونين على ان المكافآت الحسنة والشرف العظيم يكون جزاء كل منهم
على نسبة شجاعته »

عملت خطبة الملك عملها في النفوس ووعد الفاليون باقتحامه مستبسلين .
وفي منتصف الليل بدأوا يتسلقون في صمت جملة الواحد بعد الآخر آخذين
بنوائى الصخور . كان الصعود صعباً ولكنهم وجدوه الطف وأيسر مما كانوا
يظنون . بلغ الاوائل قمة الجبل وكانوا على وشك الاستيلاء على المعقل ومفاجأة
الحراس النيام اذ لم يشعر حارس ولا كلب . ولكن كان هناك سرب من الاوز
يعنون به حول هيكل جينون ؛ كانوا يطعمونه أيام الرخا اما وقد أصبح الرجال في
حاجة الى الغذاء . اعملوه فكان يتضور جوعاً . وهذا الطير دقيق السمع يفرع
لاقل حركة وهذه الحيوانات التي أيقظها الجوع وجعل شعورها بالفرح لاقل حركة
أشد أثراً أحست به نو الفاليين . أسرع اليهم في صيحات عالية أيقظت جميع
الرومانيين . رأى الفاليون ان قد كشف أمرهم فلم يخشوا احدث أية حركة
وهاجوا بلا تردد . أسرع الرومانيون الى أقرب سلاح وصلت اليه أيديهم ووقفوا
للعند وكان مانيليوس وهو قنصل سابق أول من هاجم البربر وكان رجلاً متين
العضد وافر الشجاعة اعترضه عدوان دفعة واحدة رفع أولهما الفأس ليهشم رأسه
فقابلته مانيليوس بضربة سيف أطارت ساعده وضد الآخر بدرعه فالتقاء في الهاوية
ثم وقف على السور مع من لحقه يدفع الآخرين من الاعداء ولم يكن عددهم كبيراً
وذهبت مخاطرهم سدى . نهض الرومانيون عند فجر الغد وقد نجوا من الخطر
فألقوا الى الاعداء من أعلى الصخر بقائد حرس الليل ومنحوا مانيليوس جراً
انتصاره مكافأة تجمع بين الشرف والفائدة . منحه كل منهم غداء يوم وهو نصف

رطل من حنطة البلاد وربع زجاجة يونانية من الحر.

فت هذا الخذلان في عضد الفالين وبدت حاجتهم الى المؤونة ومنعهم الخوف من كامي من الخروج للسلب وانتشر المرض في ذلك الجيش الذي كان يعيش بين أكداس من جثث القتلى واطلال المنازل التي التهمتها النار. وكانت أكوام الرماد التي جففتها حرارة الشمس وأثارها الرياح تتبخر فتفسد الهواء وتملأ الريحات بسمومها القاتلة. وقد ساعد تبديلهم معيشتهم الاولى مع انتشار العدوى. اعتادوا المقام في بلاد منكشفة ودائرة الظلال يجدون في ظلها مأوى لطيفاً من حرارة الصيف وأصبحوا في بلاد منخفضة حارة لاسيما في فصل الخريف يضاف الى هذه الاسباب طول زمن الحصار، فقد مضى أكثر من ستة شهور وهم وقوف تحت سفح السكايتول لذلك انتشر الوباء في الجيش وكثر عدد الموتى بحيث لم يعد في الامكان دفنهم على ان حالة المحاصرين لم تكن أقل خطراً. أخذت المجاعة تشتد بينهم، وقدفت في ساعدهم جهلهم حركات كامي. لم يستطع أحد ان ينقل اليهم أعمال كامي ورجاله لان البربر كانوا يشدون الحصار على المدينة وفي هذه الحالة التي اشتدت ويلها على الجانبين بدأت مفاوضات الاتفاق بواسطة محادثات جرت بين الطلائع ومن ثم ذهب سولسيوس بناء على فرار كبار الوطنيين لمفاوضة برنوس وتم الاتفاق بينهما على ان يدفع الرومانيون الف جنيه ذهباً وزناً وان الفالين عند استلامها يغادرون المدينة والاراضي. قبل الطرفان الاتفاق واقسموا عليه وقدم الذهب فبدأ الفالون يغشون في الوزن، بدأوا ذلك خفية بغش الموازين ثم علانية بامالة كفة الميزان. لم يخف الرومانيون استيائهم ولكن برنوس أضاف الى الخيانة الاهانة والسخرية فترع سيفه ووضع في كفة الموازين مع الزرد. سأله سولسيوس مع أى معنى هذا؟ فجابته برنوس وأى معنى يمكن ان يكون سوى « الويل للغلوب » فذهبت هذه الجملة مثلاً.

اراد بعد الرومانيون لشدة استيائهم ان يأخذوا الذهب ويعودوا الى

السكايتول للاستمرار في حالة الحصار ورأى البعض احتمال الاهانة لقلة خطرهما
فأثابن ليس العار ان ندفع اكثر مما وعدنا ولكن العار أن نقهر على الدفع ، وهذه
ضروية مخزية حتمتها علينا الظروف

بينما كان النزاع قائماً بينهم وبين الغاليين ، وبينهم وبين بعضهم كان
كامي على رأس جيشه قد وصل الى ابواب روما . ولما علم بما هو جار امر
جيشه بالمسير خفيف الخطى حريصاً على النظام اما هو فصار بنخبة جيشه مسرعاً
وفي لحظة كان بين الرومانيين واذراء الجميع تفرقوا واستقبلوه كرئيسهم الاعلى
بكل نجلة وفي صمت عميق . اخذ كامي الذهب الذي كانوا يزونه واعطاه
لحراسه وامر الغاليين ان يأخذوا ميزانهم وموازينهم وينصرفوا ثم قال « ان
الرومانيين تعلموا من آبائهم ان يشتروا وطنهم بالحديد لا بالذهب » انتفض
برنوس غضباً وقال هذا ظلم ومخالفة للمعاهدة فاجابه كامي « لم تعمل تلك
المعاهدة حسب القوانين والاتفاقات ملغاة . انا المنتخب ديكتاتور فكل سلطة
معطاة بامر القانون . لقد تعاقدت مع أناس لاشأن لهم فيجب أن تعرض على أنا
مطالبك . لي سلطة القانون . لي أن اصفح عنك اذ توسلت ضارعا ولي أن أعاقبك
كمجرم اذا لم تبد الندم .

اغضب برنوس هذا الكلام فتقلد سيفه فجرد الجانبان سيوفهم فبدأت
ملحمة عنيفة اختلط فيها الاعداء اختلاطاً لم يكن منه بد بين الخرائب وفي
طرق ضيقة لا يمكن فيها تنظيم القتال . عاد برنوس الى صوابه وانسحب بجيشه
الى معسكره بعد خسائر قليلة ولما جنى الظلام انسحب بجيشه معادرا واما وعسكر
على مسافة ستين غلوة بالقرب من طريق جاني . وفي مطلع الفجر كان كامي
هنالك متقلداً سلاحه اللامع يتبعه الرومانيون . وقد عادت اليهم الثقة بانفسهم
نشبت هناك معركة طويلة شاقة . تمكن كامي فيها من تزيق شمل الاعداء
وأوقع بهم هزيمة تامة واستولى على معسكرهم وكان نصيب الهاربين الذبح اذ تعقبهم

الشائرون من الرومانيين اما الذين تفرقوا في الخلاء والمزارع فقد تولى سكان القرى والمدن المجاورة ابادتهم

هكذا اخذت روما بكيفية غريبة واعيدت بكيفية اشد غرابة وقد بقيت في ايدي البربر سبعة شهور كاملة . وصلوها في (ايد كانيلين) وطردها منها نحو (ايد) فبراير .

فاز كامى باكليل النصر ولا اقل منها لرجل انتزع وطنه من ايدي الاعداء واعاد روما ذاتها لان الوطنيين الذين غادروها بنسائهم واولادهم عادوا اليها في اثر المنتصر . وقد خرج الذين كانوا في الكابيتول لاستقباله . وقد كاد الجوع يقتلهم فكانوا يعاقبون بعضهم البعض وهم يذرفون دموع الفرح لا يصدقون هذه السعادة التي لم تكن منتظرة وكان السكينة وسدنة الهياكل يحملون الاشياء المقدسة التي اخفوها قبل الفرار أو احتملوها معهم وكان أكرم وأقدس مشهد في نظر الوطنيين ، خيل لمن شهد احتفاء الشعب باستقبالهم كان الآلهة ذاتهم يدخلون الى روما معهم . قدم كامى الضحايا وظهر المدينة برسوم أمالها عليه الاحبار ثم أصلح الهياكل وبنى عدا الموجود منها هيكلًا ايوس لوكتيوس (١) في المكان الذي سمع فيه ماركوس سيديتيوس ذلك الصوت الالهى الذى انبأه بقدوم البربر . لم تكن معرفة اما كن الهياكل من الامور الهينة لولا مسابرة كامى وعنايه السكينة وبحبهم الدقيق ولما جاءت مسألة إعادة نياز المدينة التي عمها الخراب . أستولى الخمول على العقول وخارت العزائم امام هذه المهمة . اخذ الشعب الذى كانت تعوزه جميع حاجاته الضرورية في التسويف يوما بعد يوم

وكان القوم بعد ما لهم من التكببات في حاجة الى شيء من الراحة فقد ذهبت اموالهم ، وضعفت اجسامهم فترددوا في القيام بهذه الاعمال وانما كقوام اكثر مما هي عليه ثم اخذت الافكار تتحول الى ما كانت عليه من الاتجاه

(١) اسم مؤلف من كلمتين . القول والغلام

الى فاني لان هذه المدينة لم تمس بسوء وتعيش في رغد . اتميز زعماء الشعب هذه الفرصة وجعلوا منها مادة خطب وتحريضات جديدة وجعلوا كامي هدفا لاحتجاجهم الاثيمة وهي لم تكن في عرفهم سوى ان كامي ياتي على الوطنيين مدينة مستعدة لاستقبالهم لغير شيء سوى اشباع شهوته لرفعة مجده الشخصي ، وانه يكرههم على سكن الاطلال البالية واثارة رماد تلك المحرقة الواسعة حتى لا يقال عنه فقط انه رئيس وقائد الرومانيين بل ومؤسس روما ، ولينزع هذا القرب من رومولوس خشى مجلس الشيوخ حدوث انقلابات فخالف القوانين بالرغم من الخاح كامي وكانت تقضى الا تزيد مدة الديكتاتورية عن ستة شهور فلم يقبل أن يقبل الديكتاتور قبل نهاية السنة

أخذ الشيوخ يلاطفون الوطنيين ويعززونهم ويستميلونهم بالانقاع والملاينة فكما نواير ومنهم آثار ومقابر آبائهم ويذكرونهم بتلك الهياكل والاماكن المقدسة التي قدسها رومولوس ونوما وغيرها من الملوك واصبحت وداعة بين ايديهم اما الادلة المدنية التي كانوا يدللون بها فهي تلك الرأس البشرية التي وجدوها حديثا وهم يحفرون اساس السكايتول فهي وعد من الاقدار للمدينة التي ستبقى في هذا المكان بان تكون يوما ما عاصمة جميع ايطاليا ونارفستا المقدسة التي اوقدتها الكاهنات بعد الحرب وهم يريدون اطفاءها مرة ثانية بتركهم المدينة روما هذه التي ستكون عارا عليهم لوجاء شعب آخر وأقام فيها مدينة تحت انظارهم اوقيت خرابا ترعى فيها الماشية هذه هي الاقوال المؤثرة التي كانوا يوجهونها لكل وطني على حده والتي كانوا يكررونها امام الجميع في الحفلات والاجتماعات ولكنهم كانوا من جهة أخرى متأثرين يرثون لبؤس ذلك الشعب الذي يبكي لفراقته ويضرع اليهم ان لا يرهقوا اناسا نجوا من غرق عريانين ولا معين لهم باقامة انقاص مدينة مهدمة في حين وجود مدينة اخرى تصلح لسكنائهم

رأى كامي أن يبدي مجلس الشيوخ رأيه في هذه المسألة والى في المجلس

خطابا مستفيضا عرض فيه مصلحة البلاد . ثم سجع المجلس اقوال من اراد الكلام من الشيوخ . وشرع في اخذ الاصوات مبتدئين بلسويوس كركراتيوس الذي جرت العادة ان يكون اول المصوتين . ثم يبدي كل رايه حسب درجته . خيم السكوت على المجلس ، ونهض كركراتيوس للكلام واذا بالضابط المتولى حراسة النهار مار بجنده صدفة يصيح بصوت عال مخاطبا حامل العلم ، قف واغرس العلم هنا ثم قال « مكان بديع لتبقى هنا » عند سماع هذه الكلمات وهي اشبه ما يكونه بمقتضى الحال وموضوع المباحثة والخيرة التي تقسمت النفوس ، كان لوكراتيوس يعبد الالهة (من المؤمنين) فقال وقل معه بقية الشيوخ ان رايه رأى الوحي الذي سمعه . حدث في ارادة الشعب تغير عجيب . اخذ يحرض بعضهم البعض عن العمل برغبة وحماسة غير منتظرين لتخطيط الشوارع بل كان كل منهم يبنى في المكان الذي يراه ملائما .

اندفع القوم في العمل لحجة ناهضة غير مبالين بتقسيم الطرق وساحة المباني فلم تمض سنة حتى برزت المدينة كاملة البناء ، اسوارها ومنازل افرادها . اما الذين امرهم كامي بالبحث عن الاماكن المقدسة والكشف عن حدودها فقد طافوا حول (بالاتيوم) ووصلوا الى هيكل مارس . القوا هذا المعبد كغيره بماخر به واحرقه البربر ، ولكنهم وجدوا وهم يرفعون الاقاضي تحت كومة رماد عصا رومولوس الرمزية . وهو قضيب نحى من أحد طرفيه يدعى لبييتوس وكان يستخدم لتعين الاقطار السبلوية عند اخذ الوحي في هذا كان يستعمله رومولوس ، ذلك الامير الضائع في علوم العرافة . ولما اخفى رومولوس واخذ الكهنة الليتيوس وعنوا بصميائته

عناية دينية لا يسمعون بمسه . شأنه شأن الاشياء المقدسة (*) فرحوا لوجوده فرحا عظيما اذ لم تلتهمه النار كما التهمت سواه وروا فيه فاتحة أمل عظيم لسعادة روما وروا فيه اشارة تبشر المدينة بالخلود

لم تكن تلك الاعمال قد بلغت تمامها حتى فوجئ القوم بحرب جديدة ذلك أن الالبكيين والفولسكيين واللاتينيين أغاروا بسلاحهم على أراضي روما . حاصر الانرسكيون سوتريوم وهى مدينة مخالقة للرومانيين وحاصر اللاتينيون القواد الذين أقاموا جيشهم على مقربة من جبل مارسيوس وإذا رأوا أنفسهم فى خطر أرسلوا يستنجدون روما فعين كلمى ديكتاتوراً للمرة الثالثة.

ولهذه الحرب روايتان مختلفتان . أبدأ بالخرافية منهما . يروى أن اللاتينيين أرادوا التذرع بحجة ما لقطع علاقاتهم مع الرومانيين أو أنهم أرادوا كما فعلوا سابقاً ان يتصلوا معهم بمصاهرة جديدة . أرسلوا اليهم يطلبون زوجات من الفتيات الاحرار . صار الرومانيون فى الامر ولم يكونوا قد استراحوا بعد من المشاق والخسائر . فكانوا يخشون الحرب . وداختهم من جهة أخرى الريبة فى أن اللاتينيين لم يقصدوا بهذا الطلب سوى الحصول على رهائن وما كلة المصاهرة سوى غطاء يسترون به عرضهم . تقدمت عبدة تدعى توتولا ويدعوها البعض (فيلوتيس) الى الزعماء الحرييين بنصيحة أن يرسلوها مع طائفة من العبدات الحسان فى فتيات كريمات البيوت وان يعتمدوا عليهن فيما بقى . قبل الحكم اقتراحها وانتخبوا العدد الذى أرادته عن زميلاتها وافرغوا عليهم افخر الثياب وزانوعن بالخلى الذهبية . وسلموهن الى اللاتينيين المعسكرين غير بعيد عن المدينة أسرع هذه النساء الى جمع سلاح الاعداء وصعدت توتولا أوفيلوتيس الى قمة شجرة تين برية وأسدت خلفها ملاة ورفعت نحو روما مشعلاً موقداً . وكانت هذه علامة اتفقت عليها مع الحكماء على غير علم الوطنيين . لذلك حدث اضطراب عند خروج الجند مساء على أمر الزعماء . فكانوا يدعون بعضهم البعض وبكل مشقة وصلوا الى تنظيم صفوف القتال ومها يكن الامر فقد انقضوا على مواقع الاعداء ولم يكن هؤلاء يتوقعون ذلك بل كانوا نياماً . فاستولوا على معسكرهم وذبحوا منهم خلقاً

كثيراً. وقع هذا الحادث في يوم غذارى يوليو المعروف بغذارى (كنتليس) ولا زالوا حتى اليوم يقيمونه في روما عيداً تذكاريًا. يخرج فيه الرومانيون في شيء من الاضطراب، يلفظون أشهر الاسماء الرومانية بصوت عال. مثل كايوس، ماركوس، لوسيوس، وغيرها يقلدون خروج الجنود وهم يدعون بعضهم البعض بأسمائهم ثم يخرج العبدات في ثياب فخمة تطوف المدينة في مروح ترمى كل من تقابله بسوار ثم تقمن فيما بينهما نوعاً من القتال اظهاراً للنصيبين في مقاتلة اللاتينيين. ثم تجلس تحت ظلال اشجار التين حيث تقدم لهن وليمة. ويدعى هذا اليوم بيوم غذارى كبراتين وهو اسم مشتق على ما يظن من اسم شجرة التين البرية التي اعتلتها العبدات رافعة المشمل وذلك لان شجرة التين البرية تدعى كبريفيكس في لغة الرومانيين. ويرغم البعض أن ما يقال ويعمل في هذا العيد إنما هو إشارة الى اختفاء رومولوس. والحقيقة أنه اختفى في ذلك اليوم إبان عاصفة هبت فجأة صاحبها ظلام حالك. أو كما يظن البعض اثناء خسوف الشمس ويكون اسم غذارى كبراتين المطلق على هذا اليوم مشتق من (كبرا) وهذا اسم لاتيني للعنزة لان رومولوس اختفى وهو يعتقد جاسة شعبية بالقرب من غدير العنزة كما ذكرت ذلك في «حياته».

أما الرواية الثانية التي أجمع عليها أكثر المؤرخين فهي علم كامي وهو ديكتاتور المرة الثالثة أن اللاتينيين والفولسكيين حاصروا جيش الشعب الحريين في معسكره فأخطر لتجنيد جيش كبير حتى من تجاوزوا سن الجندي وقطع دائرة طويلة حول جبل مارسيسوس وعسكر بجنده خلف العدو دون أن يراه. وأوقد ناراً ليعلم المحاصرين بحضوره. فعاد هذا المشهد الشجاعة الى قلوبهم واعتزوا بالخروج لمهاجمة العدو. ولكن اللاتينيين والفولسكيين بقوا في معسكرهم وخضعوا جميع جوانبه وتربصوا في مكانهم اذ رأوا أنفسهم بين جيشين وعولوا على انتظار جيش من يلوهم أو مساعدة الاثروسيين. أدرك كامي غرضهم وخشى أن يحاصر هو أيضاً فتعجل الحوادث كانت معاقل الاعداء من الخشب وكانت تهب كل

صباح رياح شديدة من الجبال . أعد كلمى كمية وافرة من الحرامات . وأمر جيشه بالاستعداد عند الصباح . وأمر جزءا من رجاله أن يستخدم النشاب وأن يهاجم العدو من جانب صايحا صيحات عالية أما فهو فبقى مع حملة الثيرات فى المكان الذى تهب منه الرياح وانتظر الفرصة للملازمة . نشب القتال فى الجهة الاخرى وهبت الرياح عند طلوع الشمس بشدة . وعند ذلك أمر كلمى رجاله ان يقذفوا السهم النارية اشتعلت النار بالالوتاد المتلاصقة التى تحمىها أخشاب أخرى خلفية امتدت النار بسرعة الى جميع الخظيرة ولم يكن لدى اللاتينيين ما يرمونه به ولا ما يقفون به تقدمهم فالتهمت النار المعسكر كل توجهوا أولا فى مكان ضيق ثم اضطروا الى الخروج فلقىهم جيش مصطفى للقتال أمام معاقلم . ولم ينج سوى القليل اما الباقون فقد التهمتهم النار اخذ الرمانيون بعد ذلك فى اطفائها واطاقوا يدعم فى السلب والنهب .

ولما فرغ كلمى من هذا عهد الى ابنه لوسىوس فى قيادة المعسكر وحراسة الاسرى والغنائم . ودخل اراضى الاعداء واستولى على مدينة الايكين . واكره الفولسكين على التسليم . ثم اسرع بجيشه الى سوتريوم لانه لم يكن يعلم بعد نكبة السوتويين . واما ان المدينة لم تكن فى حاجة الا الى نجدة سريعة وان الاترسكين يحاصرونها ويخشى استيلائهم عليها . ولكن السوتريين كانوا قد سلموا المدينة الى الاترسكين فجردوهم من كل شىء لم يتركوا لهم سوى ثيابهم . فقابلوا كلمى هم ونساؤهم وأطفالهم ليكون ملحق بهم من الولايات . رضى كلمى لحالهم ورأى الرومانيين يسكون رحمة وعطفا على السوتريين فعول على ان لا يؤجل الانتقام لهم وان يسير فى اليوم ذاته الى سوتريوم قائلا فى نفسه ان اناسا استولوا على مدينة غنية عظيمة لم يبقوا فيها عدوا واحدا ولا يخشون احدا من الخارج لانه ان يكونوا الآن منصرفين الى اللهو واللعب فى غير حذر دخل ابوابها لم يخطيء فى حدسه . ولم يدخل فقط ارض سوتريوم بل وتجاوز اسوارها دون ان يشعر به

أحد منهم . لم تكن هناك حراس بل كن الاتروسكيون متفرقين في كل ناحية يلهون ويمرحون . ما افاقوا حتى راوا العدو مسيطرا على المدينة . كان قد بلغ بهم المرح والخر حتى لم يفكر احد منهم في الحرب . فاستسلموا معه بكل خزي للقتل او التسليم بلا دفع . وهكذا اخذت سوتريوم مرتين في يوم واحد . طرد منها الذين استولوا عليها . واستعادها الذين طردوا منها بفضل كامي

لم تكسبه الحملتان الاخيرتان من المجد والاجلال أقل مما فاز به في الحملتين السابقتين لم يجد اليه اعدائه حتى الذين كانوا ينسبون انتصاراته الى القدر لا الى فضله لم يجد هؤلاء بدا من الاعتراف امام الواقع بفضله وتقدير خبرته وحكمه وكفاية حق قدرها . وانه وحده صاحب تلك الانتصارات . كان ماركوس مانيولس اشد اعدائه صراحة وحسدا وهو أول من رد غارة الساليتين في العلفة ليلة تساقوا جدران السكابول وكوفي على ذلك بلبث (كايديوليوس) اراد مافيولس ان يكون الاول بين مواطنيه واذا لم يستطع التفرق ذلي كامي بطرق شريفة عمد الى سبيل الذين يطمحون الى السيادة : كان يجتذب اليه (الثقلين بالديون) بان تولى الدفاع عنهم ضد دائيتهم في المحاكم وكان ينزع المدين بالثوة من دائتيه مع ان القوانين تقضى باستعباده لدائتيه . لذلك التفت حوله عصابة من البؤساء ازعموا كبار الوطنية في جلسات (الفوروم) انتخب كايديوليوس ديكتاتوراً في هذه الاثناء فأمر بسجن مانيولس . ولكن الشعب لبس الحداد وهي حالة لا تحدث الا عند المصائب الكبرى العامة . خشى ثياس الشيوخ الفتنة فاطلق صراحه وبذل ان يخرج من السجن خيرا مما كان اثار الشعب في محنة أشد خطر وملاً المدينة فتنة

انتخب كامي زعيماً حربياً . وقدم مانيولس للمحاكمة ولكن منظر السكابول كان قدى في عيون المدعين اذ كانوا يرون من الفوروم المكان الذي قاتل فيه مانيولس السلتيين ليلاً . وكان هو يعد يده الى العلفة وعينه مغرورقتان بالدموع

يذكر الرومانين بمواقعه . كان جميع الحضور يعطفون عليه وخطر القضية غير مرة الى تأجيل الفصل في امره . لا يستطيعون تبرئته والتهمة ثابتة عليه . ولا يستطيعون الحكم عليه لازل الكاتبول يمثل امام عيونهم خدمات ماينلوس ؛ ادرك كامي هذه الحالة فنقل المحكمة خارج المدينة في غابة باثليان حيث لا يرى الكاتبول . وهناك نهض المدعى فاثبت التهمة ورأى القضية ولم يكن هناك ما يذكرهم بخدمات ماينلوس فاخذة بجذيرة وحكوا عليه بالموت فقادوه الى الكاتبول وقذفوا به من اعلى الصخر فكان شاهد مصرعه كما شهد عمله الجليل . هدم الرومانيون منزله ونوا مكانه هيكلًا للالهة مونتيا واصدروا امرا يحرم على (الباترسن) الاشراف السكنى في جبل الكاتبول .

دعى كامي للمرة السادسة الى الزعامة الحربية فابى قبولها لتقدمه في السن ولانه خشى بعد ما احزره من النصر والمجد شر الحسد وأنقلاب الحظ . وكان أظهر اسباب امتناعه ضعف صحته اذ كان مريضاً . ولكن الشعب لم يقبل عذره صائحاً انا لانلزم القتال راجلاً أو راكباً انما نريد الاستعانة بنصائحه في القتال . فاضطر لتولى قيادة الجيوش ؛ يعاونه لوسيوس فور يوس احد زملائه . قاد الجيش لمواجهة الاعداء فاهم البرنستيون والفولسكيون ، عاثوا بجيش عرمرم في اراضي حلفاء الرومانيين . سار كامي اليهم وعسكر على مقربة من معسكر العدو وقصد الى التسوية حتى اذا حانت ساعة القتال يكون قد استرد قواه واستطاع خوض المعركة . ولكن زميله لوسيوس كان يلهب شوقاً الى المجد ولم يستطع الانتظار وامتدت شهرته الى جميع الرؤساء من ضابط وحملة رماح وخشي كامي ان يتهم بحرمان الشبيبة حسدان فرصة ينتصرون فيها ويظهرون تفوقهم وكفايتهم . فسمح لوسيوس في اسف بالتقدم للقتال ولزم هو معسكره مع قليل من الجنود .

هاجم لوسيوس الاعداد هجمة عنيفة ولكن اضطر للتقهقر . رأى كامي الرومانيين قد لازموا بالفرار فلم يطلق صبراً قفز من فراشه وامسرع بمن معه من

الجند الى أبواب المعسكر واخترق صفوف الفاريين وهاجموا مطارديهم فارتد الرومانيون الذين بلغوا المعسكر على اعقابهم وانضموا الى كامي وانضم اليه الغارون الذين كانوا في السهل وانتظموا في صفوف القتال يخرض بعضهم البعض الا يتركوا قائدهم . وقت الاعداء في ذلك اليوم طرادهم وفي الغد تقدم اليهم كامي بجيشه وما زال يعمل فيهم السيف حتى أجبأهم الى الفرار . دخل معسكرهم مع الهاربين ولم ينج من سيفهم احد . علم بعد انتصاره أن الأتروسكيين استولوا على (ساتريا) وقتلوا جميع أهلها وهم رومانيون . فارسل إلى روما المشاة والذخيرة وسار في نخبة رجاله الى الأتروسكيين الذين احتلوا ساتريا . هزم الاعداء وطردهم من المدينة بعد أن هلك الكثيرون منهم في القتال . عاد كامي إلى روما يحمل الغنائم فكان برهانا قاطعاً على أنه احكم الشعوب شعب لا يخشى كبرسن أو ضعف قائده عرف بالخبرة والبسالة يؤثرونه مهما يكن مريضاً ومهما تكن رغبته في الامتناع ، على جماعة الشبان الذين يطلبون القيادة ويبدلون كل جهد للحصول عليها .

علم الرومانيون بشورة التوسكوليين فعمدوا الى كامي أيضاً في معاقبتهم تاركين له حرية اختيار من يريد من زملائه الخمس . وكان كل منهم يرجو ملجأ ان يكون المختار . ولكن كامي على غير ماكان ينتظر الجميع ترك الكل واختار لوسيوس فورسيوس الذي ملقه قبلاً وقام بتلك الحملة الشعواء . وكان كامي أراد بذلك أن يقدم لفوريوس فرصة يصلح فيها خطاه ويمحو اعاره . استولى العرب على التوسكوليين اذ علموا بقدوم كامي فعمدوا إلى الحيلة يسترون بها خطاهم نشروا الزراع والرعاة في الحقول يحرثون الارض ويرعون الماشية شأنهم في وقت السلم ، وابقوا أبواب المدينة مفتوحة . وارسلوا ابناءها على عادتهم الى المدارس واخذ الصنائع يعملون في مصانعهم في طائفة ومشى الناس في طرقات المدينة بثيابهم العادية وكان الحكم مسرعين هنا وهناك كأنهم يبيئون

المساكن للرومانين، وكأنهم لا يخشون امراً ولا موضع للريبة فيهم . لم تذهب هذه المظاهرة بما كان يعتقد كامي من اضرارهم الشووة . ولكنه تأثر بما بدأ من مظاهر الندم والنكران . فأمرهم بالرحيل إلى مجلس الشيوخ ليتقوا غضبه عليهم . أيد رجاءهم وابتأ مدينتهم من التهمة وحصل لهم على حقوق المدينة الرومانية . هذه اهم اعماله مدة زعامته السادسة .

حدث بعد ذلك ايسينيوس ستولون فتنة شديدة في روما محرراً الشعب ضد مجلس الشيوخ . اراد الشعب أن يكون أحد القنصلين المنتخبين من الشعب (السوق) بدل أن يكون من الاشراف . جرى انتخاب زعماء الشعب ومن ثم منع الشعب اجراء الاقتراع لانتخاب القنصلين . فاشتكت المدينة لعدم وجود الحكام تكميها الفوضى . عين مجلس الشيوخ كاميا ديكتاتوراً للمرة الرابعة . وكان ذلك ضد إرادة الشعب على أنه لم يقبل هذا المنصب الا بعد عناء . لم يرغب في مقابلة رجال يقولون له بحق بعد تلك الانتصارات ان مقام به في الخروب يعمو تنهم شيء آخر بمختلف عن جميع الاعمال السياسية التي عاونه فيها الاشراف . وكان يشعر ان الاشراف لم ينتخبوه إلا لانه بغض الى الشعب ولكن يوقعوه بين أمرين أما أن يبقى نيرهم على الشعب اذا انتصر وأما أن يلاشئ نفسه اذا انتصر الشعب عليه . حاول ان يجد حلاً لهذه المعضلة علم اليوم الذي حدده زعماء الشعب لتمرير قانونهم فأمر أن تحشد الجيوش في ذلك اليوم ودعا الشعب أن يترك الفوروم ويذهب إلى حقل مارس . مهدداً بإيقاع غرامة على كل من يخالف امره . قابل الزعماء التهديد بالتهديد واقسموا ان يحكموا عليه اذا اصر على منع الشعب من تمرير مشروعه بغرامة خمسين الف اس . انسحب كامي الى منزله خوفاً من نفى جديد أو حكم بان يصدر عليه مما يشين شيخاً مثله اشتهر باعماله الحربية أو هورأى في نفسه عدم الكفاية لمقاومة رغبات الجمهور وبعد التزام منزله بايام اعتذر باعتلال صحته وقدم استقالته

من الديكتاتورية عين مجلس الشيوخ خلفاً له فاختار الخلف ستولون رغم الشعب قائداً للفرسان وباح له تنفيذ قانون يشير غضب الاشراف وهو قانون يحرم على أى وطنى امتلاك اكثر من خمسة اذراعاً من الارض . انتفخت اوداج ستولون بهذا الفوز ، ولكن ثبت عليه بعد قليل أنه هو يملك من الاراضى اكثر مما يبيحه للآخرين فذهب ضحية قانونه .

بقيت بعد ذلك مسألة الاقتراع على القنصلين الشغل الشاغل وهم أسباب الفتنة واعتقد العقيد . استمر النزاع قائماً بين الشيوخ والشعب زمناً طويلاً علم اثنائه من مصدر ثقة أن السلتين اجتازوا للمرة الثانية بحر الادرياتيک وهم سائرون يسرعون الخطى إلى روما في جيش ضخم . سرعان ما أيدت الحوادث الاشياء ابتدأت الحرب بمنازل بالبلاد من العطب والخراب وتشتت في الجبال من لم يستطع الانسحاب إلى روما . أخذ الخوف الفتنة واجتمع الشيوخ والشعب أمام الحظر وعينوا بالاجماع كامى ديكتاتوراً للمرة الخامسة . وبالرغم من شيخوخته (اذا كان فى الثمانين) ولم يبد عذراً ولا اعتل بعلمته بل اسرع في قبول الديكتاتورية بلا تردد غير ناظر الا الى ضرورة الحال ، اسرع بالتجنيد واذ كان يعلم بالاختيار ان اشد قوى البربر هي سيوفهم الثقيلة يدبرونها في غير مهارة فقطع الاكتاف والرؤوس سلاح . قطع جيشه بنواذات من الحديد المصقول تنزلق عليه سيوفها الغاليين او تنحطم . ولم يكن خشب دروع الرومانيين من المتانة بحيث يحتمل الصدمات فطوقها بطواق من النحاس . ومن ثم علم الجند استخدام الرماح الطويلة ينلقونها تحت سيوف الاعداء وفقاً لضر باتهم التي يرسلوها من فوق .

وقف السلتيون على مقربة من روما عند شاطئ انيو وكان معسكرهم ممتلئاً من الغنائم التي أحرزوها . خرج كامى بجيشه وعسكر على نيل ناعم المرتقى تتخلله المغاور اختفى فيها معظم جيشه حتى يظهر الباقون فوق التل في هيئة المستسلم الخائف المعتصم بالمرتفعات . ولكي يدخل كامى هذا الوهم في

نفوس الاعداء لم يمنعهم السلب حتى في سفح النبل وبقى هو هاديا في معاقلة الحصينة . واذ رأى الاعداء قد تفرقوا البعض لاحضار العلف والباقون يلهون ويسكرون انتهز الفرصة وأرسل جنوده الخفيفة بهاجون البربر ويقاتلون كل من يلقونه ليمنعوهم التجمع والاصطفاف للقتال . ولما بزغ النهار نزل الى السهل وصف مشاته للقتال كثيرة العدد ممثلة حماسا لا كما توهمها البربر قليلة العدد خائفة القوى .

خفض السلتيون بعد هذا الهجوم من كبريائهم وشعروا أن القوم لا يرهبونهم . بدأت القوات الخفيفة التي كانت تأخذهم دراكاً وتمنعهم الانتظام في صفوف القتال فوقعتم بهم الفشل وأكرهتهم على القتال في غير نظام فمكن كل منهم يقاتل في المكان الذي دفعته اليه الصدفة . وأخيراً تقدم كام بجيشه فنهال البربر على الرومانيين بسيفوفهم الطويلة وقتلهم هؤلاء برماحهم الطويلة معرضين لضرر باتهم أجساما يغشاها الحديد فكانت سيوف البربر وهي من الحديد غير المسقى رقيقة الحدين تتحطم وتنتثر وقد انغرست في دروعهم الرماح فكانت حملاً ثقيلاً عليهم . تركوا سلاحهم وهجموا يخطفون من الرومانيين رماحهم . واذ رآهم الرومانيون يتنعمون عزلاً عمدوا الى سيوفهم وذبحوا الصفوف الاولى منهم . وأسرع الباقيون الى الفرار مشتمتين في السهل لان كامى كان سبقه فاحتل التلال والمرتفعات وقد علموا أن العدو قد استولى حتماً على معسكرهم . ويقال إن هذه المعركة وقعت السنة الثالثة عشر بعد استيلائهم على روما . تعلم الرومانيون في هذه المعركة أن يواجهوا السلتيين في غرم وثبات . لان فرعهم من أولئك البربر كان قد تمكن من نفوسهم الى درجة عزوا أكبر الفضل في هزيمتهم الاولى الى الارباء والامراض التي فتكت بهم لا الى شجاعتهم هم . يشهد بفرط خوفهم القانون الذي قرروه باعفاء الكهنة من الخدمة الحربية الا في محاربة السلتيين .

كانت هذه الموقعة آخر مواقع كامى لانه ما ظهر حتى استولى على فالبير
بلا قتال واسكن المشاكل السياسية كانت تنجىء له صراعا عنيفا كثير
المخاطر . اشتمد ساعد الشعب بهذا النصر فألح بالرغم من القانون القائم ان
ينتخب أحد القنصلين من الشعب . وكان الشيوخ يقاومونه بشدة .
وحرموا على كامى الاستقالة من الدكتاتورية آمليين أن يساعدهم مقامهم فى
حماية امتيازات الاشراف . حدث يوما اذ كان كامى يقضى فى الفوروم ان
تقدم اليه جلال موقد من قبل زعماء الشعب وأمره أن يتبعه موضعاً عنده
يده كأنه يقوده بالقوة . فحدث شغب بين الحاضرين لم يسبق له مثيل . دافع
الذين حول كامى ذلك الرسول الى ما وراء المحكة ولكن الشعب كان
يصيح أن ينزع الديكتاتور .

حار كامى فى أمره اذاء هذا الموقف ولكنه لم يشتغل بل سار ومن معه من الشيوخ الى
مجلس الشيوخ . وقبل ان يدخل حول وجهه الى السكاي يقول وتضرع للالهة ان تجعل
خاتمة هذا الشقاق المشؤم خيرا واندر لو انتهى الخصام ان يقيم هيكل (لوفاق)
(كونلوكرد) احدث تباين الآراء فى المجلس جسدا عنيفا . ثم تقلبت روح
الاعتدال فأجيب الشعب الى طلبه . وسمح له بانتخاب احد القنصلين من الشعب .
أعلن الديكتاتور فى جلسة الشعب قرار المجلس . فكان بطبيعة الحال فرح الشعب
عظيما جدا واتصالح مع الشيوخ وساروا بكامى الى منزله بين الهتاف والتهليل
والتصفيق . اجتمعوا فى اليوم التالى وقرروا اقامة هيكل للوفاق فى مكان يطل على
الغوروم ومحل الاقتراع وفاء ببنذر كامى وتخليداً لذكرى الصالح وان يقامى يوما
الى أيام الاعباء اللائيمية يحتفى بها مدة أربعة أيام . وان يذهب الجميع لغورهم
يقدمون الضحايا للآهة فى حفلة يحضرها جميع الرومانيين تتوج رؤسهم
أكايل الزهر .

تولى كامى زياصة حفلة انتخاب القنصلين فكان ماركوس امبليوس عن

الاشراف ولوسيوس سيكتيوس عن الشعب وهو أول قنصل اختير من العامة .
 أصيبت روما في السنة التالية بوباء الطاعون ففُضي على كثيرين من الشعب
 أفنى جميع الحكام تقريباً . وقضى به كامي ولئن كان كبير السن وحياته ملأى
 بما لم تنله حياة أى انسان غير ان الحزن لوفاته كان عاماً عميقاً لا تعدله وفاة جميع
 من ذهبوا ضحية ذلك الوباء .

الموازنة بين تيميستوكل وبين كامي لا توجد

بركليس

رأى قيصر جماعة من سرقة الاجانب في مدينة روما يحملون كلابا وقردة صغيرة يداعبونها فسأل الأتلد نساء هؤلاء : عبارة ملكية أشف عن تقريع اولئك الذين يخضون الحيوانات بتلك العاطفة التي اودعتها الطبيعة قلوبنا وجعلتها خصيصة للناس اذا كانت نفسنا تواقه بطبيعتها للمعرفة افلا يكون من الصواب ان نلوم اولئك الذين يسيئون الى هذه الحالة النفسية بتحويلها الى مالا يليق بعنايتنا واهتمامنا متعامين عن الجميل منا والنافع حقا ؟ ان الحراس تتأثر بلامسة الاشياء الخارجية وعليه يكون من الضروري ان يقف امامها متأثرة بما يحسها نافعاً كان أو غير نافع .

اما الغفلة فمن السهل اذا اردنا استخدامها ان نوجهها الى ما يرضينا من الاغراض او نحولها عنه . فالواجب المتعين علينا هو أن نتقن اثر الاحسن والافضل ولا يكفي ان نتأمل الغرض بل يجب ان نكون له مادة النظر انما هي مزيج من اللطافة والجاذبية : فلنتخير لعقولنا مناظر بهيجة تقودها الى الحسن الخاص بها . كالأعمال الفاضلة التي تنير فيها القدرة الصالحة وتحملنا على الاقتداء بها على ان اعجابنا بالشيء لا يحملنا دائماً على الاتيان بمثله فقد نعجب بالعمل ونحتقر العامل تسرنا الروائح الذكية وروية الارجوان ولكننا نضع صناعهما في مهنة العمل . وهذا ما قصه اليه من عبارته التالية التي لا تخلو من معنى . اثنى امامه على اسمانياس بان يحذق اللعب على المزمار . فقال « حسن الا انه رجل لا يصلح لشيء والا لما كان زماراً حاذقاً . » وحدث ان اسكندر وقع على العود لغفات شجية توقيع خبير فنان فقال له فيليب . « الاتجمل من ان تحسن التوقيع هذا الاحسان . »

الحقيقة انه كفى ان يشرف الملك المغنيين بالاصغاء اليهم اذا لم سمعت له شواغله
وكفاه تذكيرا لاله الشعر ان يشهد بحاملها .

كل عمل صناعي يدلنا ان كل من يشتغل بعمل غير نافع لا يعنى بالجمال
الحقيقي . فاما شاب طيب المنبت بحس مجرد رميته جوييز ينز او جومون ارغوس
بالرغبة في ان يكون فيدياي او بوليكليت ؛ او ان يكون انا كريون او فيلامون
او ارخيولك اذا طالع قصدهم بشية ولذة وليس من الحتم ان يحملنا الاعجاب بعمل
لرقته ودقته على احترام منشئيه . فلا يفيد الناظر الى بدائع الاعمال شيئا اذا لم
تحدث فيه الرغبة في النسيج على منوالها . اما الفضيلة فآثرها فيما مباشر وهو على
العكس من ذلك . فعجب بالمثل الاعلى وتحسن الرغبة في الاقتداء باصحابها .
نحب من الثروة امتلاكها والتمتع بها ونحب من الفضيلة الجرى على سنن الفضيلة
ذاتها لذلك نؤثر ان ننال حسنات الثروة من الغير ونحب ان نأخذ الغير عنا حسنات
الفضائل . ان الجمال يجتذبنا اليه بقوة تحدث فينا همة ناهضة ليست غريزة
التقليد بل هي الفطنة يجتذبها ما تحدثه فينا مشاهدة الجمال من اثر يدفعها الى العمل .
هذا مادعاني الى الاستمرار في كتاب شيد العطاء واضع هذا المؤلف العاشر
الذي يضم حياة بركليس وما كسيموس الذي حارب هيئبال : رجالان فضائلهما
واحدة واخلاقهما واحدة كلاهما عادل وكلاهما صور احتمال صنوف الشعب وزملائه .
وكلاهما ادى لوطنه اجل الخدم . ابحق لنا التقريب بينهما على هذا النحو ؟ هذا
ما يتضح من سرد سيرة كل منهما .

بركليس من قبيلة الكمنتيد من قرية شولارج وهو من جهتر والده ووالدته
سليل أسرة عظيمة عريقة . تزوج اكراتيب الذي قهر قواد ملك الفرس في
ميكاد ، من اجارست سائلة كلبيستين الذي طرد اليزيستراتين وقضى على
الاستبداد وسن الشرايع واعاد الى ائتنا الوفاق والطمأنينة بما ادخله الى
الحكومة من الاصلاحات الحكيمة . حصلت اجارست ان ولدت اسداً وبعدها

بإيام وضعت بريكليس . جاء المولود متناسق الاعضاء غير ان راسه كانت من الضخامة بحيث لا تتناسب مع تكوينه . لذلك تعمد المثلثون عند إقامة التماثيل له ان يقيموا على رأسه الخوذة . خشية ابراز ذلك العيب . ولكن الشعراء كانوا يدعونه علانية (شينوسيفال) يريدون الفضيلة البحرية . وقد عني كراتينوس (١) في احدى رواياته بقوله . اولد سنا تون القديم اله « الغواية » مستعبدا كبيرا دعتة الآلهة « سيفال جيراتاس » (صاحب الرأس الضخم) وقوله في رواية ديماريس « تعال باجوبتير المضيف باصحاب الرأس السعيدة أو الضخمة » (٢) . وقال (تالا كليد) (٣) « ان بريكليس كان حائرا في امر نفسه لا يدري مصيره تارة يجلس في المدينة مستندا رأسه الثقيلة بين يديه . وتارة تنفجر من رأسه ضجة تشبه ضجيج الرعد . » وكان ابوليس (٤) يزعم ان زعماء الشعب يعدون الى العالم . واذا كان يستعرضهم الواحدة بعد الآخر ويسأل قائده عن اسم كل . وكان بريكليس آخرهم .

« قال اخيرا خرجت الرأس من الجحيم ؛ »

أجمع أكثر المؤرخين ان دامون أستاذ بريكليس في الموسيقى ولكن أرسطو يقول انه تعلم الموسيقى في مدرسة بيتوكليد . والظاهر ان دامون كان سوفسطائيا ماهرا (أستاذا بارعا في فنون الكلام . يخفي تحت ستار لقب الموسيقى عن العامة نزغته الحقيقية . لزم بريكليس كما يلزم معلمو السلاح ومولسكو الزيت ، المصارع . ولكنه كان يعلم الصراع السيامي . وأخيرا على ان « مزهره » لم يكن سوى ستار خداع يخفي دونه مؤامراته المريبة وميله للاستبداد . نفى بالاقتراع السري وصار

(١) شاعر روائي قديم .

(٢) تحتمل الكلام اليونانية المدين .

(٣) شاعر روائي اخراقل شهرة من كراتينوس

(٤) هو وازيس توفان وكراتينوس اشهر الشعراء الرواين القدماء

اسم مضغة في أفواه الهازلين من الشعراء . ووجهه اليه أفلاطون (١) في احدى رواياته على لسان احدى مخاطبيه العبارة التالية :

أرجو اليك ان تقول لى قبل كل شيء ؛ الست انت ياثيرون ، الذى يقال عنك انك مهذب بركلييس . ؟

كان بركلييس يحضر دروس زينون (الايلي) مدرس الطبيعة في مدرسة بارميتيا . وكان زينون هذا يمدق صناعة الجدل اذا جادل أخصم خصمه قال عنه تيمون الفيليازي ما يأتى : صاحب اللسانين ، قدرة لا تغلب ؛ زينون . القاهر في كل خصام .

ولكن الذى كان بركلييس يكثر من مباشراته ، ذلك الذى تصفه رقيق اللمعة وسمو العاطفة ونفخ في نفسه روح تلك الكبرياء التى لا تليق بحكومة ديموقراطية . وغرس في أخلاقه وأساليبه تلك النبالة . والآباء . هو اناجازكور الكايزوميقي . الذى كان يدعو معاصروه العقل لا عجايبهم بنفوذ بصره الى ما يفوق الحدود البشرية ودقة معرفته بالطبيعة ولانه أول من عزا تكوين العالم ونظامه لا الى الصدفة ولا الى الضرورة بل لقدرة روحية طاهرة لا يمازجها شيء . وهى التى أخرجت من الخلاء . (الكاوس) جميع العناصر المتشابهة وجمعت بينها . (٢)

كان بركلييس كثير الاحترام لانا جزا كور الذى أخذ عنه علم الاحواء والطبيعة . وعليه تأدب فكان له ذلك السمو والرزانة العقلية ونبالة العبارة وخلوها من تكلف خطباء المنابر وخسة التراكيب المبتذلة . تنطق ملامح وجهه بالجد وتبعث الهيبة لاثمر بها ابتسامه . متأد في سيره وانطلاق صوته دائماً فى اتساق وانتظام معتدل فى موقفه وحركاته لا يغير من ثيابه اذا تسكلم لا يتأثر لشيء مهما تمازعت الاهواء . وأخيراً كل ما جعل من بركلييس موضع اعجاب عام . حدث

(١) شاعر هزلى معاصره له

(٢) الجزء الاول من كتاب ماوراء الطبيعة لارسطو .

يوما ان شاب فاسد الخلق خسيس التربية اهانه واكثر من سبابه في المنتدى العمومي . فلم يعمل بركليس سوى انه استمر في عمله ينظر ما بين يديه ويصرف شؤنه المستعجلة ولم يجب بكلمة على تلك المسالب ومتى غربت الشمس عاد الى منزله هادئ البال وذلك الشاب يتبعه بصيحاته وسبابه ، ولما بلغ باب منزله امر احدا اتباعه ان يحمل مشعلا وينير سبيل الفتى حتى بيته .

قن الشاعر يون (١) انه كان كثير الكبرياء والاباء كثير الدعوى يزدرى الناس . ، أما سيمون فكان رجلا وديعا لطيفا يلين لكل شيء ويرضى جميع الناس . لندع الشاعر يون الذي بحسب أن الفضيلة تمثيلا روائيا لا بد أن يكون للهزل فيه نصيبا . (٢) على أن زيتون كن على العكس من ذلك اذا سمع أحدا يقول ان الجلال الذي يصطنعه بركليس ليس سوى قحة وفخفة دعا القائل ان يصطنع مثلها لان التكلف يصير بنا على الى كلف بالعظمة الحقيقية فنعنادها على غير علم منا .

ليس هذا وحده بركليس من معاشره اناجز اكور فقد تعلم منه الزراية بذلك الخوف الوهمي الذي تحدثه الانقلابات الجوية في نفوس الجهال الذين لا يعرفون اسبابها فتعشاهم لجهلهم الفلق والاضطراب واهمين أنها من علاقات غضب الآلهة . اما المستنير الذي يعلم قوانين الطبيعة فانه يحترم الآلهة بين الظآنينة والامل بدلا من العبادة الخرافية الواجلة .

حدث يوما ان احضر الى بركليس من الحقل رأس كبش ليس بها سوى قرن واحد . لاحظ العراف لاميون أن القرن نابت في وسط الجبين وانه قوى ومتين . وقائل في تأويل هذا الحادث « ان توسيديد (٣) وبركليس يدبر

(١) شاعر تراجيدى (مأساة) معاصر لبركليس

(٢) كانت العادة في ذلك العصر أن يقدم الشعراء اربع روايات يكون احدها هزلية وديوانية ، تقوم بتشابهها فرقة من المهرجين الهجائيين .

(٣) قائد اثينى . غير المؤرخ المعروف بهذا الاسم .

ان اليوم شؤون الحكومة . ولكن السلطة كلها ستجتمع بين يدي من وجدت في حفلة هذه المعجزة . « ولكن انا جزا كور شق ههذه الرأس واظهر أن المنح لا يملأ الفراغ المعدلة . وانه غير متصل بجو في الجوفة فانكس واستطال في شكل بيضة في النقطة التي تثبت فيها أصول القرن . اعجب الناس أولا بما شرحه انا جزا كور ثم عادوا فاعجبوا بتأويل لاميون لان حزب توسيديد تلاشي واصبحت الحكومة كلها في قبضة بركليس . ومن الغرائب النادرة ان يتفق العراف والعالم الطبيعي في بيان صادق . شرح احدهما سبب هذه المظاهرة والآخر ما انطوت عليه من نبوءة . بحث الاول عن العلة والمكيفية التي احدثت هذه المظاهرة . وبحث الآخر عن الغرض وما ينبغي به . فالذين يدعون أن اكتشاف سبب المعجزة يبطل المعجزة . ومعناها ، لا يدركون اهم بقولهم هذا يبطالون العلامات التي ترسلها الينا السماء . والعلامات العرفية التي خلقها يد الانسان كصوت الدف وضوء الفوانيس : كل شيء لغرض اعداله .

على أن هذه اراء ليس هنا محل بحثها .

كان بركليس في أول شبابه شديد النفور من الشعب : وكانوا يرون في وجهه ملامح الطاغية بيسسترات ولاحظ شيوخ لندينة أنه يشبهه في رقة صوته وسهولة كلامه وبلاغة عباراته وكانوا يخشونه ويخافونه . غنى ، سليل بيت عظيم وثيق لصلته بعطاء الدولة . داخل بركليس الخوف من أن ينفي بالافتراء السري ، فلم يتدخل في السياسة ولكنه في الحروب لا يدخرو سماعا يخوض مخاطرها غير مبق على نفسه . مات اريستيد ونفي تيميستوكل وسيمون في شغل شاغل بمعاملته البعيدة عند ما ابتداء بركليس الاشتغال بالاعمال العمومية . انضم الى حزب الشعب مفضلا الكثرة العتيرة لوفرتها على الاريستقراطية (حزب النبلاء) لقلة عدد أفرادها . وليس معنى هذا أنه شعبي بطبيعته الا أنه خشي الاتهام بالرغبة في السيادة المطلقة ، وقد رأى سيمون

مخلصاً للارستوقراطية ومعبود الطبقات العليا والاشراف فارقي في حضن الشعب ليطمئن على سلامته . ويتخذ منه عضداً واداة ضد سيمون

ومن هذا العهد أخذ نفسه بعادات جديدة . لم يره أحد في شوارع المدينة الا ذاهبا الى مجتمعات الشعب أو مجلس الشيوخ وقد عدل عن الولائم والحفلات والمسامرات ولم يتناول العشاء وهو على رأس الحكومة على طول مدتها عند أحد من أصدقائه الا أنه حضر مرة وليلة عرس ايريتوليم بن عمه على أنه بارح المكان بعد غسيل الايدي مباشرة . والحقيقة أن ليس اضر بالعظمة من الاختلاط يجب على من يطلب احترام الناس الا يبذل نفسه وهذا اجل واكرم ما في الفضيلة الحققة . لأن اعجب جمهور الناس بحياة العظماء الخاصة فمما احباب اصدقائهم بحياتهم الداخلية باقل من ذلك . كان بريكليس يخشى ان يمجحه الناس اذا رأوه على الدوام فكان يباعد بين مواضع الظهور . لا يتكلم في كل شأن ولا يتقدم دائماً يبقى على نفسه للمواقف الحرجة كأنه كما قال كريتولاوس سفينة سلام . وفي غير ذلك ينيب عنه اصدقاءه والمخلصين له من الخطباء مثله في ذلك مثل « افياالت » الذي اضعف نفوذ الاريبوباج (المجلس الاعلى لحكومة الشعب) الذي قال عنه افلاطون (١) انه ملأ الكأس دهاقاً من الحرية الخالصة وقدمها للشعب ، ويقول المهرجون من الشعراء ان الشعب قد ثمل وصار جوادا لاحتك له لا يعرف الطاعة . فعرض على أوييه . ورثب على الجزائر .

عمد بريكليس لتقويم بيبانه وجعله اداة صالحة لافكاره ، ان يستقى من معين اناجزا كور فاكسبت العلوم الطبيعية بيبانه متانة وقوة واذا كانت الطبيعة قد حبتة عواطف سامية وارادة صابرة نافذة كما كان يقول افلاطون الاثني (٢)

(١) في الكتاب الثامن من الجمهورية .

(٢) في اخر فيدر .

التي استمدتها من الفلسفة الطبيعية يضيف اليها مهارته في استخدام كل شيء عند ما يريد التدليل على امر يقصد اليه . وبهذا يز جميع خطباء عصره . ولعل هذا سبب تلقيبه بالأولمبي يظن البعض ان السبب في ذلك هو كثرة مازائدية المدينة من التماثيل . ويظن البعض ان ذلك يرجع الى مهارة في ادارة احكومة والحروب ولا مانع ان يكون سبب هذا للشعب راجع الى جميع هذه الخلال الكريمة النادرة على ان هذا لم يخله من عنيت الهجائن فما كثر ماقلوا فيه جدا وهزلا . وكاهم مجمعون على ان فصاحتها هي التي كسبت هذا القاب ، فمن اقوالهم أنه اذا اعتلى المنبر ارعد وابق وأن صوته كالصاعقة . ومما يؤثر حكمة توسيديد من ميلازيوس عن قدرة بوكليس في الخطابة كان توسيديد من اشهر اعيان اثينا وكان دأبه معارضة بركليس . سأل ارخيداموس ملك سبارطه . (لاسيدومتيا) يوما أيهما يشد بطشا في المصارعة هو أو بركليس . فقال . « اذا صرغته صاح لم اسقط ، اري الجميع الواقع ولكنهم ينتهوا الى تصديقه واعتباره غالبا . »

على أنه لم يتكلم الا حذرا جدا وكل مرة علا المنبر توسل قبلها للآلهة الاتزلف منه كجة ضد ما يقصد اليه . لم يخلف شيئا مكتوبا سوى مراسيم . ولا يروى عنه سوى القليل من الكلمات النابغة مثال ذلك قوله عن جزيرة اجين « يجب ازالة هذه النقطة عن عين بيره » وقال في مقام اخر . « اري الحرب تركض من البيلوبونيز » اطرى سوفوكل زميله في قيادة البحريه . امامه محاسن فتى فقال . « ان القائد ياسوفوكل يجب ان يكون طاهر اليدين والعينين ايضا » وقال ستازمبروت ان بركليس في الخطبة التي القاها تأييدا لقتلى حرب ساموس قال : « لقد صاروا خالدين كالآلهة ، انا لانرى الآلهة . ولكن القربان الذي تقدم اليهم والحسنات التي نناها منهم تشعرنا انهم خالدون . هذه حال الوطنيين الذين يموتون فداء وطنهم . »

منل لنا توسيديد (١) حكومة بركليس كأنها شكل من اشكال الاريسوقراطية

(١) المؤرخ في الكتاب لثاني من تاريخ حرب نيلوبونيز .

أطلقت عليه نكبة ديمقراطية وماهى إلا إمارة يديرها رئيس الحكومة . ويقول البعض ان بركليس هو اول من ادخل الشعب في توزيع الاراضى المنتجة واعطاء المال لحضور الحفلات والقيام بواجباته المدنية (١) ففسده وعلمه الاسراف والخروج عن الطاعة وافقده الميل الى الحكمة والعمل : وسبب هذا التغير ناجم عن الحوادث ذاتها . رأينا ان بركليس حرصا على سمعته ازاء سيمون تقرب الى الشعب ولكن سيمون كان على ثروة عظيمة كثيرة الموارد يستخدمها في اعادة الفقراء بقيم الموائد لكل زائر يكسو الشيوخ حتى انه رفع الجواهر عن املاكه ليستطيع كل انسان الدخول اليها بجنى ما شاء من ثمارها . ولكن بركليس كان أقل منه مالا ولذلك أقل شهرة عند الى الماء يبذله من الاموال العمومية . عملا بتصيحة ديمونيد الايوى على رواية ارسطو . وزع النقود على الجمهور ليتمكن من حضور الحفلات والمحاكم وغيرها ، تولى مهمة المتعهد (٢) وبذلك أغرى الشعب . وصار الشعب فى يده أداة يستخدمها ضد مجلس الحكم الاعلى . الذى لم يعد له الحظ قط أن يكون أحد أعضائه . ولا حكام ولا رئيسا للضحايا ولا *Polémargín* . وهذه مناصب لا تنال إلا بالاقتراع تسمح لمن نالها وقم بشؤونها خير قيام ان يكون فى عداد أعضاء المجلس الاعلى . اغتتم بركليس ذلك للمقام السامى الذى رفعه اليه الشعب وأوقع الاضطراب فى المجلس وحرمه بواسطة الفيات معرفة الكثير من الاعمال . ونفى سيمون بالاقتراع السرى بحجة أنه من أنصار اللاسيديموتين (السيارطين) وانه شديد المقاومة لمصالح الشعب . نفى الشعب سيمون وهو من أكبر الاسر الشريفة وأغناها فى أثينا وهو القائد الذى قهر الاعداء وانتصر عليهم انتصارات باهرة . وملا المدينة من الغنائم والاسلاب كما روينا فى تاريخ حياته . الى هذا الحد بلغ نفوذ بركليس على الشعب .

(١) انظر ارسطو . السياسة من ١ - ١٩

(٢) المتعهدون هم الذين ينفقون على الولائم والحفلات التى يتعهدونها .

حدد القانون مدة النفي (بالاقتراع السرى) عشر سنوات ولكنه حدث
بعد خمس سنوات من نفي سيمون أن جيشاً عظيماً من السبارطيين اعتدى
على أرض تانجر فذهب الاثينيون لملاقته .
رأى سيمون ليغسل عن نفسه تهمة الميل الى السبارطيين أن يحرق
حكم النفي فقدم الى مقاتلة السبارطيين مع رجال قبيلته يشارك قومه فيما
يعرضون له من المخاطر . ولكن أصدقاء بركليس أوقفوه وأكرهوه على الانسحاب
بحجة أنه منى . فاضطر بركليس أن يبذل أقصى جهده وأن يستبسل في القتال
الى ما فوق طاقته حتى لا يفوقه أحد . أما أصدقاء سيمون الذين اتهمهم
بركليس أيضاً بالميل الى السبارطيين فقد استهدفوا لغوت حتى ماتوا جميعاً
في ذلك اليوم .

دارت الدائرة على الاثينيين عند حدود اتيكا وتوقعوا حرباً مهلكة في
الربيع القادم فقدموا على ما قرروه بشأن سيمون واسفوا لغيبه . أدرك بركليس
عليهم ذلك فلم يتشدد في مقاومتهم وأسرع فكتب بنفسه مرسوماً باستدعائه
وحمل المجلس على قبوله . ما عاد سيمون حتى انتبه فرصة عطف السبارطيين
عليه وكانوا يحبونه بقدر بغضهم لبركليس وغيره من ملقى الشعب وزعمائه ف عقد
معاهدة صلح بين الجمهوريتين ويقول الكثيرون من الكتاب أن بركليس لم
يكتب طلب إعادة سيمون الا بعد أن عقد معه بواسطة اليمينيس أخت سيمون
اتفاقاً سرياً . تعهد فيه سيمون بقيادة مائتى سفينة حربية والسير بها لمحاربة ملك
الفرس . وأن يبقى بركليس في اثينا يتولى الساطة كلها . والظاهر أن سيمون
وقع يوماً تحت تهمة الخطرة فنهض اليمينيس الى استماله بركليس أحد من أنابهم
الشعب في اتهام أخيها . قابلته وتوسلت اليه مستعطفة فقال لها « يا اليمينيس انك
أكبر سناً من أن تظفرى بقضية هامة كهذه . » ومع كل لم يتكلم سوى مرة واحدة
وكان كلامه في موضوع التهمة كمضطر الى أداء واجب ثم انسحب وكان أقل المدعين

على سيمون شاة . فكيف نصدق بعد هذا دعوى إدومينه (١) ضد بركليس
يتهمه بقتل أفيالت غيرة . وهو صديقه وشريكه في مشروعاته السياسية الاندرى
من أين أتى إدومينه بهذه الفرية ضد رجل لا يقول ، بلا عيب في
جميع أعماله بل ضد رجل عرف بعواطفه الشريفة وشدة حبه لهجد مما لا يتفق
مع وحشية كهذه

أوقع أفيالت العرب في نفوس أنصار الاوليجارشيه (حكم طائفة من الرجال)
فكان يضطهد ويتعقب كل من شكوا الشعب منه ، سقط في كمين قطعنه
سفاح مستأجر . يدعى أريستوديركوس من تانجر ، بخنجر . هذرواية ارسطو . أما
سيمون فقد لقي حتفه في جزيرة قبرص أثناء قيادته

لما رأى الاشراف أن بركليس أصبح أول وأعظم رجل في الدولة
بحشوا عن رجل يقف له يضعف من سلطانه وينمعه التحول الى ملكية مطلقة أقاموا له توسيديد
من الويس وهو رجل قوى العارضة وصهر سيمون كن أنل من قريبه كتابا في فنون الحرب
ولكنه اقدر منه في فنون الخطابة وإدارة الاعمال العمومية . واذ كان يسكن
المدينة فلم يحتاج لاكثر من مساجلة بريكليس على منبر الخطابة مرات حتى
استقر التوازن بين طبقتي الدولة . لم يكن لمن ندعوم رجال الخير والنبيل اى
الاشراف هبة نظامية . بل كانوا مشتتين في كل ناحية متميزين بالشعب تتلاشي
قدراتهم وجدارتهم بين الجماهير . منع هذا المزج وفرز الاشراف وجمعهم في هيئة
منظمة . وكل من نفوذهم قوة تعادل نفوذ بريكليس . كان التمييز بين الاسر قديما
ولكنه كان ضائعا كقشة في كتلة من حديد . لا تدل على اختلاف الاجناس الا
دلالة خفية ، الشعب والاشراف . ولكن المنافسة والطمع اللذين فشيا بين هؤلاء
الاشخاص فشطرت الشعب الى شطرين بارزا بين الشعب . والنبلاء .

(١) من لامبساك كتب تاريخ تلاميذ سقراط وتاريخ ساموطراس وحاش في القرن
الرابع قبل الميلاد .

ولهذا السبب اطلق بريكليس للشعب العنان لايهمه سوى رضاه بملأ
المدينة اعيادا وحفلات بولاً ثم يعود عادات لا تخلو من اناقته . يرسل كل سنة ستين
مركبا عليها عدد عظيم من الاثنيين ويقدرون على الاعمال البحرية مدة ثمانية
شهور تدفع لهم اجور ثم ارسل الفا الى شرسونيز وخمسمائة الى تاكسوس ومائتين
وخمسين الى اندروس والى آخر الى تراس في بلاد اليزالتين ثم عمر سيباريس من
ايطاليا التي اعيد بناءها باسم توريوم وبذلك اخلى المدينة من العاطلين الذين تثيرهم
اهواء خبيثة وسد حاجة الفقراء واقام بين الحلفاء ما يشبه الحاميات تلزم الرعاية
وتمنعهم الاقدام على حدث جديد .

ولسكن ايهيج من سر قلب اثينا وحلاها باجل ما تزدان به . وكان موضع
اعجاب العالم ، ذلك الشيء الوحيد الذي يشهد اليوم بتحقيقه ما يقال عن عظمة
اليونان ومجدها السابق هونك المباني الفخمة التي شادها بريكليس . وهذه الآثار
كانت موضع شكاة وتذمر خصوصهوا كثيرا شنعوا به على ادارته . يجهرون بذلك
في المجتمعات ويرفعون اصواتهم بالاحتجاجات . ومن اقوالهم . « لقد اهدمنا الشعب
وارتدى العار بسجبه من دالوس اموال اليونان العامة . يستعملها لمصلحته الخاصة
لقد حرمتنا بريكليس من أقوى حجة كنا نقف بها في وجه من يتهمنا وهي انا كنا
نخفي اموالنا في دالوس خشية ان يستولى عليها ابربر . ألا يكون لليونان الحق
ان تعد من الاهانة والظلم ان تأخذ الاموال التي اخزنتها للانفاق على الحروب
الوطنية ، فنصرفها في تجميل وتزيين مدينتنا نحن حتى نجعلها كغانية مثقلة بالجواهر
والعقود الثمينة . لاقامة تماثيل وبناء هياكل بلغت نفقات احدها الف تالان . ؟
اما بريكليس فله في ذلك رأى آخر . ومن اقواله للشعب . « لست مدينا
لاحد من الحلفاء بحساب عن امواله . بما انكم اتم وحسدكم تحاربون عنهم .
وتبعدون البربر عن يونان . لا يقدمون اليكم جوادا ولا سفينة ولا
رجلا سوى اموالهم . ومتى اعطى المبال اصبح ملك الذي تسامه

الالذي اعطاه على شريطة ان يقوم المستلم من تعهد به عند استلامه . ولقد
وفيتهم عهدكم في الحروب ونو فر لكم كل ما يلزمكم هذا . فاذا امتلأت
الخزائن الا يكون العدل ان تنفقوا المدخر في تشييد المجد الخالد لمدينتكم
تتعم بعد اثينا بعد انجازها برضاء يسمح لها بترقية صناعاتها في كل فن . لقد
نشأت حاجات جديدة اشغلت جميع القرائح والايدي وجعلت الوطنيين جميعاً
اجراء الدولة . وعليه تكون المدينة قد استمدت . من نفسها جمالها ومادة حياتها .
يتناول كل من تسمح له سنه وقوته بالخدمة العسكرية اجره من الخزانة العامة اما
الصناع الذين تعفيهم صناعاتهم من الخدمة العسكرية فقد لا يجرؤوا من الفائدة
بلا كل ولا تحول . لهذه الاسباب وبالصالحه الشعب شرعت هذه المباني التي
تتطلب جملة الفنون والصنائع وستطلبه زمناً طويلاً . وهكذا ينال المقيمون من
الاهالي حقوقهم من الايرادات العامة كالذين يجوسون البحار بعمارتنا والذين
يجرسون قلاعنا والذين يحاربوننا . لدينا الحجارة ، والنحاس والعاج والذهب
والابنوس . وقد عملت في هذه المعادن جميع ايدي الصناع . من
نجارين وبشائين وجدادين وحجارين وصياغين ونقاشين وبرادين وخراطين .
وتستعمل في البحر لنقل هذه المواد السفن التجارية . وبحارة ونوتية الدولة .
وتستعمل في السبر الجمالين وسوقه العربات ومن ثم جميع ارباب الصناعات والمهن .
ولكل صناعة جيش من العمال لا يملك سوى ذراعه فهو اداة وقوة يستخدمها
رؤساء المعامل . هكذا يوزع العمل الى هنا يوزع اسباب السعادة في كل مكان
بين جميع الطبقات من كل سن وفي كل ظرف .

برزت هذه المباني في عظمة حقيقة بالاعجاب بين الجمال والدقة اللتين
لا مثيل لهما . لان الصناع كانوا يتنافسون في اتقان دقة الفن جمال البناء في
جملته . وكان أعجب ما يعجب له سرعة الانجاز والحقيقة أن جميع هذه الاعمال
التي يحتاج كل منها إلى جملة سلالات متعاقبة لاتمامها وانجزت وتمت في حكومة

رجل واحد . وحينئذ فاخر المصور اجازته بالسرعة والسهولة التي مثل بها
الحيوانات فاجابه زوكسيس قائلا « وانا افتخر ببطلتي . » والحقيقة ان السرعة
والسهولة لا تجعلان العمل متيناً ثابتاً ولا تكسبانه جمالا محكما : فلوقت والمواظبة
على العمل يكفلان بقاءه قروناً لذلك يشعر من يشهد اثار بركليس باعجاب
عميق بعد ما مر بها من القرون مع أنها انجزت في ذلك الزمن القصير . ما انتهى
احدها حتى يشعر مشاهدها لدقة جمالها أنها من الآثار القديمة ويرى في طلاوتها
متانتها فمن يراها اليوم يحسبها من صنع اليوم . لابقاعها كزفرة ينعة تملأ
العين بهجة . لا تدب له يد الزمن . كأن روح الحياة لا تفارقها واودعتها نفسها لا يدركها
الكبر . وكان في اثنينا حينذاك طائفة من مهرة المهندسين والصناع تولى فيدياس
ادارة ورقابة جميع الاعمال . وشاد كاليبكر اتواكتينوس النبا المعروف باسم
يارتينون هيكتينيدون . اما هيكل اسوار الوزير فقد شرعه كوروبوس
واقام الطابق الاول من الاعمدة ورسم التصميم واذا توفي قبل تمامه ، تولى العمل
فيه ماتاجينس من جزريت وحاطه بسور واقام الطابق الثاني من الاعمدة
وانجز حيز توكلس من شولارج قمة المقدس . اما السور العظيم الذي قال سقراط
انه سمع بالشروع فيه فقد تولى بناءه . كاليبكرات ولكنهم تمل طويلا في انجازه
فعرض به كراتينوس في احدى رواياته . قائلا : بجهد بركليس نفسه في الحث على
العمل كلأما . اما عملا فلا شيء .

اما الاوديون وكان في داخله جملة صفوف من المقاعد والاعمدة فكان سقفه
متمنيا على نفسه ليتسامى الى نقطة ويقال انه مبني على مثال ضحية ملك الفرس .
وان بركليس نفسه هو الذي وضع رسمه بيده . وقد أشار كراتينوس الى ذلك في
رواية « التراسيات » بالعبارات الآتية :

هاك جوبتير شينوسيفال (كبير الراس)

بركليس على رأسه أوديونه .

شامخا بانفه لنجاته من الاقتراع السرى .

واذ ذاك أصدر بركليس رغبة في ازدياد الشهرة . مرسوما بامر الشعب ان توزع في اعياد باننا تنبيذ جوائز عن الموسيقى . وكان هذا حادث جديد . عين حكماء فحدد كل نوع . المزمار والغناء والعود (المزهر) جرت المسابقة في اوديون ولا تزال تجرى هناك المسابقات الموسيقية .

أنجز المهندس منفريكلس

في خمس سنوات . وقد وقع في خلالها حادث لا يدل على قبول الآلة ورضاها فقط بل ويدل على رغبتها في الاشتراك والعمل على انجازه . والحادث ان بينما كان أمير العمال وأنشطها في أعلى السستار ذلت قدمه وهوى الى الارض وبلغ من شدة الصدمة ان ينس الأطباء من شفاه . اغتم له بركليس غما شديداً ولكن الآلة تراءت له في حلم وعلمته دواء استخدمه لمصاب وكان شفاه سريعاً وبلا غناء . ذلك أمر بركليس ان يصب تمثال مينرفا « الشافية » برزاً واقمه في الاكربول بالقرب من المذبح الذى يقال انه كان هناك .

اما الذى صنع التمثال الذهبى للآلة فهو فيدياس وقد نقش اسمه على القاعدة . وهو كان كما قدمنا مستولياً ادارة جميع الاعمال ورقابة العمال . وهذا شرف يرجع الفضل فيه لما كان بينه وبين بركليس من الصداقة . وكان هذا سبباً لتلك الاكاذيب والمفتربات والمخترقات التى تحدث بها خصوصاً بلصقونها بهذا وذلك . من ان فيدياس كان يستقبل النساء الطليقات اللواتى كانت تأتى بحجة مشاهدة الاشغال فيلقى بين بين يدى بركليس واتخذ المهرجون من الشعراء هذه الارجاس عداة للتمكيم والزراية ببركليس . ومن أقوالهم انه يعاشر امرأة ماينبوس صديقه ووكيله . وان بيريلامب صديق بركليس الحميم يربى العصافير والطاووس ليقدمها هدايا للنساء اللواتى ينعم بهن بركليس . ولا موضع للغرابة من اناس اصطنعوا الفرية يبخرون بها أمام بغض الشعب كما يبخرون لاله شرير افتراء على كل عظيم . كيف نعمحب

لرجل مثل ستازميروت الناموسى يرمى بركليس باشنع التهمة مدعيا عليه انه يعاشر امرأة ابنة : فن أصعب مايعانى المؤرخ فى البحث عن الحقيقة . توكله فى الماضى رآها مختفية تحت حكم أهواء عصرها . ولو أرادها فى الحاضر رأى أهواء البغض والحسد من ناحية وأهواء التماق والتقرب من ناحية أخرى تقضى على معالمها

اشتد خطباء حزب توسيديد فى تقرير بركليس يتهمونه بالتبذير والتبديد فى الاموال العمومية وتقدم بركليس الى الشعب يسأله ، هل يظنه أسرف فى الانفاق . فجابته الشعب ، بقوله « اسراف فوق الحد » فقال بركليس حسن أتحمل أنا وحدى النفقات على شريط ان ينقش على كل من هذه الآثار اسمى أنا وحدى » فادعى الشعب هذا الكلام حتى صاح مدفوعا بعامل التأثير من عظمة نفسه أو رغبته فى ان لا يترك للأجيال القادمة هذا الجذله وحده . قائلا خذ من الخزينة ماشئت وانفقه كما تريد بلا حساب . اشتدت الخصومة بين بركليس وتوسيديد حتى رأى ذلك ان يعرض نفسه لخطر الاقتراع السرى ؛ هزم توسيديد وبدد بركليس شمل أنصار خصمه أمضى العداء السياسى ولم يبق فى أثينا سوى عاطفة واحدة ونفس واحدة حتى صح القول ان أثينا هى بركليس .

الحكومة والمالية والجيش والسفن والسيادة على الجزر والبحار والسلطة المطلقة على اليونانيين ، والسلطة المطلقة على الأمم المتوحشة والشعوب الخاضعة الصامتة تعين عليها صداقة ومعاهدة الملوك القوية . اجتذب اليه كل شىء وقبض على كل شىء ولاكنه لم يبق على ماكان عليه لم يبق هوذلك الديما جوجى « المملق الشعبى الحائر بين الاهواء الشعبية . الخالص السهل الذى يسلم بكل مايشتهييه الشعب . فبعد ان كانت حكومة محلولة العرى متراخية كأنها مزهر لا تحدث اوتاره سوى اصوات ناشرة مهمة قبض على اعنتها بقوة جديدة وشدها بيد تكاد تكون ملكية . لا يستعمل للوصول الى العرض الانهى سوى وسائل مستقيمة لا مآخذ عليها : يجتذب الشعب الى وجهة بطرة بقوة التعقل والاقناع واذا تعنت الشعب استعمل الشدة

والا كراه ليعود به الى الصواب كأنه طبيب يعالج مريضاً ازمن دواؤه وانتابته
عوارض مختلفة . فتارة يسمح للمريض بتناول ما يرضيه ولا يضره . وتارة يسقيه
دواء مرّاً يعيد اليه الصحة وما أكثر اسباب الثورات في ممالك مترامية الاطراف
وكان وحده القدير على طب هذه الادواء السياسية يحرك العقول بين الامل والخوف
يدير هذه الدفة المزدوجة بمهارة فيرجع الشعب عن ثورته اذا احتاجه الغضب
وينهض عزيمته اذا خارت قواه . اثبت بريكليس أن الخطابة كقال افلاطون (١)
اصناعة امتلاك العقول وانها قائمة قبل كل شيء على معرفة الميول والاهواء وهي
صوات ورنات النفس يخرجها لمس يد الصناع .

لم ينل بريكليس هذه السلطة العظمى بفضل بلاغته فقط بل يرجع الفضل
فيها كما قال توسيد . (٢) لشهرته والثقة التي كسبها . لم يكن المال اثر في نفسه ولا
للافساد سبيل اليها ذلك الرجل الذي وجد وطنه عظيماً ناعماً فرفعه الى قمة العظمة
والسعادة . وكان اقدر من الملوك والطفاة والذين أورثوا أبناءهم الملك فلم يرد درخما
واحداً على ثروة البلاد التي ورثوا ملكها عن آبائهم . ابان لنا توسيد في وضوح
وجلاء سيادة بريكليس ولكن الهازلين من الشعراء صبوا عليه عباراتهم المتكئة
قائلين ان حان الوقت ان نأخذ عليه عهداً ألا ينادي بنفسه ملكاً مطلقاً لأن سلطته
نقلت على ديمقراطية لا يحتملها . وقال تاليكايدي ان الاثنيين سلموا اليه ايرادات
مدنهم ومدنهم ذاتها يقيد بعضها ويحل رباط البعض ؛ واسوار من الحجر يبنونها
ثم يهدمها .

واطلقوا يده في عقد المعاهدات ، والجيش والسلطة والصلح ، والمالية وكل
ما يتعلق بسلامتهم وسعادتهم .

لم تكن حكومة بريكليس فرصة عارضة أو قدرة عابرة لقد بقي اربعين سنة

(١) في فيدر

(٢) الكتاب الثاني من تاريخه

وهو في المقام الاول من وطنه وفيه كثير من امثال افيالت ، ولبنوكرات ومير ونيد ،
وسيمون وتوليد ، وتوسيديد وبعد نفى توسيديد ونشئت حرب ، بقي بركليس
خمسة عشرة سنة في منصب الرياسة بينما كان القواد الآخرون يسدلون كل
سنة . وبقيت له القيادة العليا والحكم بلا انقطاع لم تخدعه فيها شهوة مالية وليس
معنى هذا أن شيأ من امواله الخاصة واملاكه الشرعية تأثر باعماله المالية او انه
كان لايعنى بدقائقها الا أنها لم تكن لتشغله عن مهامه السياسية ، صان ريعه بأبسط
الطرق وهى الاقتصاد المنزلى يبيع حاصلاته كلها ثم يشتري مايلزم على قدر
ايراده وبذلك يحفظ التوازن بين الايرادات والمصروفات اليومية ولم يكن هذا
ليرضي ابناءها الذين صاروا رجالا ولا نساء هم يرونه شحيحاً مقترراً يعيبون
عليه هذه الدقة في المصروفات اليومية . وهذا الحساب الدقيق وعدم السعة
التي تحق لبديت غنى وكان يتولى هذه الادارة وكيمله ايفنجيلوس رجل حبيبه
الطبيعة الكفاية لمثل هذا العمل أو أن بركليس دربه عليه .

ان هذا المسلك لايتفق في شيء مع فلسفة اناجزا كور ، لقد استند هوس
العالم بهذا الفيلسوف يوماً فترل من بيته وترك حقله مرتعا لتطعمان الغنم يرعون
عشية مباحاً لمن يشاء . ولكن هذا ليس شأن فيلسوف دقيق الحساب مهمته
السياسة العمومية . لايعنى ذلك بغير الجمال الادبي لاتهمه الماديات ولا الوسائل
الخارجية . اما الذى وقف همه على خدمة مصالح الناس المادية فلا يرى المال
ضرورة لازمة فقط بل فضلة نافعة مرغوبة . فبركليس كان غنياً وكان عوناً لكثير
من الفقراء ويحكي انه بينما كان بركليس غارقاً في مهام اعماله كان اناجزا كور قد
بلغ سناً عالية ولزمته الفاقة والحاجة فتر رأسه بردائه واعتزم الموت جوعاً .
علم بركليس بذلك فاسرع اليه ضارعا اليه ان لايقضي على نفسه . « انى أبكي
لا عليك بل على نفسى لانى بفقدك احرم خير مستشار لادارة أعمالى . »
فرفع اناجزا كور الرداء عن نفسه وقال . « يا بركليس على الذين يحتاجون الى

سراج ان يصبوا فيه زيتاً : »

نظر السيارطيون الى نمو عظمة ائينا بعين الحسد وكان بر كليش قد أدخل الى نفوس مواطنيه الثقة بكفايتهم حتى أيقنوا أنهم معدون لسيادة أعظم . فاقترح واستصدر قراراً بان ترسل جميع المدن اليونانية كبرها وصغيرها ، الاروية والاسيوية مها يكن شأنه ، نوابا يحضرون جمعية عمومية تعقد في ائينا للبحث في اعادة بناء الهياكل التي احرقها البربر . والقرايين المنذرة للآلهة لصيانة وسلام يونان اثناء الحرب ضد الفرس ؛ والطرق الواجبة لتقرير حرية كل انسان وتأمين الحرية البحرية . وتقرير السلام العام . وانتخب لهذه الرسالة عشرين ممن تجوزوا سن الخمسين وجه منهم خمسة الى إيطاليا لدى اليونانيين والروسيين وسكان الجزر حتى ليسبوس ورودرس . وخمسة الى اقاليم هاسيونت وتراقيا حتى بيزانطة . وخمسة الى باوتيا وفوسيد وبيلوبتيز يخترقونها الى لوكريد على القارة المجاورة يتعدونها الى اكارنانيا واميراسي ؛ والباقيون الى اوربا وشعوب اوتوخليج مالياك وفوتيميودي واشاي وتساليا . ذهبوا داعين جميع الشعوب لحضور الجمعية العمومية للمداولة في السلام العام لجميع اليونان . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ولم ترسل المدن نوابا ويقال أن سبارطة منعتهم لان المشروع أحبب في البيلويونيز وقد أشرت الى هذا اظهاراً لعظمة فكر بر كليش وسمو عقله .

كان بر كليش بصفته قائداً ، وضع ثقة عامة . لانه لم يخاطر في شيء . ولم يقدم على حرب لا يرى النصر فيها محققاً أو يراه غالى الثمن لم يستشعر الغيرة من الضباط الذين أحرزوا انتصارات بمخاطراتهم ولم يفكر في الاقتداء بهم مها يكن المجد الذي ينالونه لشدة بأسهم وعنادهم . ولانه كان يقول لمواطنيه لو اتبعتم شورتى لسكنتم خالدين . انتفخ تولميد بن تولمايوس كبراً لما أحرز من نصر ونال من شهرة في واقعه الخيرية . أعد نفسه لمهاجمة بابوتيا بلا سبب واجتذب الفأ من شباب ائينا المولعين بالمجد الى جيشه والاشتراك في الحملة

حاول بركليس منعهم والعدول بهم عن عزيمتهم . ولهذا المناسبة قال في الجمعية كلمته المشهورة .

« اذا كنتم لا تريدون الاصفاء الى بركليس فانكم لا تخسرون شيئاً اذا انتظرتكم نصيحة أحكم ناصح ، الزمن . » لم يلتفت أحد الى هذه الكلمة ولكنهم بعد ذلك بايام ، عند ما علموا ان توليد كان نصيبه الفشل والموت في موقعة بالقرب من كوروثيه . وان كثيراً من الابطال لقوا حتفهم ، تذكر الجميع كلمة بركليس وزادوه احتراماً وعرفوا فيه الرجل العاقل حقاً . والصديق الخالص لبلاده حقاً .

واصدق ما استصوبه الجميع من حملاته حملته في شيرسونيز التي نال يونانيو الجزيرة بفضلها السلام والطمأنينة قاد الف مهاجر أثيني وحصن المدن بزيادة أهلها ثم حذى ممر البرزخ باقامة التاريس وتقوية القلاع الممتدة من بحر الى آخر . وسد الطريق في وجه التراسيين المنتشرين حول شيرسونيز . ومنع الحروب المهلكة التي كانت تعاني تلك البلاد ويلايتها وغارات البربر المجاورين وعبت اللصوص الذين يسكنون حدودها ومنعها حروبها الداخلية .

وقد ذاع صيته ونبه ذكره في البلاد الاجنبية ذاته بحملته الخيرية حول بيلايينيز .

أبحر من بيج في ميجاريد بمائة سفينة . ولم يكتف بسلب المدن البحرية كما فعل توليد ، بل تقدم براً بجيوشه وأكره الاهالى على الانسحاب الى المدن حتى لا يفتأجئوه بهجماتهم . ولكن أهالى سبسيون اجترأوا على الوقوف له وانتظاره في غابة نيمة وقائده ، فاقتحم مواقعهم عنوة وشقت شملهم وأقام على المسكن أثراً للنصر . وبعد أن أخذ من أشابا حليقة اثينا نجدة لعمارتها انتقل الى الشاطئ الآخر للخليج وسار بسفنه في مجرى اخيلاوس وعاث في أكارناقيا وحبس أهالى أونة في أسوارهم . وعبت بجميع بلاد الأعداء تقريباً . ثم عاد إلى اثينا بعد ان أوقع في نفوس أعداء بلاده أنه قائد رهيب

الجانب وفي نفوس مواطنيه انه حام أمين شديد الغيرة على حياتهم واموالهم . ولم يصب جيشه بشيء يضره عمدا ولا قدرا .

ومن هناك أقبل الى « البونت » بعمارة كبيرة معدة أحسن اعداد . وهناك أدى لليونانيين كلما يطلبونه من خدم وقد أحسن معاملتهم كل الاحسان وهو يظهر لجميع الامم المتوحشة المجاورة وللوكها وامرائها . عظمة الاثينيين والطمأنينة التي يبحرون بها في جميع الممرات حينما شاؤا . واليقين الذي استقر في نفوسهم بفضل سيادتهم على البحار . وترك لاهالى سينوب ثلاث عشرة سفينة برجالها . ليعينوهم في محاربة الطاغية تامازيليون . ولما طرد الطاغية وأصحابه من المدينة أصدر أمرا بنقل جالية يونانية عددها ستمائة متطوع الى سينوب لينتزعوا بالاهالى ويقتسموا معهم منازل وأراضي حزب الطاغية

على أنه لم يستسلم لاهواء مواطنيه وكان يحذر السقوط معهم عندما استولت عليهم العماية والكبرياء لما نالوا من فوز ونصر . رآهم يتلون لافتتاح مصر ومهاجمة الاقاليم البحرية الخاضعة للملك الفرس تملكث الشهوة شهوة امتلاك صقلية لشدة حبهم لها وكانت تلك الشهوة تعدة وشؤما أهاجها السبيبياد فيما بعد في قلوب الاهالى بما ألقى من خطب مثيرة . وكان منهم من يفكر في غزو اتروريا وقرطاجة . ولم تكن آمالهم هذه غارية عن الصواب لو نظرنا الى عظمة مملكاتهم واستمرار سعادتها

تمكن بركليس من كبح هذه الشهوات وتعطيل هذه المشروعات باشغاله جميع قوات أثينا بحراسة ما امتلكوه . مقتفا انه يكفئهم منع السبارطيون من التقدم أو زيادة سلطانهم وقد أظهر في جملة مناسبات انه العدو اللدود للسبارطيون وبوجه خاص في الحرب المقدسة . ذهب السبارطيون لسلاحهم الى دلف واغتصبوا من الفوسيين وكالة الهيكل ومنحوها الى الدلفيين . وما كادوا يفسحبون حتى نهض ابركليس بحملة ورد الى الفوسيين وكالة الهيكل . وكان الدلفيون قد خصوا

السيبارطين بحق التقدم في استشارة الوحي ونقش هؤلاء هذا الحق على جبين الذئب النحاسي ايد ابركلييس هذا الحق الاثنيين وحفره على الجانب الايمن من الذئب النحاسي ذاته .

كان على حق في احتفاظه بجميع قوات يونان في اثينا كما التبتته الحوادث . نهضت اوبا لثورة خطيرة في جيش كبير . وفي الوقت ذاته علم ان الميجارين أعلنوا العداء لاثينا واتهم يعسكرون بجيشهم على حدود اتيكا بقيادة بليستونا كس ملك سبارطة . فغادر اوبا مسرعا للدفاع عن اتيكا . لم يجسر على مقاتلة جيش كثير العدد معروف ببسالته . وقد علم ان بليستونا كس شاب حدث لا يعمل شيئا الا بارشاد كلباندر يداس الذي نذبه النواب ليكون وصيا وقتئذ ثانيا لخدائته سن الملك . سبرغور الوصي واستماله بالمال على ان يسحب جيش السبارطين من اتيكا : انسحب الجيش وتشتت الجند في المدينة . ولكن السبارطين ساءم هذا العمل فحكوا على ملكهم بغرامة فادحة لم يستطع دفعها . فغادر وطنه . وكان كلياندر يدس قد هرب ، فحكوا عليه بالموت . وكان هذا الرجل والد جيليب الذي قهر الاثنيين في صقلية . وكان الطبيعة اودعت قليب جيليب حب المال كداء وراى . لانه كان عبدا للمال ، وثبتت فضايح مخجلة فنفى من سبارطة وقد شرحنا ذلك في سيرة ايزاندر . أثبت بركلييس ضمن نققات هذه عشر تالانات مكثفيا لقوله افقت في مصروفات ضرورية . وافق الشعب على الحساب بلا التفات الى هذا المبلغ ولاسؤال عما يكتمه . ولكن الكتاب وبيدهم الفيلسوف تيوفواست يقولون انه كان يرسل كل سنة عشر تالانات الى سبارطة يوزعها بسخاء بين الحكام لمنع الحرب يشترى بذلك لا السلم بل الزمن الذي يمكنه من اعداد مايلزم للاقدام على الحرب باستعداد يكفل النصر . التفت بعد ذلك الى الثائرين فسار الى اوبا بخمسين سفينة وخمسة آلاف جندي فاختضع المدن واعادها الى التزام الواجب . وطرده من شالسي كبار الاغنياء والاعيان المعروفين هناك باسم (هبولوث) مربى

الخيول . وأخرج من هستيا جميع الالهالى واستعاض عنهم بجاليات من الاثينيين : وكان شديد القسوة على المهستين لانهم أسروا مركبات أثينية وذبحوا جميع ركابها . عقد بعد ذلك عهد سلام بين أثينا وسبارطة لمدة ثلاثين سنة . ثم قرر بركليس حملة بحرية ضد ساموس بحجة ان أهالى هذه الجزيرة خالفوا الاوامر الصادرة اليهم من أثينا بالكف عن قتال « ميله » . وبما انه لم يقدم على هذه الحرب الأرضيا لاسبازيا فيحق لنا ان نبحث عن سر وقدره هذه المرأة على اصطیاد أعظم سياسى في عصر . وما كان يكتبه عنها الفلاسفة من عبارات التكریم والاحترام .

اجمع الكل انها من « ميله » وانها ابنة اجزيو كوس ويقال انها كانت تنصدى العظماء اقتداء بمحظية قديمة من يونيا تدعى تراجيليا . وتراجيليا هذه امرأة حسنة جمعت بين لطافة الجسم وذكاء العقل وكانت متينة السهلة بكثير من عطاء يونان ، استمال الى ملك الفرس جميع من يعاشرونها . وبواسطتهم نشرت فى المدن الروح الفارسية ، لانها لم تكن تستهوى سوى عظماء المدن وكبار رجالها . اما اسبازيا فيقال ان بركليس كان يميل اليها لقوة عقلها وقدرتها على فهم المسائل السياسية . وكان سقراط يزورها مع أصحابه . وكان الذين يعاشر ون يصطحبون نساءهم لتسمعن حديثها مع أن حياتها لم تكن المثل الاعلى للادب والعفاف إذ كانت تدرب الحسان صناعة التحظى . وقال اشين ان ابنز كليس تاجر اغنام خشن الطبع بمولده وتربيته صار أول وطنى فى أثينا لانه كان يسكن الى اسبازيا بعد وفاة بركليس . وقال افلاطون فى مقدمة « مانكسين » مع ماهو معروف عنه من رقة الاسلوب ان كثيرا من الاثينيين كانوا يذهبون الى منزلها ليتعلموا اساليب الفصاحة والبلاغة . ومهما يكن من كل هذا فاننا نحسب أن الذى كان يجتذب بركليس اليها هو الحب . كان متزوجا احدى ذوات قريها وكانتا من قبل زوجة هيوني كوس ولها منه ولد وهو كالياس الغنى وقد رزقت من بركليس ولدين اكسانيت وياروس ، واذا وقع النفور بينهما اخلى سبيلها فتزوجت من سواه وتزوج هو من اسبازيا الذى كان شديد الولع بحبها

ويقال انه كان يردعها عند خروجها صباها بقبلة ومتى عاد حياها بقبلة
 اما الازلون من الكتاب فكانون يدعونها سخابة ، او مقال ، داجيفير ،
 جوتون ، وقد دعاها كراينوس محظية

« لقد ولدت له جوتون اسبازيا ، تلك المحظية المبتذلة التي عينها عين كالية »
 وتظهر أن بركليس اولدها ابنا سفاحا . لان اوبوليس يمثل بها في رواية
 ديموسيس مسائل .

وابنى الذى رزقته حر اما . الا يزال على قيد الحياة ؟ فيجيبها بىروميداس .
 « وكان في وسعه ان يتزوج من زمن ، لو أنه لم يخشى ان يتزوج . وميدا .
 لقد بلغ من شهرة اسبازيا ان سيروس الذى نازع أخاه ملك الفرس
 الملكية لقوة السيف اطلق على احب محظياته اليه اسم اسبازيا وكانت تدعى
 قبلا ملتوا . وهذه اتية هرموت . وهى من قوسه . ولما هلك سيروس في الموقعة
 سعت الى الملك وكان لها عليه سلطان نافذ . عرضت لى هذه الاشارة الخارجية
 ن الموضوع لمناسبة ذكر اسبازيا فلم ابد ارد اغفالها .

يتهم بركليس باعلانه الحرب على الساموس لمصاحبة الميلاتين اجابة لرجاء
 اسبازيا . وقعت الحرب بين ساموس وميلا وسببها برين ، احرز الساموستون
 انتصارا باهرا في حين ان الاثنين دعوهم الى وقف الحرب والحضور لعرض مطالبهم
 فلم يأتوا . لهذه الدعوة . ابجر بركليس الى ساموس وحل الحكومة الاولى جارشيه
 واخذ رهائن قش من الاشراف ومثلهم من الاطفال وارسلهم ودعة في نفوس .
 ويقال ان كل من هؤلاء الرهائن قدم اليه تالانا ندية . وقدم اليه الذين
 لا يزغبون في الحكومة الديمقراطية في بلادهم هدايا أخرى . وان يسونيس الفارسي
 صديق الساموسيين ارسل اليه عشرة الاف قطعة ذهبية لارضائه عنهم رفض
 بركليس كل هذا ونفذ في الساموسيين ارادته . وأقام في بلادهم حكومة ديمقراطية
 ثم عاد الى اثينا . وماكاد يرحل حتى امرع بسونفيس واطاعه سراح اسرى

الساموسيين واستعدوا للحرب . عاد اليهم بريكليس فانعاهم في غير دهشة ولا وجل مضممين على القتال يريدون السيادة على البحر . نشبت بينهم حرب البحرية ضرروس بالقرب من جزيرة تارجية وانتصر بريكليس انتصارا عظيما لانه باربع واربعين سفينة هزم سبعين منها عشرون ملأى بالجنود .

ولما تم له النصر تعقب الساموسيين الى مينائهم واستولى عليهم وحاصر المدينة . اتبسل المحاصرون في الدفاع ثم فتحوا ابوابهم وقدموا للقتال امام معاقلمهم : وفي هذه الاثناء وصلت الى بريكليس عمارة أوفرعددا من الاولى فحاصر المكان ثم اتخذ ستين سفينة وغادر الجزيرة قاصدا على مايقول أكثر المؤرخين ، لملاقاة اسطول ارساله الفينقيون حلفاء ساموس ، اراد بذلك القتال بعيدا عن الجزيرة . ويزعم ستاز ميروت انه ارد الحملة على قبرص . والظاهر ان هذا غير صحيح . ومهما تكن نيته فقد أثبتت الحوادث انه خطأ . ذلك انه ماابتعد حتى ينهض الفيلسوف مالميسيوس بن إيتاجانيس قائد الساموسيين استخفا بالسفن الباقية أو بتوادها فامر مواطنيه بهاجمة المحاصرين فهاجموهم وانتصروا وقتلوا من اعدائهم خلفا كثيرا وأغرقوا الكثير من سفنهم . واذا صار البحر خرا احتلوا المدن والذخائر الى مدينتهم ميدان كانوا محرومين منها : وقال بريكليس ان مالميسيوس سبق له ان انتصر على بريكليس قبل هذه الموقعة . أهان الساموسيون ، الاثينيين بمثل ما اهانوه . طبعوا على جبين كل منهم صورة نومة ، كما طبع الاثينيون على جبين كل من رجالهم صورة « ساموسيه » وهي سفينة واطيئة المقام عريضة مجوفة ما يجعلها سرية السير خفيفة . وقد رعيت ساموسته لأن الاولى من نوعها بقيت في ساموس بامر الطاغية بوليقراط .

الى هذا الطابع اشار ارسطوفان بقوله . : ان شعب ساموس قدير في طباعة الحروف .

بركليس علم بسبب بناء هذا الخذلان فامر ع العودة الى رحاله ، قاتل مالميسيوس

وقهر الزمه الفرار . واعتزم التغلب على مقاومة المحاصرين والاستيلاء على مدينتهم
ولكنه فضل التفريط في المال والزمن عن التضحية بالرجال . فاحاط المكان
بسور دائر . مل الاثينيون الحصار والحوافى طلب القتال ولم يبق في الامكان
منهم . فقسم ركليس جيشه الى ثمانية فرق . والتقى بينها القرعة . فالفرقة التي
يكون نصيبها فولة ييضاء ترتاح وتشم . ويكون نصيب الاخر القتال . وهذه
الحادثة يقول الذين يقضون يومهم بين الراحة واللذة انهم قضوا يوما ايضا
اشارة الى فولة ساموس البيضاء . ويقول « أفور » ان بركليس استخدم في هذه
الحرب الات حربية لانه كان مولعا بهذا الاختراع الجديد الذي ابتدعه المهندس
الميكانيكي ارتمون . وكان ارتمون هذا اعرجا يحمل على محقة الى حيث يقتضى
العمل وجوده . لذلك اطلقوا عليه لقب « لبوريفوريت » (١)

وقد كذب هيراكليس البونتي دعوى أفور مستشهدا بشعار قالها انا كريوت
ذكر فيها رجلا يدعى ارتمون بريفوريت .

قبل حصار ساموس بعدة قرون . وارتمون الذي ذكره الشاعر رجل رقيق
خامل جبان لم يكن بجرا على الخروج من منزله ، يبقى فيه جالسا يظله خادمان
بالدروع خشية ان يسقط عليه شيء . واذا اضطر للخروج حمل على محقة واطية
ولذلك دعى ياريفوريت .

سلم الساموسيون بعد حصار دام تسعة شهور فهدم بركليس أسوار المدينة
وأخذ جميع السفن وضرب عليهم غرامة فادحة . دفعوا منها لنورهم جانباً وتعدوا
بدفع الباقي أقساطاً في مواعيد محددة وقدموا الرهائن ضماناً . انهم دوريسن
السامورسي الاثينين وبركليس باثفتن في ضروب القسوة مما لم يذكره توسيديد
وأفور ولا ارسطويزم والواقع يكذبه ان بركليس جاء بضباط السفن والبحارة
وأوقفهم في ساحة ميلة مشدودين الى اعدة حيث بنوا عشرة أيام ولما خارت

(١) مؤلفه من كتي يرى وفرو . (الذي يحمل من مكان الى مكان

قوامهم أمر بقتلهم ضربا بالعصى . وطرح جثته بلا دفن . ولكن دوريس لم يكن من طبعه تجرى الحقيقة فيما يكتب حتى فيما لا يمتسه فلا غرابة ان يغالى في وصف يكتنه وطنه تشنيعا على الاثينيين .

تمت هزيمة ساموس وعاد بركليس الى أثينا وأقام لضحايا الحرب حفلة جميلة حيث القى خطبة التأبين بين تصفيق الجميع وعند ما نزل عن المنبر قدمت اليه النساء التيجان والاكاليل كانه مصارع مبرز ولكن اليمينيس دنا منه . وقال نعم يا بركليس انه لهما يستحق الاعجاب ولما يستحق هذه الاكاليل أن تهلك أولئك الوطنيين البواسل لا في محاربة الفينيقيين او الفرس كما فعل أخى سيمون بل في خراب مدينة مليقة مدينة هي شقيقة أثينا ! « اصفى اليه بركليس دون أن يمدى حركة ثم أجابه بانما يقول ارخيلوك . « أيتها العجوز لا زلت تتضمخين بالطيب

وقال الشاعر يوف أنه بعد انتصاره على الساموسيين امتلأ اعجابا بنفسه واستعظم قدرته ومن أقواله . « صرف اغا ميمنون عشر سنوات للاستيلاء على مدينة بربرية . ولم أصرف سوى تسعة شهور للاستيلاء على اولى مدن يوفى واقدرها . » والحقيقة أن له من هذه الحرب • ما يدعو للمفاخرة لما وقع اثناءها من الشدائد والمخاطر حتى قال توسيديد ان الساموسيين كادوا يسلبون الاثينيين سيادة البحار •

رأى بعد هذه الحملة ان امواج الحرب البلوبونيزية أخذت في الارتفاع فدعا قومه الى نصره الكورسيزين اذا اعتدى عليهم الكورثيون ؟ اراد بذلك ان يكسب فرقته صداقة جزيرة قوية بسفنها في وقت يوشك فيه اهالى بيوليونيز ان يضرروا اعداءها . قبل اقتراحه فارسل الى كورسير ، لاسيده ونيوس بن سيمون امكر به • ولم يعطه سوى عشرة سفن . اعلمه ان صلات الوريين اسرة سيمون والبلويونيزين وثيقة فاذا لم هذا القائد بعمل باهر مجيد تدرع بذكره لانتهاه بالشواطيء • بهم لذلك لم يعطه سوى القليل من السفن وكلفه القيادة رغم انه . وكان كل همه

الخط من قدر ابناء سيمون يدعوى انهم وطنيون غرباء ، دخلاء ، اجانب حتى في اسمائهم ، وكان احدهم يدعى لاسيدمونيوى . والاخر تساليوس والثالث الايوس والمعروف ان والديهم اركادية .

احس بر يكليس بما وجه اليه الناس من اللوم لاقتصاره على ارسال عشرة سفن وهي عدة لاغنى في المساعدة وتجعل اليد العليا لخصومه السياسين . فاتبع الحملة اسطولا ضخما لم يصل الا بعد نهاية الموقعة . استاء الكورنيون فرفعوا شكائهم ضد الاثينيين الى سبارطه ؛ وانضم اليهم الميجاريون متظاهرين من ان جميع اسواق اثينا وموانئها مغلقة في وجوههم خلافا للحقوق المشتركة والعهود المتبادلة المعقودة بين جميع اليونانيين . لم يجرأ الا يجنبون على الجهر بالشكوى مما عدده امتهان الاثينيين لهم واستعمال العنف في معاملتهم فارسلوا شكائهم سراً الى سبارطه في هذا الوقت ثارت بوتيدة وهي مستعمرة كورثية ولكنها خاضعة لاثينا . قام الاثينيون بمحاصرتهم فسكران علمهم استعجال الحرب . اوفدت الرسل الى اثينا وكان ارخيداموس قد سوى جميع وجوه الخلاف وهداء نائبة الحلفاء ؛ وكاد الصلح العام يتم . ولم يكن الاثينيون يشبوا ناز الحرب . فظفروا لما نسب اليهم من الاخطاء ، لو انهم قبلوا سحب قرارهم ضد ميجاريا وصالحوا الميجاريين .

ولكن بركليس ابى عليهم سحب القرار رحث الشعب على احتقان العداوة للميجاريين ولذلك تلتقى مسؤولية الحرب عليه وحده .

جاء وفد سبارطى الى اثينا ، فقدم بركليس قانونا يحرم تحذيم اللوحة التي كتب عليها القرار . فقال بوليارسيس احد رجال الوفد ، حسن لا تحطمها ، اقلها القانون لا يمنع ذلك

جاءت هذه الحكمة مرضية ولكن بركليس اصر على عناده . فمن المحتمل ان كان يحقد على الميجاريين لشأن خاص . ولكنه اراد سترحقده تحت سقار المصلحة العامة التي يمكن اعلانها فانهمهم بالاعتداء على ارض مقدسة حرام حربها

وقرر ارسال مندوب من قبل الدولة يعرض عليهم الشكوى ثم يذهب الى سبارطة لتأييد التهمة . وكان القرار الذي اصدره بركليس مقررًا في قالب الرقة والاعتدال ولكن انقيموكريت الذي ارسل بهذه المهمة مات أثناء تأديتها . نسب موته الى الميجاريين واصر شاربنوس قرارا انه من الآن فصاعدا يكون البداء بين اثينا وميجاريا عدًا لاصالح معه ولا هدنة . وان كل مجاريي (الميجاريين) يضع قدمه على ارض اتيكا يكون عقابه الموت . وان يقسم القواد عند الحلف القانوني أن يقوموا في سنة قيادتهم بجملتين على ميجاريده . وان يدفن انقيموكريت بالقرب من الابواب الترابزية المعروفة اليوم باسم « ديبيل » (الباب المزدوخ) ينفي الميجاريون تهمة موت انقيموكريت عن انفسهم وينسبونها الى بركليس واسبازيا مستنديين الى ماجاء برواية الاشارنيين (١) ولا كته الاسن : وهو : يذهب شبان الى ميجاريا ويسكرون ثم يطغون المحظية سياته . فيدفع الالم الميجارين محظيتين من محظيات اسبازيا .

وعليه ليس من السهل ان نعرف السبب الحقيقي للحرب ولكن المؤرخين مجمعون على ان بركليس وحده هو الذي منع سحب القرار . وينسب البعض ذلك الى عظمة نفسه وحده بصيرته في مصالح بلاده تلك البصيرة التي ارته في الحاح السبارطين في عذه المسئلة نية محاولتهم اخضاع اثينا حتى اذا تنازلت كان ذلك اعترافا منها بضعفها . ويذهب الى ان الذي حملة على الاستهانة بانذارات سبارطة هو الانانية والرغبة في اظهار قوته . ولكن اخبث ما قيل من الاسباب لهذه الحرب واكثرها رواية هو ما يأتي .

كان الميثال فيدياس على ما ذكرنا قلما يصنع تمثال مثيرا . وكان صديقا لبركليس ينعم بثقته التامة . اوغرت هذه الصداقة عليه نفوس جماعة من حساده . وحاول البعض ان يعمل به ما يعمل به الشعب ببركليس اذا قدم للمحاكمة . استمالوا احد

(١) كوميدي لارشوفان (سولوده)

عمال فيدياس وكان يدعى مانون ، ذهب مانون هذا الى الساحة العمومية ووقف
وقفة الضارع المتوسل وطلب الامان لمقاضاة فيدياس واتهامه . قبل الشعب طلب
هذا الرجل وعرضت القضية أمام المجلس العام لكن خصومه لم يستطيعوا ان يثبتوا
عليه تهمة السرقة التي نسبوها اليه وذلك لان فيدياس حسب اشارة بركليس
يضع جميع القطع الذهبية الداخلة في التمثال بحيث يسهل نزعها ووزنها . وهذا
ما أمر بركليس المدعين باختياره . وهناك سبب لبغضهم فيدياس وهو شهرته .
لاسيا عند ما مثل نفسه على درع الآلهة في حرب الامارون شيخا أسلعا يرفع حجراً
بيديه . ولانه أقام تمثالا بديع الصورة لبركليس يحارب امازونية (مترجلة)
كانت يده المرفوعة لرماية السهم تغشى على نوع ما ، جانباً من وجهه . ولكن هذه
اليده وضعت وضعاً فنياً بديعاً كنهما تريد اخفاء الشبه ولكن الشبه كان بارزاً من
الجانبين على اسمه . زج فيدياس في السجن حيث قتلته المرض أو كما يقول
بعض الكتاب ، سم أعدائه . افتعلوا هذه الفعلة وقبلة ببركليس . اما المدعى مانون
فقد أعفاه الشعب بناء على طلب جليكون من الضرائب وأمروا الحراس بحمايته .
وفي هذا الوقت كانت أسبازيا تدفع عنها نفسها تهمة منكرة وجهها اليها
الشاعر الماجن هرميوس (١) والتهمة انهما تأوى نساء حرة تقدمين الى بركليس
وقدم ايوييت قانوناً يأمر كل اناس بالتبليغ عن كل من لا يؤمن بالآلهة الدولة أو
يتناول الحوادث العمومية بشرح . أراد بذلك القاء الشبهة على بركليس لاتصاله
بانا جزاكور . قبل الشعب القانون راضياً وأباح اتخاذ الاجراءات . وقدم داركوتتيدس
مرسوماً آخر بان يقدم بركليس حساب ادارته المالية وان يحكم القضاة في ذلك
بالمدينية في هيكل منديرا . ولكن انيون عدل المشروع بان استبدل البند
الثاني وجعله ان يعهد بالحكم في ذلك الى الف وخمسمائة رجل . وان يعين المدعى
أحد الجريمة اسقاط . أو غش أو خطأ .

(١) أحد شعراء السكوميديّة القديمة .

قال أشين (١) ان اسبازيا لم تنسج من الحكم الا بفضل ددوع بركليس
 وتضرعاته لجميع القضاة أثناء النظر في القضية . وخوفه على أناجزا كور أخرجه
 من المدينة وصحبه بنفسه حتى خارج أسوارها . اما قضية فيدياس فقد أضعفت
 شهرة بركليس : واذ داخله الريب فيما يتهده من حكم نفخ في موقد الحرب الذي
 كان على وشك الاشتعال أملا ان يقضى بذلك على الدعاوى ويضعف حدة الغيرة
 والحسد لانه متى اشتدت الضائقة على أثينا وأحرق بها الخطر ألقت بنفسها بين
 يديه لما أحاط به نفسها من سلطان ورعاية . هذه هي الاسباب التي يعلن بها
 منعه الشعب عن اجابة السبارطيين الى طلبهم على أنه لا يمكن معرفة أسباب
 الحرب معرفة حقيقية

ولما كان السبارطيون يعلمون أنهم اذا تمكنوا من قلب سلطانه أصبح
 الاثينيون الذين جانبوا طلبوا الى هؤلاء أن ينفوا من المدينة كل نجس . اعتماداً
 على قول توسيديدان بركليس يرجع بنسب والدته الى جنس حقت عليه اللعنة
 ولكن حيلتهم عادت بنتيجة عكسية خابت معها أمالهم . ذلك أن الاثينيين
 بدل أن يصفوا اليهم ويستحيوا قمتهم من رئيسهم وينفوه ازادوا به ثقة واحتراما
 اذ رأوا الاعداء تبغضه وتخشاه . لذلك قبل أن يهاجم ارخيداموس اتيكا
 بجيوشه ، أعلن بركليس الاثينيين أنه اذا احتاج الاعداء الحقول ولم يمسوا
 أملاكه سواء كان ذلك رعاية لعلاقات المودة والضيافة التي تربط أهلها برئيسهم
 أو قصد اعطاء خصومة السياسيين فرصة للتشنيع عليه ، فانه يمنح الجمهورية
 جميع حقوله ومزارعه .

أغار الملك ارخيداموس بجيش عرمرم من السبارطيين وحلفائهم على اتيكا
 واجتاحوا المزارع وعسكروا بالقرب من اشارة اعتقاداً منهم أن الاثينيين
 لا يطيقون صبراً وان سورة الغضب ستدفعهم الى القتال . ولكن بركليس رأى من

الخطر أن يعرض المدينة لقتال تحارب فيه ضد ستين ألف جندي عدا دول
الجيش من المغيرين من البيوتيين والسيبارطيين . ولكن الاثينيين هاجمهم
ما رأوا من العبث بمزارعهم فطلبوا خوض غمار الحرب ؛ ولكنه كان يهدى ،
ثأرهم بقولهم ان الاشجار اذا قطعت نبتت ثابتة أما الرجال اذا ماتوا فلا
تسهل اعادتهم الى الحياة . ولم يدع جمعية الشعب خشية ان يضطر الى العمل
على غير مرسومه . ان لغوى الحكيم اذا فاجأته العاصفة اسعى الى تنظيم كل شئ ويستمع
للمقاومة غير معول الا على خبرته لا يبالى بدموع الركاب الذين أخذهم دوار
البحر واستولى عليهم الفرع . لذلك كان بركليس بعد أن أحكم حياته
مداخل المدينة ووزع الحرس على أماكن الدفاع وكن أسباب الطمأنينة
لم يصغ الا لحكمته وخبرته غير مبال بشكاوى وانفعالات المحاصرين ولا
بالحاح اصدقائه ولا تهديد اعدائه كل السبل يريد الاهاجي ضده ساخرين
بشخصيته يتهمونهم بالنذلة والجن محقرين شأنه متهمين على قيادته التي تركت
كل شئ نهيا للسالبين . وقد بلغ من كلاون ان اشتد عليه وانتهز
فرصة هياج الشعب وشق لنفسه طريقا بينه حيث علت كلمته ، كاستفاد
من قول هرميبوس . « يا ملك الكلام لماذا لا تحمل الرمح ؛ وتضرب
جهدك على خطب تلقيها عن الحرب ؛ وقلبك في الشجاعة كقلب فيلس ،
ايها الذئب الصلد الذي يشحذ السيف لماذا تغزع لرؤيته فأس الحرب . وتدع
كلاون المنقذ غيره يعضك ؟ »

بقى بركليس لا يتزعزع متحملا الالهة والعداء بصبر وطول اناة . ارسل
الى سبارطه عمارة مؤلفة من مئة سفينة وبذل ان يتولى قيادتها بنفسه بقى في
مدينة حرصا على بقائها في قبضته الى أن ينسحب الجيش السبارطي . واذا
كانت الحرب قد آثارت النفوس عمد الى تهديتها بتوزيع الاموال واحدا
المراسيم بتقسيم الاراضي المكتسبة : طرد الايحيين من جزيرتهم واقترح على

املا بهم بين الاثنين .

وقد وجد هؤلاء عزاء فيما أصاب أعداءهم من الأذى طافت العارة أنحاء
يبلوتيز تحرب وتقلب المزارع والقرى والمدن الصغيرة . ثم هاجم بريكليس
الميجاريد سرا واكتسبها فإذا كان السبارطيون قد اخروا الاثنين فأنهم لم ينجوا
من الضرر فلا يستطيعون الاستمرار على القتال ولم يكن لهم بد من العدول عنها
كما ارتدى بريكليس لولم تدخل قوة علوية فعطلت وافسد تدبير الانسان . انتشر
الطاعون فحصد زهرة وقوة الشبيبة اللاتية . وابتلى الاجسام والنفوس فنار الكل
في وجه بريكليس ثورة المرضى المحومين في وجه اطباءهم وابائهم . فعاملوه بالعرف
والاساءة . وقد ادخل خصومه في نفوس الشعب أن سبب هذا البلاء انه نقل
الى المدينة عدد كبيرا من سكان الريف يسكنون مكديسين ابان حرارة الصيف
في مساكن ضيقة لاهواء فيها حيث يجتمعون طول نهارهم بلا عمل وهم معتادون
استنشاق الهواء الطلق النقي . والذي افعل ذلك هو الذي احدث هذه الحرب
وهو الذي حشد هذه الجماهير بين اسوارنا حيث لا عمل لهم تحشرهم حشر
البهايم في الخطيرة . تفشو بينهم العدوى ولم يعن بتغيير حالهم او نقلهم الى ما اعتادوه
من الهواء الطلق .

أعد بريكليس تفاديا من هذا الخطر ونكاية بالأعداء ، منه وخمسين سفينة
جهزها بالابطال من المشاة والفرسان فملا قلوب الأعداء فرعا وقلوب الاثنين
املا ، وفيما كان كل شيء قد أعده والجيش على أتمه وبريكليس على سفينته
كسفت الشمس ، فاستولى الفرع على الجميع لهذا الضلال الفجائي وحسبوه نذير
سوء . رأى بريكليس نوى سفينة مبهوتا حائرا يشأ فنشر رداه أمام عينيه
ولف به رأسه وسأله هل يرى في هذا داعيا للخوف أو التشاؤم . فقال النوتي
كلا . — فقال وما الفرق بين هذا وذلك ، غير أن الذي أحدث هذا الفلام أكبر
من رداي ؟ هذا ما يروى في مدارس الفلاسفة .

بحر بركليس ولكن النتيجة التي انتهى اليها لم تتفق مع هذا الاستعداد العظيم . حاصر مدينة أبيدور المقدسة و إذ كانوا على يقين من الاستيلاء عليها أخطأهم التوفيق . ذلك أن الطاعون ذشافي الجيش ولم يقض على الاثنيين فقط بل وعلى كل من يدخل المعسكرات أو يدنو منها . اتهموه بأنه علة هذا البلاء فحاول تعزيزتهم وتشجيعهم ولكنه لم يستطع تهدئة انخواطر أو تغير نفوسهم . رفعوا ضده الدعوى واخذوا الاصوات فحكمت الغالبية بتجريد من القيادة والحكم عليه بغرامة . يقول بعض المؤرخين أنها خمسة عشرة ثلاثة ويقول البعض أنها خمسون . ويقول إرومانية ان المدعى هو كلاون ويقول تيوغراست انه سيميئاس ويقول هيراكليد انه لا كراتيدأس .

لم يطل زمن هذه المعارك ؛ لقد اصابه الشعب بحرح ادمى قلبه ولكنه أبقى غصبة في جرحه ، لوهم هذا التعبير . غير أن بركليس وقع تحت ضربات حزن عائلية . حرمة الطاعون كثيراً من اصدقائه . والمه الشقاق المتحكم في منزله . كان اكسانيب بكر انبيائه الشريفة مسرفاً بطبيعته وزوجت امرأة فتنة مبدرة . وهي امينة إزاندرا ابيليكوس ساء هذا الولد حرص والده وشيخه اقترض من أحد اصحابه باسم والده مبلغاً من المال فأقرضه . ولما جاء يطالبه برد المبلغ انكره بركليس وقاضاه غضب الولد وسار في المدينة يشنع على والده متعمداً السخرية بوالده يروي لكل من قابله احاديث عن حياته العائلية . واحاديثه مع التسوقطائين ومن رواياته عنه أن مصرح قتل غير متعمد حصان ايميموس بسهم ارذاه . فقضى بركليس يوماً كاملاً في البحث مع بروتا جوراس عن يصح اتهامه عقلاً اهر السهم او الذي رمى به . او الاحونوتيت . ويقول ستازمير وت ان الذي اشاع ما يروي عن امرأة اكسانيب هو اكسانيب نفسه . وانه مات قبل أن يصطاح مع والده . اهايكه الطاعون . فقد بريكليس شقيقة واكثر اهل واصحابه ممن كان معتمداً على شوراتهم في حكومته . ولكن كل هذه النكبات لم تكن

تقل من عزمه او تذهب بشيء من عظيمة نفسه . فلم ير ابداً باكياً ولم يقيم مأتماً ولا وقف على قبر عزيز . ولكن عندما احتسب في بارالوس آخر ابنائه الشرعيين . حاول التجلد عبثاً وذهب جهده في الاحتفاظ بمن يمتعه سدى خارت قواه وعند تقدم الى الجنة يضع عليها اكليلا خاتمه جلده واستولى عليه الحزن وعلا صوته بالشهيق وسالت عيونه بالدموع وكانت هذه أول مرة في حياته رآه اليأس مستسلماً لليأس .

جرب الاتينيون الكثير من الضباط والخطباء لقيادة هذه الحرب ولكن مامن احد منهم كان لها كفواً . فاسفوا عليه واستدعوه الى المقبر ورئاسة الجند . ولكنه كان قد لزم بيته مكتملاً حزيناً واسكن السيباد واصدقاءه حملوه على الظهور ، احتذر الشعب عن جموده واعيد انتخاب بركليس قائداً عاماً وعاد تولى شؤون الحكومة . وكان أول همه اعادة النظر في قانون الانباء لغير الشرعين الذي وضعه قبلاً اراد بذلك أن تبقى ضياع ذكره اذ لم يبق له ابناء شرعيون . وضع هذا القانونى أبان مجده الاول حين كان له ابناء شرعيون . وغواه ان لا يكون الانسان اتيماً إلا إذا كان أبوه وأمه اثنيين . وحدث بان ملك مصر اهدى الى الشعب اربعين الف (مد) مديوم من القمح هاجت النفوس عند توزيعها وكثرت الشكاوى ضد من لا يستحقون حتى بلغ عدد هؤلاء خمسة آلاف . تعددت التهم الكاذبة هذا ابن غير شرعى وهذا عبيد بيع . وقد لقي الكاذبون جزاءهم على أن التعداد اثبت أن ليس في المدينة من يستحق لقب وطنى اثني سوى اربعة عشر ألفاً واربعين

وانه لمن الحوادث الخطيرة ان قانوناً لهذا نفذ بتلك الشدة يلقى من اصدده . ولكن الاتينيين رثوا لمصابه وعدوه جزاء سماوا ياله على شدة أبائه وكبريائه واعتقدوا أن السماء تولت عقابه وانه يستحق العطف فسمحوا له ان يقيد ابنة الغير شرعى في عداد الوطنيين وانه بمنحه لقبه . هزم هذا الولد عمارة بيوبينيز في جزائر

ارجينوس ولكن لقي حتفه في أثينا حيث حكم الشعب عليه وعلى زملائه القواد بالموت .

حينئذ أصيب بركليس بالطاعون ولكنه لم يفك به فبكه السريع بسواه بل كان فعله بطيئاً وطال به عهده في عوارض مختلفة يهزل بدنه ويضعف نفسه روى تيوфраست في بحثه « الخلق » . هل يغير الحوادث خلق الرجل وهل تبدله أهواء الجسم فتبعد به عند الفضيلة : زار صديق بركليس أثناء مرضه فراه تميمة علقتة النساء في عنقة مستدلاً بقبوله هذه السخافة على أنه في حالة روية جداً . كان كبار الوطنيين والباقيون من أصحابه حول فراشه عند موته يتحدثون بماله من قدر وما كان له من سلطان وما غنم الاثينيون من نصه تحت امرته يعدون من مفاخره تسع أكاليل تخلد ذكره . كانوا يتحدثون بذلك واهمين أنه فقد صوابه وأنه لا يعي ما يقولون . ولكنه كان مصغياً لحديثهم وقاطعهم على فجأة منهم بقوله . أنه يعجب لهم اذ يثنون عليه بانتصارات للحظ فيها تصيبه ويشاركه فيها غيره من القواد ولكنهم لا يذكرون له أجل وأجل ما عمل في حياته . ذلك : « انى لم ألبس أثينياً ثوب الحداد . »

علينا أن نعجب كل العجب باللطف والدعة اللذين كانا حليته ابان مهامه العديدة حيث كان غرضاً مختلف الضغائن والاحقاد . إنا لنعجب به لهذه العواطف السامية التي جعلته يعتقد أن اسمى مفاخره أنه مع ما كان له من سلطان طويل الآمد لم يلبس لحقد ولا غضب ولم يقس على عدو . ولم يكن هذا اللقب على ضخامته وجلاله ، لقب الاولمبي لينع عنه حسد الحاسدين ويجعله حقيقاً بركليس . لولا دماثة أخلاقه وطهارة حياته في حكمة وبقاء سيرته التي لم تشبه شائبة . لذلك نعتقد ان الالهة ملوك وسادة جميع الخلوقات ينابيع خير لا شرف فيها . أنالا نشوش أفسكارنا بما يدعيه الشعراء من اقوال وتعاليم كلها هوش واضطراب . انهم يمثلون لنا ما يدعونه مساكن الالهة مواطن

يسودها الهدوء التام لا يتسرب اليه ، هياج ولا رياح ولا غيوم تحيط بها
الروعة وينيرها صفاء دائم . هذا ما يجب أن تكون عليه مساكن الطوباويين
(الخالدين) . ولكن هؤلاء الشعراء يمثلون لنا الآلهة في الاضطرابات مستمرة واحقاد
وانفعالات وأهوال لا تليق بالقلاء من الناس . ولكن هذا البحث حقيق بمؤلف خاص .
هذبت الحوادث التي تليق بموت بريكليس نفوس الاثنيين فعرفوا الرجل
قيمته واسفوا لموته في غير مواريه . وقد اعترف الذين كانوا ينقمون عليه تفوقه بعد
موته وبعد ما خبروا غيره من القواد والخطباء ان لم يكن مثله رجل جمع بين
الاعتدال والعظمة والرقه والجلال .

وذلك الساطان الذي حفظ عليه القلوب ذلك الذي كانوا يدعونه ملاكية
واستبدادا . علموا اخيرا انها لم تكن سبيلا للسلام . انغمست - الحكومة بعده في
المفاسد والشهوات التي كان يكرها على الانزواء ويكر من شرها بما كان يلقي
عليها من الذراية والهووان مضارات مما لا يستعصى شفاؤه .

بها

بين

تقاد

س.

جل

بعد

ين

ين

نية

في

في

في

خطأ المقدم

صحيحة	سطر	خطأ	جواب
٣	٤	سبيلها	سبيلهما
٣	١٣	الفناء	الفناء
٤	٢	ارسطوء الذي	ارسطوء الذي
٤	١٤	على ظروفه على طريقة	على طريقة
٤	١٤	الطبيعي يكون	الطبيعي قد يكون
٤	١٩	أمة	أمة
٥	٨	ستودا	مقودا
٥	١٠	لا يحل	لا يحل
٥	١٢	العين	معين
٥	١٣	كلمة	كلمة
٥	١٥	يعطوا	يعطوا
٦	٣	بصبي	لصبي
٦	٤	ينهي	ينتهي
٦	٧	كيف ثم	كيف ثم
٦	٩	خير بحسن	خير ما بحسن
٦	١٤	لم ييس	لم يبت
٧	١	بدرس	يدرس
٧	٢	السبيل	السبيل
٧	٣	ويقول	وتقول
٧	١٣	أمثال	أمثاله

هذا عدا أغلاط مطبعية لا تخفى على القاريء اللبيب

ی
یکو

A.U.B. LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00463185

